مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية — مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثالث عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين ، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين . أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

١ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْأَحْمَرُ صَاحِبُ الْكِسَائِيِّ *

على بن الحسن الأحمر

قَالَ الْجَمَّابِيُّ (١) : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ : الْأَحْمَرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ مُؤَدِّبُ الْأَمِينِ لَمْ يَصِرْ إِلَى أَحَدٍ قَطُّ مِنَ التَّأْدِيبِ مَا صَارَ إِلَيْهِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : الْأَحْمَرُ اسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ ، وَمَاتَ الْأَحْمَرُ فِيمَا ذَكَرَهُ الصُّولِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ فَرَجٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الطُّوَالَ يَقُولُ : مَاتَ الْأَحْمَرُ قَبْلَ الْفَرَّاءِ بِمُدَّةٍ ، قَالَ : أَحْسَبُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ الْفَرَّاءُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعٍ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ : رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ

---

(١) فى بعض الطبعات المرزبانى ، وفى القاموس الجماب : صانع الجماب جمع جبة فلعلها صيغة مبالغة نسب إليها فقيل : جمابى ، وإن قلت الجبابى ككلابى كانت نسبة إلى الجمع وهذا ممنوع عند بعض الصرفيين فإن شئت فانسب اليه « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب الأعلام جزء ثان صفحة ٦٦٣ بما يأتى قال :
هو شيخ النحاة فى عصره وكان من الجند على باب الرشيد وصحب الكسائى فأخذ عنه العربية وأوصله الكسائى إلى الرشيد فعهد إليه بتأديب أبنائه واستمر فى نعمة إلى أن توفى بطريق الحج ، وله من الكتب : تفنن البلغاء ، وكتاب التصريف
وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٤

عَلِیُّ بْنُ مَهْدِیٍّ الْكِسْرَوِیُّ ، عَنِ ابْنِ قَادِمٍ صَاحِبِ الْكِسَائِیِّ قَالَ : كَانَ الْأَحْمَرُ صَاحِبُ الْكِسَائِیِّ رَجُلًا مِنَ الْجُنْدِ مِنْ رِجَالِ النَّوْبَةِ عَلَی بَابِ الرَّشِیدِ ، وَكَانَ یُحِبُّ عِلْمَ الْعَرَبِیَّةِ وَلَا یَقْدِرُ عَلَی مَجَالِسِ الْكِسَائِیِّ إِلَّا فِی أَیَّامِ غَیْرِ نَوْبَتِهِ ، وَكَانَ یَرْصُدُ مَصِیرَ الْكِسَائِیِّ إِلَی الرَّشِیدِ وَیَعْرِضُ لَهُ فِی طَرِیقِهِ كُلَّ یَوْمٍ ، فَإِذَا أَقْبَلَ تَلَقَّاهُ وَأَخَذَ بِرِكَابِهِ ثُمَّ أَخَذَ بِیَدِهِ وَمَاشَاهُ إِلَی أَنْ یَبْلُغَ السِّتْرَ ، وَسَاءَلَهُ فِی طَرِیقِهِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ ، فَإِذَا دَخَلَ الْكِسَائِیُّ رَجَعَ إِلَی مَكَانِهِ ، فَإِذَا خَرَجَ الْكِسَائِیُّ مِنَ الدَّارِ تَلَقَّاهُ مِنَ السِّتْرِ وَأَخَذَ بِیَدِهِ وَمَاشَاهُ یُسَائِلُهُ حَتَّی یَرْكَبَ وَیُجَاوِزَ الْمَضَارِبَ ثُمَّ یَنْصَرِفَ إِلَی الْبَابِ ، فَلَمْ یَزَلْ كَذَلِكَ یَتَعَلَّمُ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ حَتَّی قَوِیَ وَتَمَكَّنَ وَكَانَ فَطِنًا حَرِیصًا ، فَلَمَّا أَصَابَ الْكِسَائِیَّ الْوَضَحُ (١) فِی وَجْهِهِ وَبَدَنِهِ كَرِهَ الرَّشِیدُ مُلَازَمَتَهُ أَوْلَادَهُ ، فَأَمَرَ أَنْ یَرْتَادَ (٢) لَهُمْ مَنْ یَنُوبُ عَنْهُ مِمَّنْ یَرْتَضِی بِهِ ، وَقَالَ :

(١) بیاض فی الجلد ویقال له البرص والبرش (٢) أی یبحث ثم یختار

إنك قد كبرت ونحن نحب أن نودعك(١) ولسنا نقطع عنك جاريك(٢)، فجعل يدافع بذلك ويتوقى أن يأتيهم برجل فيغلب على موضعه، إلى أن ضيق عليه الأمر وشدد وقيل له: إن لم تأتنا أنت من أصحابك برجل أردنا نحن لهم من يصلح، وكان قد بلغه أن سيبويه يريد الشخوص إلى بغداد والأخفش، فقلق لذلك ثم عزم على أن يدخل إلى أولاد الرشيد من لا يخشى ناحيته ومن ليس ممن اشتد من أصحابه، فقال للأحمر: هل فيك خير؟ قال: نعم، قال: قد عزمت أن أستخلفك على أولاد الرشيد، فقال الأحمر: لعلى لا أفى بما يحتاجون إليه، فقال الكسائى: إنما يحتاجون فى كل يوم إلى مسألتين فى النحو وثنتين من معانى الشعر وأحرف من اللغة، وأنا ألقنك فى كل يوم قبل أن تأتيهم ذلك فتحفظه وتعلمهم، فقال: نعم.

فلما ألحوا عليه قال: قد وجدت من أرضاه، وإنما

---

(١) أى أن نريحك ونجعلك فى دعة (٢) أى راتبك

أَخَّرْتُ ذَلِكَ حَتَّى وَجَدْتُهُ وَأَسْمَاهُ لَهُمْ . فَقَالُوا : إِنَّمَا اخْتَرْتَ لَنَا رَجُلًا مِنْ رِجَالِ النَّوْبَةِ وَلَمْ تَأْتِ بِأَحَدٍ مُتَقَدِّمٍ فِى الْعِلْمِ ، فَقَالَ : مَا أَعْرِفُ أَحَدًا فِى أَصْحَابِى مِثْلَهُ فِى الْفَهْمِ وَالصِّيَانَةِ ، وَلَسْتُ أَرْضَى لَكُمْ غَيْرَهُ ، فَأُدْخِلَ الْأَحْمَرُ إِلَى الدَّارِ وَفُرِشَ لَهُ الْبَيْتُ الَّذِى فِيهِ بِفَرْشٍ حَسَنٍ ، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ إِذَا أَدْخَلُوا مُؤَدِّبًا إِلَى أَوْلَادِهِمْ فَجَلَسَ أَوَّلَ يَوْمٍ أَمَرُوا بَعْدَ قِيَامِهِ بِحَمْلِ كُلِّ مَا فِى الْمَجْلِسِ إِلَى مَنْزِلِهِ مَعَ مَا يُوصَلُ بِهِ وَيُوهَبُ لَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ الْأَحْمَرُ الِانْصِرَافَ إِلَى مَنْزِلِهِ دُعِىَ لَهُ بِحَمَّالِينَ تَحْمِلُ مَعَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ مَعَ بَزٍّ[1] كَثِيرٍ ، فَقَالَ الْأَحْمَرُ : وَاللهِ مَا يَسَعُ بَيْتِى هَذَا ، وَمَا لَنَا إِلَّا غُرْفَةٌ ضَيِّقَةٌ فِى بَعْضِ الْخَانَاتِ لَيْسَ فِيهَا مَنْ تَحْفَظُهُ غَيْرِى ، وَإِنَّمَا يَصْلُحُ مِثْلُ هَذَا لِمَنْ لَهُ دَارٌ وَأَهْلٌ . وَكُلُّ شَىْءٍ وَمَا يُشَاكِلُهُ ، فَأُمِرَ بِشِرَاءِ دَارٍ لَهُ وَجَارِيَةٍ وَحُمِلَ عَلَى دَابَّةٍ وَوُهِبَ لَهُ غُلَامٌ وَأُقِيمَ لَهُ جَارٍ[2] وَلِمَنْ عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْكِسَائِى

(١) البز : الثياب (٢) أى راتب

كُلَّ عَشِيَّةٍ وَيَتَلَقَّنُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَوْلَادُ الرَّشِيدِ وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ فَيُلَقِّنُهُمْ ، وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يَأْتِيهِمْ فِي الشَّهْرِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ مَا عَلَّمَهُمُ الْأَحْمَرُ وَيَرْضَاهُ ، فَلَمْ يَزَلِ الْأَحْمَرُ كَذَلِكَ حَتَّى صَارَ نَحْوِيًّا وَجَلَّتْ حَالُهُ ، وَعُرِفَ بِالْأَدَبِ حَتَّى قُدِّمَ عَلَى سَائِرِ أَصْحَابِ الْكِسَائِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ لَهُ ذِكْرٌ وَلَا يُعْرَفُ .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ السِّمَّرِيُّ [1] قَالَ : كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا الْأَحْمَرَ تَلَقَّانَا الْخَدَمُ فَنَدْخُلُ قَصْرًا مِنْ قُصُورِ الْمُلُوكِ فِيهِ مِنْ فَرْشِ الشِّتَاءِ فِي وَقْتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ إِلَّا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَدْفَعُ إِلَيْنَا دَفَاتِرَ الْكَاغَدِ وَالْجُلُودَ قَدْ صُقِلَتْ ، وَالْمَحَابِرَ الْمَخْرُوطَةَ وَالْأَقْلَامَ وَالسَّكَاكِينَ وَيَخْرُجُ إِلَيْنَا وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْمُلُوكِ يَنْفَحُ [2] مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ وَالْبَخُورِ فَيَلْقَانَا بِوَجْهٍ مُنْطَلِقٍ وَبِشْرٍ حَسَنٍ حَتَّى نَنْصَرِفَ . وَنَصِيرُ إِلَى الْفَرَّاءِ فَيَخْرُجُ إِلَيْنَا مُعَبِّسًا قَدِ اشْتَمَلَ بِكِسَائِهِ فَيَجْلِسُ

---

(١) سمر بكسر السين والميم المشددة المفتوحة ذكرها ياقوت ونسب إليها محمد بن الجهم المذكور (٢) أي يفوح ما يتبخر به من عود ونحوه «عبد الخالق»

لَنَا عَلَى بَابِهِ وَنَجْلِسُ فِي التُّرَابِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ أَحْلَى فِي قُلُوبِنَا مِنَ الْأَحْمَرِ وَجَمِيلِ فِعْلِهِ .

وَحَدَّثَ سَلَمَةُ قَالَ : كَانَ الْأَحْمَرُ قَدْ أَمْلَى عَلَى النَّاسِ شَوَاهِدَ النَّحْوِ ، فَأَرَادَ الفَرَّاءُ أَنْ يُتَمِّمَهَا فَلَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ أَصْحَابُ الْكِسَائِيِّ كَمَا اجْتَمَعُوا لِلْأَحْمَرِ ، فَقَطَعَ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ . قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَخْبَرَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ عَاصِمٍ صَاحِبِ الفَرَّاءِ قَالَ : كَانَ بَيْنَ الفَرَّاءِ وَالْأَحْمَرِ تَبَاعُدٌ وَجَفَاءٌ ، فَحَجَّ الْأَحْمَرُ فَمَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَقِيلَ لِلْفَرَّاءِ : إِنَّ الْأَحْمَرَ قَدْ نُعِيَ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَرْجَعَ وَتَوَجَّعَ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ :

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُهُ صَدُوقاً سَخِيّاً ذَكِيّاً عَالِماً ذَا مُرُوءَةٍ وَمَوَدَّةٍ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — فَقِيلَ لَهُ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِ بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : وَاللهِ مَا يَمْنَعُنِي مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ الْحَقَّ ، وَمَا تَعَدَّيْتُ فِيهِ قَطُّ فِي قَوْلٍ ، وَلَا تَحَرَّيْتُ فِيهِ إِلَّا الصِّدْقَ قَبْلُ وَالْآنَ .

وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى الْأَحْمَرُ غُلَامُ الْكِسَائِيِّ لِنَفْسِهِ :

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ دُعُوا لِلنَّدِيِّ
وَفَاضَ السُّرُورُ بِأَرْضِ الطَّرَبْ

وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ قَالَ : وَقَرَأْتُ لَهُ أَيْضاً أَبْيَاتاً يَسِيرَةً ضَعِيفَةً .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ يَهْجُو الْكِسَائِيَّ وَالْأَحْمَرَ :

أَفْسَدَ النَّحْوَ الْكِسَائِيْـ ـيُ وَثَنَّى ابْنُ غَزَالَهْ[1]
وَأَرَى الْأَحْمَرَ تَيْساً فَاعْلِفُوا التَّيْسَ النُّخَالَهْ

وَقَالَ ثَعْلَبٌ : كَانَ الْأَحْمَرُ يَحْفَظُ الْأَرْبَعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ شَاهِدٍ فِي النَّحْوِ سِوَى مَا كَانَ يَحْفَظُ مِنَ الْقَصَائِدِ ، وَكَانَ مُقَدَّماً عَلَى الْقُرَّاءِ فِي حَيَاةِ الْكِسَائِيِّ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ التَّصْرِيفِ ، كِتَابُ تَفَنُّنِ الْبُلَغَاءِ .

(١) يعنى الأحمر

٢ - عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهُنَائِيُّ (١) *

على بن الحسن الهنائى

الْمَعْرُوفُ بِكُرَاعِ النَّمْلِ . مَنْسُوبٌ إِلَى هُنَاءَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ فَهْمِ بْنِ غُنْمِ بْنِ دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَهْرَانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ أَبُو الْحَسَنِ اللُّغَوِيُّ مَاتَ « أَخْلَى مَوْضِعَهُ » . وَجَدْتُ خَطَّهُ عَلَى الْمُنَضَّدِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَقَدْ كَتَبَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ . مُتَقَدِّمُ الْعَصْرِ فِي أَيَّامِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ فَقَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ

---

(١) فى كتاب الاشتقاق اسمه هناءة

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة صفحة ٥٤٠ بما يأتى قال :

يعرف بكراع النمل ، فأنه كان دميم الخلقة ، لغويا ، نحويا ، من علماء مصر ، خلط المذهبين ، وأخذ عن النحويين البصريين والكوفيين ، وكان إلى قول البصريين أميل ، وصنف كتباً فى اللغة روى فيها عن أبى يوسف الأصبهانى وأبى عبيد القاسم بن سلام ، وكتبه فى مصر مرغوب فيها ، وكذلك فى المغرب ، وكان خطه صحيحا قليل الخطأ ، وكان يورق تصانيفه ، لم أر له خطا فى غيرها ، ورأيت جزءا من كتابه المنضد من خطه ، وقد كتب فى آخره إنه أكمله تصنيفاً وورقه فى سنة تسع وثلاثمائة ، وتصانيفه ذكرها ياقوت .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٣

مِصْرَ وَكَانَ كُوفِيًّا وَأَخَذَ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ وَيُعْرَفُ بِالرَّوَّاسِيِّ (١) قَبِيلَةٌ مِنَ الْأَزْدِ، وَكُتُبُهُ بِمِصْرَ مَوْجُودَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْمُنَضَّدِ أَوْرَدَ فِيهِ لُغَةً كَثِيرَةً مُسْتَعْمَلَةً وَحُوشِيَّةً (٢)، وَرَتَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ أَلِفٍ بَاءٍ تَاءٍ ثَاءٍ إِلَى آخِرِ الْحُرُوفِ، ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابِ الْمُجَرَّدِ، ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابِ الْمُنَجَّدِ. وَلَهُ كِتَابُ أَمْثِلَةِ الْغَرِيبِ عَلَى أَوْزَانِ الْأَفْعَالِ أَوْرَدَ فِيهِ غَرِيبَ اللُّغَةِ، وَكِتَابُ الْمُصَحَّفِ، وَكِتَابُ الْمُنَظَّمِ.

﴿ ٣ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُضَيْلِ بْنِ مَرْوَانَ ﴾

علي بن الحسن الفارسي

فَارِسِيُّ الْأَصْلِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ وَقَالَ: لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْأَصْنَامِ وَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) في الفهرست: الدوسي وما في ياقوت أصح لنسبته إلى الأزد إذ فيهم الرواس

(٢) الحوشي من الكلمات: ما يعده علماء البلاغة غرابة « عبد الخالق »

﴿ ٤ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِىءُ * ﴾

علي بن الحسن المقرىء

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّجَّارِ فِي تَارِيخِ الْكُوفَةِ فَقَالَ : وَانْتَهَى تَارِيخُ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ إِلَى الطَّبَقَةِ الثَّامِنَةِ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِىءُ، وَكَانَ شَيْخاً مُبَارَكاً تَلَقَّنَ عَلَيْهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ فَوْقَ أَلْفِ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَكَانَ السَّبْقُ مِنَ الْعَصْرِ يَبِيتُ النَّاسُ لِلدَّرْسِ(١)، وَحَفَّظَ خَلْقاً عَظِيماً الْقُرْآنَ ، وَآخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يُونُسَ الْهُذَلِيُّ، وَكَانَ عَجِيبَ الْمَعْنَى لَفَّاظاً بِالْقُرْآنِ مُتَمَكِّناً مِنَ اللِّسَانِ ، وَقَدْ قَرَأَ بِالسَّبْعَةِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهٍ، وَقَرَأَ بِالشَّوَاذِّ(٢) أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي بِلَالٍ الْبُنْدَارُ ، وَهُوَ أَلَّفَ قِرَاءَةَ عَلِيِّ بْنِ حَسَنٍ أَحْسَنَ تَأْلِيفٍ

(١) المعنى أن الناس كانوا يتسابقون لحضور درسه حتى إن منهم من كان يبيت بمكانه حتى يدرك له مكانا (٢) لعله سقط ذكر « كذلك »

(*) راجع مرآة الزمان مجلد ١٣ صفحة ٢٨٠

وَصنفها أَتقنَ تصنيفٍ. وَمِنْ رِجالِ عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ أَبو العَبَّاسِ المَعْرُوفُ بِابْنِ المَزْرَفِيِّ المَخزُومِيُّ الخَرَّازُ وَكانَ أَحَدَ الأَبْدالِ الزُّهَّادِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْهُمْ أَبُو الحَسَنِ السِّمْسِمانِيُّ (١) المُعَدِّلُ

٥ – عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ يُلقَّبُ بِابْنِ المَاشِطَةِ *

على بن الحسن الكاتب

الكَاتِبُ، يُكْنَى أَبَا الحَسَنِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ: يُلقَّبُ بِابْنِ المَاشِطَةِ ظُلماً (٢)، كَانَ فِي أَيَّامِ المُقْتَدِرِ، وَلَهُ صِنَاعَةٌ فِي الخَرَاجِ وَتَقَدُّمٌ فِي الحِسَابِ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ جوَابِ المُعْنِتِ (٣)، كِتَابُ الخَرَاجِ لَطِيفٌ، كِتَابُ تَعْلِيمِ نَقْضِ المُؤَامَرَاتِ.

---

(١) نسبة إلى سمسم بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه رملة بالبحرين « عبدالخالق »

(٢) يريد ابن النديم أن يقول: إنه ظلم فى تلقيبه بابن الماشطة

(٣) من أعنته: أوقعه فى العنت وهو التعب وذلك لمن يسأل تحدياً لا استفهاما

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم صفحة ١٩٥

هو أبو الحسن، ولقبه المظلوم فيه ابن الماشطة ولم يكن بعيد العهد، وله صناعة وتقدم فى الحساب وصناعة الخراج، وله من الكتب: جواب المعنت، كتاب الخراج لطيف، كتاب تعليم نقض المؤامرات

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمَاشِطَةِ الْكَاتِبُ ، أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ السُّلْطَانِ ، الْعَالِمِينَ بِأُمُورِ الْكِتَابَةِ وَالْخَرَاجِ ، وَرَأَيْتُهُ شَيْخاً كَبِيراً بَعْدَ الْعَشْرِ وَالثَّلَاثِمِائَةِ ، وَجَاوَزَ التِّسْعِينَ وقَالَ :

إِذَا عُمِّرَ الْإِنْسَانُ تِسْعِينَ حِجَّةً
فَأَبْلِغْ بِهِ عُمْراً وَأَجْدِرْ بِهِ شُكْرَا
لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَالَ مُعْلِناً:
أَلَا إِنَّ رَبِّي وَاعِدٌ مِثْلَهُ غُفْرَا

وَقَالَ : وَكَانَ قَدْ عُزِلَ عَنْ عَمَلٍ كَانَ إِلَيْهِ وَحُبِسَ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتُ : الْحَبْسُ لَا عَجَبٌ
حَبْسُ الْكَرَامَةِ لَاحَبْسُ الْجِنَايَاتِ (١)
حَبْسُ الْعِمَالَةِ (٢) بَعْدَ الْعَزْلِ عَادَتُنَا
رَيْثَ التَّتَبُّعِ أَوْ رَفْعِ الْجَمَاعَاتِ

---

(١) لاعجب مفعول قلت ، والحبس مبتدا خبره حبس الكرامة

(٢) كان الغالب أن العامل إذا عزل حوسب وربما حبس واستصفى ماله ، فهو يقول : إن هذه صارت عادة « عبد الخالق »

وَلَهُ :

إِذَا ضَاقَ صَدْرِى بِالْحَدِيثِ أَفَضْتُهُ
إِلَى الْأَخِ وَالْإِخْوَانِ كَيْ أَجِدَ الرشْدَا
فَإِنْ كَتَمُوهُ كَانَ حَزْماً مُؤَيَّداً
وَإِنْ أَظْهَرُوهُ لَمْ أَخُنْ لَهُمُ[١] عَهْدَا
وَقُلْتُ اشْتَرَكْنَا فِي الْخَطَايَا بِذِكْرِهِ
فَأَلْزَمْتُهَا نَفْسِي لِأَنَّ لَهَا الْمَبْدَا[٢]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ الْكَاتِبَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمَاشِطَةِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِجَوَابِ الْمُعْنِتِ فِي الْكِتَابَةِ ، وَعَاشَ حَتَّى بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَانَ قَدْ تَقَلَّدَ مَكَانَ أَبِي فِي أَيَّامِ حَامِدٍ لَمَّا غَلَبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَلَى الْأُمُورِ قَالَ : سَمِعْتُ الْفَضْلَ بْنَ مَرْوَانَ وَزِيرَ الْمُنْتَصِرِ بِاللهِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ وَذَكَرَ خَبَراً وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

(١) في الأصل « لهما » فأبدلت بها لهم ولعل التثنية لاعتباره أن الاخ والاخوان شيئان (٢) في الاصل « الجدا »

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَاشِطَةِ وَكَانَ يَتَقَلَّدُ قَدِيماً الْعِمَالَاتِ ثُمَّ صَارَ مِنْ شُيُوخِ الْكُتَّابِ، وَتَقَلَّدَ فِي أَيَّامِ حَامِدِ بْنِ عَبَّاسٍ دِيوَانَ بَيْتِ الْمَالِ.

٦ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَ *

على بن الحسن المصرى

يُعْرَفُ بِعَلَّانٍ الْمِصْرِيِّ، ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: كَانَ نَحْوِيًّا مِنْ ذَوِي النَّظَرِ وَالتَّدْقِيقِ فِي الْمَعَانِي، وَكَانَ قَلِيلَ الْحِفْظِ لِأُصُولِ النَّحْوِ، فَإِذَا حَفِظَ الْأَصْلَ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ وَجَوَّدَ فِي التَّعْلِيلِ وَدَقَّقَ الْقَوْلَ مَاشَاءَ، مَاتَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ.

٧ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ حَبِيبٍ اللُّغَوِيُّ *

على بن الحسن الصقلى

أَبُو الْحَسَنِ الصِّقِلِّيُّ. ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَطَّاعِ فَقَالَ: أَحَدُ رِجَالِ اللُّغَةِ الْمَعْدُودِينَ وَالْعُلَمَاءِ بِهَا الْمُبَرِّزِينَ وَمِمَّنْ تَنَاوَلَ

(*) راجع أنباه الرواة صفحة ٥٤٠

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٥٥٣ قال:
هو أبو الحسن الصقلى، من أهل صقلية المقيمين بها
وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٢

الرَّمْىَ الْبَعِيدِ بِقُرْبِ فَهْمٍ ، وَأَوْضَحَ الْمُبْهَمَاتِ بِنُورِ عِلْمٍ ، وَكَانَ مُضْطَلِعاً بِنَقْدِ الشِّعْرِ وَمَعَانِيهِ ، نَاهِضاً بِأَعْبَاء الْغَرِيبِ وَمَبَانِيهِ ، فَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَهَابُ الْكَأْسَ أَشْرَبُهَا وَإِنِّى
لَأَجْرَأُ مِنْ أُسَامَةَ[1] فِى النِّزَالِ[2]
أُرَاوِغُهَا مُرَاوَغَةً كَأَنِّى
أُلَاقِى عِنْدَ ذَاكَ شَبَا[3] الْعَوَالِى

﴿ ٨ – عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ حَسُّولٍ * ﴾

علي بن الحسن بن حسول

أَبُو الْقَاسِمِ ، مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَسُّولٍ رُقْعَةٌ كَتَبَهَا إِلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ يَسْتَرْضِيهِ فِى شَىْءٍ وَجَدَهُ عَلَيْهِ : مَوْلَانَا الصَّاحِبُ الْأَجَلُّ كَافِى الْكُفَاةِ كَالْبَحْرِ يَتَدَفَّقُ ، وَالْعَارِضِ[4] يَتَأَلَّقُ[5] ، فَلَا عَتْبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْوِيهِ سَيْبُ[6]

(١) علم جنس للأسد (٢) النزال : القتال (٣) شبا العوالى : أطراف الرماح

(٤) العارض : السحاب (٥) أى يضىء (٦) أى عطاء

غَوَادِيهِ (١) أَنْ يَسْتَشْرِفَ (٢) لِلرَّائِحَاتِ (٣) الرَّوَاعِدِ مِنْ طَوْلِهِ (٤)، فَيَشِيمَ (٥) بَوَارِقَهَا وَيَسْتَمْطِرَ سَحَابَهَا، وَاللهُ تَعَالَى يُدِيمُ إِحْيَاءَ الْخَلْقِ بِصَوْبِ (٦) حَيَائِهِ، وَدِيَمِ (٧) أَنْوَائِهِ الْمُنْهَلَّةِ مِنْ فُتُوقِ سَمَائِهِ. وَكَانَ غَايَةُ مَا رَجَاهُ خَادِمُهُ وَتَمَنَّاهُ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى بَلَايَا أَحْدَقَتْ (٨) بِهِ، وَمَنَايَا حَدَّقَتْ (٩) إِلَيْهِ، وَأَجَلٍ نَازَلَ أَمَلَهُ، وَسَيْفٍ صَقِيلٍ تَلَمَّظَ (١٠) لَهُ، وَحِينَ كَفَاهُ مَوْلَانَا مِنْ ذَلِكَ مَا كَفَاهُ آخِذاً بِيَدَيْهِ، وَبَاسِطاً جَنَاحَ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ، طَالَبَتْهُ نَفْسُهُ بِتَوْقِيعِهِ الْعَالِي، لِيَتَوَقَّى (١١) بِهِ وَقَائِعَ اللَّيَالِي. فَتَصَدَّقَ أَدَامَ اللهُ تَمْكِينَهُ عَلَيْهِ بِتَوْقِيعَيْنِ فِي مُدَّةِ أُسْبُوعَيْنِ أَنْقَذَاهُ مَغْمُوراً، وَأَنْشَرَاهُ (١٢) مَقْبُوراً، وَقَدْ أَبْطَرَتْهُ (١٣) الْآنَ النِّعْمَةُ، وَنَزَتْ (١٤) بِهِ الْبِطْنَةُ، وَأَطْمَعَتْهُ فِي تَوْقِيعٍ ثَالِثٍ، فَطَمِعَ وَأَصْدَرَ كِتَابَهُ هَذَا وَانْتَظَرَ، فَإِنْ رَأَى مَوْلَايَ أَنْ يُحَقِّقَ رَجَاءَهُ وَيَسْتَغْنِمَ

(١) جمع غادية : السحب والمراد غوادى الشخص والضمير عائد على من
(٢) أى يتطلع (٣) السحائب (٤) عطائه وتطوله (٥) شام البرق : نظر إليه (٦) الصوب المطر (٧) جمع ديمة : معظم الماء . والمراد كرم الممدوح (٨) أى أحاطت (٩) أى نظرت بحدة (١٠) تلمظت الحية : أخرجت لسانها (١١) أى يتخذه وقاية (١٢) أحياه وبعثاه حالة كونه مقبورا
(١٣) البطر : سوء احتمال النعمة والطغيان بها (١٤) نزا به قلبه إلى كذا : طمح

دُعَاءَهُ وَدُعَاءَ مَنْ وَرَاءَهُ فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَقَّعَ الصَّاحِبُ عَلَى ظَهْرِهَا : سَيِّدِي أَبُو الْقَاسِمِ (١) ـ أَيَّدَهُ اللهُ ـ ، قَدَّمَ حُرْمَةً ، وَأَتْبَعَ عَثْرَةً ، وَأَظْهَرَ إِنَابَةً ، فَاسْتَحَقَّ إِقَالَةً ، فَعَادَ حَقُّهُ طَرِيًّا (٢) كَأَنْ لَمْ يَخْلَقْ ، وَظَنُّهُ قَوِيًّا كَأَنْ لَمْ يُخْفِقْ (٣) ، وَلَوْ حَضَرَ لَأَظْهَرْتُ مَبْسِمَ الرِّضَا عَلَيْهِ ، بِمَا أَصْرِفُهُ مِنْ مَزِيدِ الْبَسْطَةِ إِلَيْهِ ، وَإِذْ قَدْ غِبْتَ فَأَنْتَ لِي يَدُ حَقٍّ وَلِسَانُ صِدْقٍ ، فَنُبْ فِي ذَلِكَ مَنَابًا يَمْحُو آثَارَ السُّخْطِ كَأَنْ لَمْ تَشْهَدْ ، وَيُرْخِصُ أَخْبَارَ الْعَتْبِ كَأَنْ لَمْ تُعْهَدْ ، هَذَا وَأَحْسِبُ تَوْقِيعِي كَافِيًا فِيمَا أَمَّلَهُ ، وَمُغْنِيًا فِيمَا أَنَالَهُ أَمَلَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (٤) .

٩ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْقُهِسْتَانِيُّ (٥)

علي بن الحسن القهستاني

أَبُو بَكْرٍ الْعَمِيدُ ، أَحَدُ مَنْ أَشْرَقَ بِنُورِ الْآدَابِ شَمْسُهُ ، وَتَقَدَّمَ وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ بِالْفَضْلِ يَوْمُهُ وَأَمْسُهُ ،

---

(١) سيدى مبتدا (٢) أى جديدا لم يبل (٣) أخفق الرجل : غزا ولم يغنم ، والمراد خاب (٤) لا يعجبنى مثل هذا الأسلوب من الترسل فانه يزعج الذهن ويحمله ما يكده ليرجع الكلام بعضه إلى بعض وما هكذا الترسل على أن رسالة الصاحب فيها شىء من الجزالة (٥) نسبة إلى قوهستان بضم القاف وكسر الهاء وتخفف النسبة إليه فتحذف الواو « عبد الخالق »

وَسَمَا بِفَضْلِ أَدَبِهِ كُلَّ أَفَاضِلِ جِنْسِهِ ، مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ ، مَذْكُورٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَهُمْ لَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ ، وَلَا يُطْمَسُ بَذْرُهُ . وَكَانَ قَدْ اتَّصَلَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ مَحْمُودِ ابْنِ سُبُكْتِكِينَ بِوَلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ لَمَّا قَلَّدَهُ الْخُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى عُلُومِ الْأَوَائِلِ ، وَيُدْمِنُ النَّظَرَ فِي الْفَلْسَفَةِ، فَقُدِحَ فِي دِينِهِ وَمُقِتَ لِذَلِكَ . وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، وَلِيَ الْوِلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ . وَلَهُ أَشْعَارٌ فَائِقَةٌ وَرَسَائِلُ رَائِقَةٌ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمِزَاحِ ، رَاغِبًا فِي اللَّهْوِ وَالْمِرَاحِ [1] ، لَهُ فِي ذَلِكَ خَاطِرٌ وَقَّادٌ ، وَحِكَايَاتٌ مُتَدَاوَلَةٌ . وَقَدْ دُوِّنَتْ رَسَائِلُهُ ، وَشَاعَتْ فَضَائِلُهُ ، وَكَانَ يُدْمِنُ الْمِزَاحَ حَتَّى فِي مَجْلِسِ نَظَرِهِ ، وَكَانَ يُعَاتَبُ عَلَى ذَلِكَ فَلَا يَدَعُهُ لِغَلَبَةِ طَبْعِهِ عَلَيْهِ . وَكَانَ قَدْ تَوَلَّى الْعَرْضَ فَجَرَى يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَجْلِسِ الْعَرْضِ ذِكْرُ الْمُعَمَّى فَقَالَ : قَدْ كَانَ عِنْدِي الْبَارِحَةَ جَمَاعَةٌ « سَمَّاهُمْ » مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِمْ مِثَالًا يَصْعُبُ اسْتِخْرَاجُ مِثْلِهِ ، فَوَقَفُوا فِيهِ وَهُوَ :

(١) المراح بكسر الميم : البطر والأشر

مَلِيحَةُ القَدِّ وَالأَعْطَافِ قَدْ جَعَلَتْ
فِي الحِجْرِ طِفْلًا لَهُ رَأْسَانِ فِي جَسَدِ
قَدْ ضَيَّقَتْ مِنْهُ أَنْفَاسَ الخِنَاقِ بِلَا
جُرْمٍ وَتَضْرِبُهُ ضَرْبًا بِلَا حَرَدِ
فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ
كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَاضِغِ الأَسَدِ

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ سَاءَنِي وَاللهِ فُلَانٌ « لِرَجُلٍ أَسْمَاهُ » إِذْ لَمْ يَفْهَمْ هَذَا القَدْرَ . فَقَالَ لَهُ غُلَامٌ أَمْرَدُ مِنْ أَوْلَادِ الكُتَّابِ كَانَ يَتَعَلَّمُ فِي دِيوَانِهِ : قَدْ عَرَفْتُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ العَمِيدِ هَذَا المُعَمَّى وَهُوَ الطَّبْلُ : فَقَالَ لَهُ مُبَادِرًا كَأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَعَدَّ لَهُ ذَلِكَ : عَهْدِي بِكَ تَسْتَدْخِلُ الأَعْوَرَ ، فَكَيْفَ صِرْتَ تَسْتَخْرِجُ الأَعْمَى ؟ فَخَجِلَ الغُلَامُ وَضَحِكَ الحَاضِرُونَ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الفَضْلِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ القُهُسْتَانِيَّ أَنْشَدَ مَرَّةً بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ

بيتاً مِنَ المُعمى فلمْ يعرفهُ هوَ ولا نُدماؤهُ وهوَ :

دَقيقةُ السّاقِ لا عُروقَ لها

تَدوسُ رِزقَ الوَرَى بِهامتِها

فقالَ لهُ مُحمّدٌ : ما نفهمُ هذا ولا نعرفُ شيئاً يُشبهُهُ فَفَسِّرْهُ . قالَ : هوَ مِغرَفةُ البَاقِلانيِّ يَغرِفُ بِها الماءَ ويَهشِمُ بِرأسِها الخُبزَ والثّريدَ وهُوَ رِزقُ الوَرَى ، فاستبردَهُ وثَقُلَ عليهِ عدَمُ فهمِهِ لهُ ، وهوَ لَعَمري مُستبرَدٌ حقيقةً .
قالَ : وحدّثني أنّ هذا الرّجلَ كانَ يَتميّزُ على أهلِ خُراسانَ بِحُسنِ الأخلاقِ والسّخاءِ وكثرةِ المعروفِ والعَطاءِ . وكانَ الشُّعراءُ يَقصِدُونَهُ دائماً لِما اشتهرَ مِنْ سَماحتِهِ وفائضِ مُروءَتِهِ ، فأنشدَهُ بعضُ الشُّعراءِ قصيدةً باردةً غيرَ مَرضيّةٍ فغفلَ عنهُ وأخّرَ صِلتَهُ ، فكتبَ بيتينِ في رُقعةٍ وسألَ الدّواتيَّ أنْ يترُكَها في دَواتِهِ ، ففعلَ وكانَ البيتانِ :

أَبَا بَكْرٍ هَجَوْتُكَ لَا لِطَبْعِي
فَطَبْعِي عَنْ هِجَاءِ النَّاسِ نَابِ (١)
وَلَكِنِّي بَلَوْتُ الطَّبْعَ فِيهِ
فَإِنَّ السَّيْفَ يُبْلَى فِي الْكِلَابِ

فوقعت بيد العميد بعد أيام ، فلما وقف عليها استحسنها وسأل الدوانى عن الرجل فعرفه إياه فأمر بطلبه ، فقيل له إنه سافر ، فأرسل خلفه من استعاده من عدة فراسخ ، فلما دخل إليه قام له وأكرمه وتلقاه بالإجلال وقال : لو كان مديحك كهجائك لقاسمتك نعمتى ، فإنى ما سمعت بأحسن من هذين البيتين ، ووصله وأحسن جائزته ، فاستجرأ الناس عليه وقالوا : إنه لا يثيب إلا على الهجاء . قال : وكان أبو بكر القهستانى لهجا بالغلمان شديد الميل إليهم ، وكان لمحمد بن محمود سبعمائة غلام فى خيله فعلق العميد أحدهم وأحبه حبا مفرطا ولم

(١) أى بعيد لا يسوغه

يَسْتجرِئُ أَنْ يُبْدِيَ ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، فَاتَّفَقَ أَنْ عَادَ الْغِلْمَانُ يَوْماً مِنْ بَعْضِ التَّصَيُّدَاتِ فَلَقِيَهُمُ الْعَمِيدُ فِي صَحْنِ الدَّارِ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَرُبَ ذَلِكَ الْغُلَامُ مِنْهُ وَكَانَ قَدْ عَرَفَ مَيْلَهُ إِلَيْهِ فَقَرَصَ نَخْذَهُ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ مُشْرِفاً عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ، فَنَزَلَ وَاسْتَدْعَى الْخَدَمَ وَأَمَرَهُمْ بِضَرْبِهِ فَضَرَبُوهُ ضَرْباً مُسْرِفاً ثُمَّ أَنْفَذَهُ إِلَى الْعَمِيدِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَهَبْنَاهُ مِنْكَ وَصَفَحْنَا عَنْ ذَنْبِكَ، فَلَوْ لَمْ يُسَاعِدْكَ هَذَا الْفَاجِرُ عَلَى ذَلِكَ لَمَا أَمْكَنَكَ فِعْلُهُ، وَلَكِنْ لَا تَعُدْ إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَاسْتَحْيَا الْعَمِيدُ وَقَالَ: هَذَا أَعْظَمُ مِنَ الضَّرْبِ وَالْأَدَبِ وَتَأَخَّرَ عَنْ دَارِهِ حَيَاءً فَأَنْفَذَ مُحَمَّدٌ وَاسْتَدْعَاهُ وَبَسَطَهُ حَتَّى زَالَ انْقِبَاضُهُ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ لَا رَأْيَ لَهُ فِي الْغِلْمَانِ وَلَا مَيْلَ عِنْدَهُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ لِمَعْرِفَتِهِ بِمَحَبَّةِ الْعَمِيدِ لَهُمْ لَا يَزَالُ يَهَبُ مِنْهُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، وَشَكَا الْخَدَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ أَنَّ بَعْضَ الْغِلْمَانِ الدَّارِيَّةِ يُمَكِّنُ بَاقِيَ الْغِلْمَانِ مِنْ وَطْئِهِ وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَشَيَانِ فَقَالَ: أَيَفْعَلُ هَذَا طَبْعاً أَمْ

يَسْتَجْعِلُ[١] عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : بَلْ يَسْتَجْعِلُ عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ بِإِخْرَاجِهِ وَإِنْفَاذِهِ إِلَى الْعَمِيدِ وَقَالَ : قُولُوا لَهُ هَذَا بِكَ أَشْبَهُ لَا بِنَا ، نُخُذْهُ مُبَارَكًا لَكَ فِيهِ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْعَمِيدُ فِي الْمِيمَنْدِيِّ وَزِيرِ مَحْمُودٍ :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْوَزِيـ
ـرِ وَمِنْ ذَوِيهِ زَائِدَهْ[٢]
وَغَسَلْتُ مِنْ مَعْرُوفِهِمْ
كِلْتَا يَدَىَّ بِوَاحِدَهْ[٣]
وَضَرَبْتُهُمْ عُرْضَ الْجِدَا
رِ فَلَيْسَ فِيهِمْ فَائِدَهْ

وَمِنْ مَشْهُورِ قَوْلِهِ :

وَمُعَقْرَبِ الْأَصْدَاغِ[٤] فِي
خَدَّيْهِ وَرْدٌ يَنْتَثِرْ[٥]

---

(١) أى يأخذ عليه أجرة وجعلا (٢) كأنها مفعول مطلق . أى سآمة زائدة (٣) يريد بفعله واحدة (٤) الصدغ : الشعر المتدلى بجانب الأذن ويشبه بالواو فيقولون واوات الأصداغ وبالعقارب (٥) كأن المراد شبوعه فى خديه فهو منثور فيها

لَاعَبْتُهُ بِالْكَعْبَتَيْـ
ـنِ مُسَامِحًا حَتَّى قَمَرْ (١)
فَازْدَادَ حُسْنًا وَجْهُهُ
لَمَّا رَأَى حُسْنَ الظَّفَرْ
فَنَعَرْتُ (٢) نُعْرَةَ عَاشِقٍ
قَمَرَ الْقَمَرْ قَمَرَ الْقَمَرْ

وَلَهُ :

وَمُقَرْطَقٍ (٣) فِى صَحْنِ غُرَّةِ وَجْهِهِ
مُتَصَرِّفٌ صِرْفِ الْجَمَالِ وَتَحْتُهُ (٤)
عَاقَرْتُهُ (٥) أَسْكَرْتُهُ قَبَّلْتُهُ
جَدَّلْتُهُ (٦) فَقَحَتُّهُ سَرَّحْتُهُ

وَلَهُ مِنْ أَبْيَاتٍ كَانَ يُغَنَّى بِهَا فِى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ :

---

(١) الكعب والكعبة من أداة الألعاب وقمر غلب (٢) أى صاح وصوت بخيشومه (٣) قرطقه : ألبسه القرطق وهو قباء ذو طاق واحد معرب قرطه (٤) تقول وتحت فلاناً : بلغت منه ، وصرف الجمال صفة لمقرطق يريد خالص الجمال ومتصرف مبتدأ خبره فى صحن وهو اسم مكان (٥) أى ساقيته العقار : وهي الخمر (٦) ألقيته على الأرض

قُمْ يَا خَلِيلِي فَاسْقِنِي
كَشُعَاعِ خَدِّكَ مِنْ شَرَابِ[١]

فَلَقَدْ يَمُرُّ الْعَيْشُ مُنْـ
ـقَرِضاً وَلَا مَرَّ السَّحَابِ

فَانْعَمْ[٢] بِعَيْشِكَ مَا اسْتَطَعْـ
ـتَ وَلَا تُضِعْ شَرْخَ الشَّبَابِ

فَلَكَمْ أَضَعْتَ مِنَ الشَّبَا
بِ وَمَا اسْتَفَدْتَ سِوَى اكْتِئَابِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : ثُمَّ وَرَدَ الْعَمِيدُ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَوَائِلِ سِنِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ ، وَمَدَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَادِرَ بِاللهِ وَالْأَجَلَّ عَمِيدَ الرُّؤَسَاءِ أَبَا طَالِبِ بْنَ أَيُّوبَ كَاتِبَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ ، وَبَلَغَنِي الْآنَ فِي

(١) القصيدة من الكامل ولك إنشادها بقافية مقيدة أو مطلقة فان شئت سكنت حرف الروى « الباء » وإن شئت كسرته (٢) تمتع بالعيش ما دمت فى ريعان شبابك وهو معنى ردده الشعراء كثيرا ، قال المتنبى :

أنعم ولذ فللأمور أواخر أبدا إذا كانت لهن أوائل
ما دمت من أرب الحسان فإنما روق الشباب عليك ظل زائل

يريد أنعم فى الدنيا مادمت مرغوبا فيك من الحسان وما دمت راجعة إلى انعم « عبد الخالق »

سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ الْغُزِّ الْمُتَمَلِّكِينَ عَلَى خُرَاسَانَ وَخُوَارِزْمَ وَالْجَبَلِ ، وَأَنَّهُمْ عَرَضُوا عَلَيْهِ الْخِدَمَ الْجَلِيلَةَ فَاخْتَارَ مِنْهَا مَا يَظُنُّ مَعَهُ سَلَامَةَ الْعَاقِبَةِ وَالْخَلَاصَ مِنَ التَّبِعَةِ ، وَمِنْ قَصِيدَتِهِ فِي الْقَادِرِ :

وَلَمْ يَرَنِي ذُو مِنَّةٍ غَيْرُ خَالِقِي
وَغَيْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِبَابِهِ
غَنِينَا بِلَا دُنْيَا عَنِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
وَإِنْ مَا الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ [١]

وَمِمَّا بَلَغَنِي مِنْ شِعْرِهِ :

رَأَيْتُ عَمَّاراً وَلَيْتِي لَمْ أَرَهْ
حَازَ لِتِلْكَ الطَّلْعَةِ الْمُنْكَرَهْ
لَا أَحْمَدُ اللهَ عَلَى خَلْقِهِ
فَلَوْ أَرَادَ الْحَمْدَ مَا صَوَّرَهْ

---

(١) بيان المراد أن الغنى هو الاستغناء عن الشيء لا مايظنه الناس من أنه الاستيلاء على الشيء وإن مخففة من إن اسمها محذوف والجملة بعدها خبر مفيدة للقصر

وَلَهُ يهْجُو ابْنَ كَثِيرٍ العَارِضَ(١) :

فَلَسْنَا نُرَجّى الْخَيْرَ مِنْ إِبْنِ وَاحِدٍ
فَكَيْفَ نُرَجِّيهِ مِنِ ابْنِ كَثِيرِ

وَلَهُ فِيهِ :

وَطُولٌ بِلَا طَوْلٍ وَعَرْضٌ بِلَا عِرْضِ(٢)

وَهَجَاهُ بِأَبْيَاتٍ تُصَحَّفُ :

مَالِى وَهذَا الْعَارِضَ بْنَ كَثِيرِ
شَيْخَ الْعَمِيدِ وَمَا لَهُ يَشْنَانِى(٣)
وَهُوَ الْفُؤَادُ بِرُوحِهِ وَأُحِبُّهُ
وَيَتِيهُ أَيْنَ رَأَيْتُهُ وَرَآنِى
وَيَغُضُّ مِنْ قَدْرِى وَيُخْمِلُ جَاهِدًا
ذِكْرِى وَيُخْفِى فِى الْجَنَانِ جِنَانِى
يُرِيدُ فِى الْخَنَانِ خِنَانِى .

---

(١) العارض : من يعرض الأوراق على سيده (٢) العرض : موضع المدح والذم من الأنسان . يريد ولا شرف (٣) أى يبغضنى

﴿ ١٠ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْوَحْشِيِّ ﴾

﴿ النَّحْوِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ﴾ *

على بن الحسن الوحشى

أَبُو الْفَتْحِ . قَالَ السِّلَفِيُّ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَرَجِ هِبَةُ اللهِ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْحَدَّادِ الْكَاتِبُ بِثَغْرِ آمِدَ قَالَ : أَنْشَدَنِي ابْنُ الْوَحْشِيِّ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ :

أَبْكِي عَلَى الرَّبْعِ قَدْ أَقْوَى (١) كَأَنِّي مِنْ
سُكَّانِهِ أَوْ كَأَنْ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ

لَا تَلْحَنِي فِي بُكَائِيهِ فَسَاكِنُهُ
لَمْ أُلْفِهِ هَاجِرِي يَوْماً فَأَهْجُرُهُ

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٣

راجع أنباه الرواة ج أول صفحة ٥٤٧

(١) أقوى : خلا

﴿ ١١ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الطَّيِّبِ ﴾
﴿ الْبَاخَرْزِيُّ السِّنْخِيُّ * ﴾

على بن الحسن الباخرزى

أَبُو الْحَسَنِ ، « وَقَالَ : أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ كُنْيَةُ الْبَاخَرْزِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ وَهُوَ الصَّحِيحُ » . وَبَاخَرْزُ مِنْ نَوَاحِي نَيْسَابُورَ ، ذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ فِي الْخَرِيدَةِ فَقَالَ : وَهُوَ الَّذِي صَنَّفَ كِتَابَ دُمْيَةِ الْقَصْرِ فِي شُعَرَاءِ الْعَصْرِ ، قَالَ : وَطَالَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِأَصْفَهَانَ فِي دَارِ الْكُتُبِ الَّتِي لِتَاجِ الْمُلْكِ

(*) ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية جزء ثالث صفحة ٢٩٨ قال :

هو أبو الحسن الباخرزى الأديب ، مصنف دمية القصر . وباخرز ناحية من نواحى نيسابور والدمية ذيل على تتمة الثعالبى . تفقه على الشيخ أبى محمد الجوينى ثم أخذ فى الأدب وتنقلت به الأحوال إلى أن قتل بباخرز فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة وله شعر ذكره ياقوت عدا البيت التالى :

بصورة الوثن استعبدتنى وبها ... فتنتنى وقديما هجت لى شجنا

وقال أيضا :

عجبت من دمعتى وعينى ... من قبل بين وبعد بين
قد كان عينى بغير دمع ... فصار دمعى بغير عين

وقال أيضا :

أصبحت عبدا لشمس ... ولست من عبد شمس
أنى لأعشق شيء ... وحق من شق خمسى

يريد إنى لأعشق إنسان ، وعليك إدراك ركة المعنى والأسلوب « عبد الخالق »

بِجَامِعِهَا ، وَبَعَثَنِي ذَلِكَ عَلَى تَأْلِيفِ كِتَابِي هَذَا ، « يَعْنِي كِتَابَهُ الَّذِي نَقَلْتُ هَذَا مِنْهُ ، وَسَمَّاهُ خَرِيدَةَ الْقَصْرِ فِي شُعَرَاءِ الْعَصْرِ » . قَالَ : وَمَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَالَ : قُتِلَ فِي مَجْلِسِ أُنْسٍ بِبَاخَرْزَ وَذَهَبَ دَمُهُ هَدَراً قَالَ : وَكَانَ وَاحِدَ دَهْرِهِ فِي فَنِّهِ ، وَسَاحِرَ زَمَانِهِ فِي قَرِيحَتِهِ وَذِهْنِهِ ، صَاحِبَ الشِّعْرِ الْبَدِيعِ ، وَالْمَعْنَى الرَّفِيعِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبْنَاءَ الْعَصْرِ بِأَصْفَهَانَ مَشْغُوفِينَ بِشِعْرِهِ ، مُتَيَّمِينَ بِسِحْرِهِ ، وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْوَزِيرِ الْكُنْدُرِيِّ ، وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ بُرْهَةً ثُمَّ شَرَعَ فِي الْكِتَابَةِ مَعَهُ مُدَّةً ، وَاخْتَلَفَ إِلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ فِي الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ ، وَلَهُ دِيوَانٌ كَبِيرٌ وَمِمَّا أَوْرَدَهُ فِي دُمْيَةِ الْقَصْرِ لِنَفْسِهِ :

وَلَقَدْ جَذَبْتُ إِلَيَّ عَقْرَبَ صُدْغِهَا
فَوَجَدْتُهَا جَرَّارَةً (١) مَجْرُورَهْ

---

(١) تجر الناس إليها ويريد بمجرورة : سهولتها وانقيادها

وَكَشَفَتْ لَيْلَةَ جَلْوَةٍ عَنْ سَاقِهَا
فَرَأَيْتُهَا مِمْكَارَةً (١) مَمْكُورَةً (٢)

قَالَ: وَمِمَّا أَنْشَدَنْتُ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

زَكَاةُ رُءُوسِ النَّاسِ فِي عِيدِ فِطْرِهِمْ
يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَاعٌ مِنَ الْبُرِّ
وَرَأْسُكِ أَغْلَى قِيمَةً فَتَصَدَّقِي
بِفِيكِ عَلَيْنَا فَهُوَ صَاعٌ مِنَ الدُّرِّ

وَقَالَ فِي عِذَارِ غُلَامٍ يَكْتُبُ خَطًّا مَلِيحًا:

قَدْ قُلْتُ لَمَّا فَاقَ خَطُّ عِذَارِهِ
فِي الْحُسْنِ خَطَّ يَمِينِهِ الْمُسْتَمْلَحَا
مَنْ يَكْتُبُ الْخَطَّ الْمَلِيحَ لِغَيْرِهِ
فَلِنَفْسِهِ لَا شَكَّ يَكْتُبُ أَمْلَحَا

وَلَهُ:

قَالُوا الْتَحَى (٣) وَمَحَا الْإِلَٰهُ جَمَالَهُ
وَكَسَاهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ وَمَحَاقِ

---

(١) الممكارة : ذات الساق الحسناء الغليظة ، وفى الاصل مكارة « عبد الخالق »

(٢) المكورة المستديرة : الساقين (٣) نبتت لحيته

كَتَبَ الزَّمَانُ عَلَى مَحَاسِنِ خَدِّهِ
هَـذَا جَزَاءُ مُعَذِّبِ الْعُشَّاقِ

وَلَهُ :

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا
نُجْحُ الْأُمُورِ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فَالْيَوْمَ حَاجَتُنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
يُدْعَى الطَّبِيبُ لِكَثْرَةِ الْأَوْصَابِ (١)

وَلَهُ :

يَرُوقُكَ بِشْراً وَهُوَ جَذْلَانُ مِثْلَمَا
تَخَافُ شَبَاهُ (٢) وَهُوَ غَضْبَانُ مُحْنَقُ
كَذَا السَّيْفُ فِي أَطْرَافِهِ الْمَوْتُ كَامِنٌ
وَفِي مَتْنِهِ ضَوْءٌ يَرُوقُ وَرَوْنَقُ

وَلَهُ :

قَالَتْ وَقَدْ سَاءَلْتُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ
لَاقَيْتُهُ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي

---

(١) هذان البيتان للزبير بن بكار يقولها للفتح بن خاقان . ويروى لشدة الأوصاب (٢) شبا كل شیء : حده . وشبا السيف : حده الذی يقطع

أَنَا فِى فُؤَادِكَ فَارْمِ طَرْفَكَ نَحْوَهُ
تَرَنِى فَقُلْتُ لَهَا وَأَيْنَ فُؤَادِى

وَقَالَ يَصِفُ الشِّتَاءَ وَالْبَرْدَ :

لَبِسَ الشِّتَاءُ مِنَ الْجَلِيدِ جُلُودَا
فَالْبَسْ فَقَدْ بَرَدَ الزَّمَانُ بُرُودَا (١)
كَمْ مُؤْمِنٍ قَرَصَتْهُ أَظْفَارُ الشِّتَا
فَغَدَا لِأَصْحَابِ الْجَحِيمِ حَسُودَا
وَتَرَى طُيُورَ الْمَاءِ فِى أَرْجَائِهَا
تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّفُّودَا (٢)
فَإِذَ رَمَيْتَ بِسُؤْرِ كَأْسِكَ فِى الْهَوَا
عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ (٣) عُقُودَا
يَا صَاحِبَ الْعُودَيْنِ لَا تُهْمِلْهُمَا
حَرِّقْ لَنَا عُوداً وَحَرِّكْ (٤) عُودَا

(١) برود جمع برد « الثوب » (٢) هو حديدة يشوى عليها اللحم جمعها سفافيد
(٣) أى تجمدت قطراته فصارت كعقود العقيق (٤) العود الأول : الحطب
للدفء . والثانى آلة الطرب « المزهر » للسماع

وَمِنْ غَيْرِ كِتَابِ الخَرِيدَةِ مِمَّا رُوِيَ لَهُ :

إِنْسَانُ عَيْنِي قَطُّ مَا يَرْتَوِي
مِنْ مَاءِ وَجْهٍ مَلُحَتْ [1] عَيْنُهُ
كَذَلِكَ الإِنْسَانُ مَا يَرْتَوِي
مِنْ شُرْبِ مَاءٍ مَلُحَتْ [2] عَيْنُهُ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَلَمَّا وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَدَحَ القَائِمَ بِأَمْرِ اللهِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي صَدَّرَهَا دِيوَانَهُ وَهِيَ :

عِشْنَا إِلَى أَنْ رَأَيْنَا فِي الْهَوَى عَجَبًا
كُلَّ الشُّهُورِ وَفِي الأَمْثَالِ عِشْ رَجَبًا [3]
أَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنِّي ضُحَى ارْتَحَلُوا
أَوْقَدْتُ مِنْ مَاءِ دَمْعِي فِي الْحَشَا لَهَبًا
وَأَنَّ أَجْفَانَ عَيْنِي أَمْطَرَتْ وَرِقًا [4]
وَأَنَّ سَاحَةَ خَدِّي أَنْبَتَتْ ذَهَبًا [5]

---

(١) من الملاحة والحسن . والعين : الباصرة (٢) من الملوحة . والعين : عين الماء التي تنبع من الأرض (٣) المثل : « عش رجبا تر عجبا » يريد إنا رأينا الشهور كلها عجباً مع أن المثل : « بين جمادى ورجب ترى العجب » (٤) الورق : الفضة ، يريد دمعا في صفاء الفضة (٥) لما تلا رحيلهم من صفرة وجه الشبيهة بالذهب « عبد الخالق »

وَإِنْ تَلَهَّبَ بَرْقٌ مِنْ جَوَانِبِهِمْ
تَوَقَّدَ الشَّوْقُ فِي جَنْبَيَّ وَالْتَهَبَا

قَالَ: فَاسْتَهْجَنَ الْبَغْدَادِيُّونَ شِعْرَهُ وَقَالُوا: فِيهِ بُرُودَةُ الْعَجَمِ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْكَرْخِ وَسَكَنَهَا وَخَالَطَ فُضَلَاءَهَا وَسُوقَتَهَا مُدَّةً وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَاقْتَبَسَ مِنِ اصْطِلَاحَاتِهِمْ ثُمَّ أَنْشَأَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا:

هَبَّتْ عَلَيَّ صَبًا تَكَادُ تَقُولُ
إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الْحَبِيبِ رَسُولُ
سَكْرَى تَجَشَّمَتِ الرُّبَى لِتَزُورَنِي
مِنْ عِلَّتِي وَهُبُوبُهَا تَعْلِيلُ

فَاسْتَحْسَنُوهَا وَقَالُوا: تَغَيَّرَ شِعْرُهُ وَرَقَّ طَبْعُهُ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

حَمْلُ الْعَصَا لِلْمُبْتَلَى بِالشَّيْبِ عُنْوَانُ الْبِلَى
وُصِفَ الْمُسَافِرُ أَنَّهُ أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلَا
فَعَلَى الْقِيَاسِ سَبِيلُ مَنْ حَمَلَ الْعَصَا أَنْ يَرْحَلَا

وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ زَيْدٌ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ مَشَارِبِ التَّجَارِبِ، وَأَخْبَارِ الْوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ

الكُنْدُرِيّ « وَكُنْدُرُ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ طُرَيْثِيث » قَالَ: كَانَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ شَرِيكَهُ فِي مَجْلِسِ الْإِفَادَةِ مِنَ الْإِمَامِ الْمُوَفَّقِ النَّيْسَابُورِيِّ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَجَاءَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ فَقَالَ مُدَاعِباً:

أَقْبَلَ مِنْ كُنْدُرٍ مُسَيْخِرَةٌ
لِلنَّحْسِ فِي وَجْهِهِ عَلَامَاتُ
يَحْضُرُ دُورَ الْأَمِيرِ وَهْوَ فَتًى
مَوْضِعُ أَمْثَالِهِ الْخَرَابَاتُ
فَهْوَ جَحِيمٌ وَدُبْرُهُ سَعَةً
كَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ

قَالَ: وَكَانَ أَوَّلُ عَمَلِ الْكُنْدُرِيِّ حَجَبَةَ الْبَابِ ثُمَّ تَمَكَّنَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَكَ وَصَارَ وَزِيراً مُحَكَّماً فَوَرَدَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ وَهُوَ بِبَغْدَادَ فِي صَدْرِ الْوَزَارَةِ فِي دِيوَانِ السُّلْطَانِ، فَلَمَّا رَآهُ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ: أَنْتَ صَاحِبُ « أَقْبَلَ » ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، فَقَالَ الْوَزِيرُ: مَرْحَباً وَأَهْلاً

فَإِنِّي قَدْ تَفَاءَلْتُ بِقَوْلِكَ « أَقْبَلَ » ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ قَبْلَ إِنْشَادِهِ وَقَالَ لَهُ : عُدْ غَدًا وَأَنْشِدْ ، فَعَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَأَنْشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ :

أَقْوَتْ مَعَاهِدُهُمْ بِشَطِّ الْوَادِي
فَبَقِيتُ مَقْتُولًا وَشَطَّ[1] الْوَادِي
وَسَكِرْتُ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ وَرَقَّصَتْ
عَيْنِي الدُّمُوعَ عَلَى غِنَاءِ الْحَادِي

وَمِنْهَا :

فِي لَيْلَةٍ مِنْ هَجْرِهِ شَتَوِيَّةٍ[2]
مَمْدُودَةٍ مَخْضُوبَةٍ بِمِدَادِ
عَقِمَتْ بِمِيلَادِ الصَّبَاحِ وَإِنَّهَا
فِي الِامْتِدَادِ كَلَيْلَةِ الْمِيلَادِ

وَمِنْهَا :

غَرَّ الْأَعَادِي مِنْهُ رَوْنَقُ بِشْرِهِ
وَأَفَادَهُمْ بَرْدًا عَلَى الْأَكْبَادِ

---

(١) شطت الدار : بعدت (٢) يقال في النسب إلى شتوة : شتوى ويحرك

هَيْهَاتَ لَايَخْدَعُهُمْ إِيمَاضُهُ (١)
فَالْغَيْظُ تَحْتَ تَبَسُّمِ الْآسَادِ

فَالْبَهْوُ (٢) مِنْهُ بِالْبَهَاءِ مُوَشَّحٌ
وَالسَّرْحُ (٣) مِنْهُ مُورِقُ الْأَعْوَادِ

وَإِذَا شَيَاطِينُ الضَّلَالِ تَمَرَّدُوا
خَلَّاهُمُ قُرَنَاءَ (٤) فِي الْأَصْفَادِ

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَ عَمِيدُ الْمُلْكِ لِأُمَرَاءِ الْعَرَبِ: لَنَا مِثْلُهُ فِي الْعَجَمِ، فَهَلْ لَكُمْ مِثْلُهُ فِي الْعَرَبِ؟ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ مَغْرِبِيَّةٍ (٥) قَالَ: وَكَانَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ قَدْ بَعَثَ وَزِيرَهُ الْكُنْدُرِيَّ وَكِيلًا فِي الْعَقْدِ عَلَى بِنْتِ «خُوَارِزْمشَاه» فَوَقَعَ إِرْجَافٌ (٦) وَرُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ أَنَّ عَمِيدَ الْمُلْكِ زَوَّجَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَانَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا كَانَ، فَتَغَيَّرَ رَأْيُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ فَحَلَقَ عَمِيدُ الْمُلْكِ لِحْيَتَهُ

(١) الأيماض: لمع البرق. إستعارة للابتسام ومعنى هـذا البيت هو قول الشاعر:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

(٢) البهو: البيت المقدم أمام البيوت (٣) كل شجر لا شوك فيه

(٤) أى مكبلين فى القيود (٥) لعله: معزية (٦) أرجف القوم فى الشيء: خاضوا فيه، والارجاف واحد الأراجيف: أى أخبار الفتن والشر

وَجَبَّ مَذاكيرَه حَتَّى سَلِمَ مِنْ سِيَاسَةِ السُّلْطَانِ ، فَمَدَحَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ بِهَذَا النُّقْصَانِ وَمَا سَبَقَهُ بِهَذَا المَعْنَى أَحَدٌ حَيْثُ قَالَ :

قَالُوا مَحَا السُّلْطَانُ عَنْهُ بَعْدَكُمْ
سِمَةَ الفُحُولِ وَكَانَ قَرْماً صَائِلا
قُلْتُ اسْكُتُوا فَالآنَ زَادَ فُحُولَةً
لَمَّا اغْتَدَى عَنْ أُنْثَيَيْهِ (١) عَاطِلا
فَالفَحْلُ يَأْنَفُ أَنْ يُسَمَّى بَعْضُهُ
أُنْثَى لِذَلِكَ جَذَّهُ (٢) مُسْتَأْصِلا

وَلَمَّا قَتَلَ السُّلْطَانُ الْبَرْسَلَانُ (٣) الْوَزِيرَ أَبَا نَصْرٍ الْكُنْدُرِيَّ قَالَ الْبَاخَرْزِيُّ يُخَاطِبُ السُّلْطَانَ :

وَعَمُّكَ أَدْنَاهُ وَأَعْلَى مَحَلَّهُ
وَبَوَّأَهُ مِنْ مُلْكِهِ كَنَفاً رَحْبَا
قَضَى كُلُّ مَوْلًى مِنْكُمُ حَقَّ عَبْدِهِ
نَخَوَّلَهُ الدُّنْيَا وَخَوَّلْتَهُ الْعُقْبَى

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا مَعْنًى لَطِيفٌ وَمَقْصِدٌ ظَرِيفٌ ،

(١) أى خصيتيه (٢) أى قطعه (٣) فى كثير من كتب التواريخ وفى معجم البلدان أنه ألب أرسلان

فَلِلّهِ دَرُّ الشُّعَرَاءِ وَقَرَائِحِهِمْ وَالْأُدَبَاءِ وَمَنَائِحِهِمْ .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ آلَاتِ تَنَاسُلِ الْكُنْدُرِيِّ مَدْفُونَةٌ بِخُوَارِزْمَ ، وَدَمُهُ مَصْبُوبٌ بِمَرْوِ الرُّوذِ ، وَجَسَدُهُ مَقْبُورٌ بِقَرْيَةِ كُنْدُرَ مِنْ طُرَيْثِيثَ ، وَجُمْجُمَتُهُ وَدِمَاغُهُ مَدْفُونَانِ بِنَيْسَابُورَ ، وَشَوَاتُهُ (١) مَحْشُوَّةٌ بِالتِّبْنِ وَقَدْ نُقِلَتْ إِلَى كَرْمَانَ فَدُفِنَتْ هُنَاكَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ فِي ذَلِكَ :

مُفْتَرِقًا فِي الْأَرْضِ أَجْزَاؤُهُ
بَيْنَ قُرًى شَتَّى وَبُلْدَانِ
جَبَّ خُوَارِزْمُ (٢) مَذَاكِيرَهُ
طُغْرُلْبَكٌ ذَاكَ الْمَلِكُ الْفَانِي
وَمَصَّ مَرْوُ الرُّوذِ مِنْ جِيدِهِ
مُعَصْفَرًا يَخْضِبُهَا قَانِي
فَالشَّخْصُ فِي كُنْدُرَ مُسْتَبْطَنٌ
وَرَاءَ أَرْمَاسٍ وَأَكْفَانِ
وَرَأْسُهُ طَارَ وَلَهْفِي عَلَى
مُجْتَمِهِ فِي خَيْرِ جُثْمَانِ

(١) الشواة واحدة الشوى : قحف الرأس أى جلدته (٢) فى الأصل « بخوارزم » والباء تكسر البيت فحذفتها ، وجعلت خوارزم فاعلا على التجوز العقلى ، والعلاقة المكانية « عبد الخالق »

خَلَوْا بِنَيْسَابُورَ مَضْمُونَهُ

وَقِحْفُهُ الخَالِى بِكَرْمَانِ

وَالْحُكْمُ لِلْجَبَّارِ فِيمَا مَضَى

وَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَانِ

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فَائِقَةٍ يَمْدَحُ فِيهَا الشَّرِيفَ ذَا الْمَجْدَيْنِ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، نَقِيبَ الطَّالِبِيِّينَ بِمَرْوَ « وَفِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُنْيَةَ الْبَاخَرْزِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ » أَوَّلُهَا :

حِيَالَكَ مِنْ تَحْتِ ذَيْلِ الْحُبَى (١) شُعَاعٌ كَحَاشِيَةِ الْمَشْرَفِىِّ (٢)

وَيَقُولُ فِيهَا :

وَسُقْتُ الرَّكَائِبَ حَتَّى أَنَخْنَ

بِسَبْطِ الْأَنَامِلِ سِبْطِ النَّبِيِّ

---

(١) جمع حبوة: وهى مايحتبي به الرجل من عمامة أو ثوب (٢) أى السيف ، يقول : إن نوره يشع من تحت ذيل حبوته كما يشع ضوء المشرفى ويتألق . وحاشية الشىء : طرفه وجانبه والحيال : الناحية فهو ظرف راجع إلى شعاع أى شعاع حيالك « عبد الخالق »

عَلِيِّ بْنِ مُوسَى مُوَاسِي[١] الْعُفَاةِ[٢]

أَبِي الْقَاسِمِ السَّيِّدِ الْمُوسَوِيِّ

وَمِنْهَا :

نَمَاهُ[٣] الْفَخَارُ إِلَى جَدِّهِ

عَلِيٍّ[٤] فَطَارَ بِجَدٍّ عَلِيّ[٥]

وَلَا يَتَأَشَّبُ[٦] عِيصٌ[٧] السَّرِيُّ[٨]

إِذَا هُوَ لَمْ يَكُنِ ابْنَ السَّرِيِّ

أَبَا قَاسِمٍ يَا قَسِيمَ السَّخَاء

إِذَا جَفَّ ضَرْعُ الْغَمَامِ الْحَبِيِّ[٩]

وَفَدْتُ إِلَيْكَ مَعَ الْوَافِدِينَ

وُفُودَ الْبِشَارَةِ غِبَّ النَّعِيِّ[١٠]

وَزَارَكَ مِنِّي سَمِيٌّ كَنِيٌّ[١١]

فَرَاعِ حُقُوقَ السَّمِيِّ الْكَنِيِّ

---

(١) إسم فاعل من واساه : ساعده (٢) جمع عاف : وهو الفقير (٣) عزاه ونسبه (٤) على : هو الأمام على كرم الله وجهه (٥) أى رفيع (٦) تأشب الشجر: التف واجتمع (٧) العيص : الأصل (٨) أى الشريف الوجيه . والمعنى لايجتمع شرف الأصل لشريف مالم يكن ابن شريف (٩) الحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذى بعضه فوق بعض . (١٠) الذى يخبر بموت المائت (١١) من اسمه وكنيته كاسمك وكنيتك

فَهَذِى الْقَصِيدَةُ بِكْرٌ تَصِلُ(١)

عَلَى نَحْرِهَا حَصَيَاتُ الْحُلِىّْ

جَعَلْتُ هَوَاكَ جِهَازاً لَهَا

فَجَاءَتْكَ مَائِسَةً كَالْهَدِىّْ(٢)

سَحَرْتُ بِهَا أَلْسُنَ السَّامِرِينَ

وَلَمْ أَتْرُكِ السِّحْرَ لِلسَّامِرِىّْ(٣)

وَلَمَّا نَشَرْتُ أَفَاوِيقَهَا(٤)

طَوَى النَّاسُ دِيبَاجَةَ(٥) الْبُحْتُرِىّْ

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى سَعْدٍ لِأَبِى الْقَاسِمِ الْبَاخَرْزِىِّ وَكَنَاهُ أَبَا الْحَسَنِ :

---

(١) يريد أن قصيدته بكر لم يسبقه إليها أحد وأن أبياتها درر « حصيات » من الحلى تصل صليل السيوف ولها صوت حسن « عبد الخالق »

(٢) العروس . يقال هدى العروس إلى بعلها : زفها إليه

(٣) السامرى : الذى فتن بنى إسرائيل (٤) لعل الأفاويق جمع فواق ، من فاق بنفسه فواقا : إذا كانت على الخروج أو مات وهذا يناسبها نشرت ، وكنت على وشك أن أجعلها أقاويلها جمع أقوال جمع قول وتكون نشرت بمعنى أبرزت غير أنى أبقيتها ونبهت على ما كنت أريده ليكون للقارىء الخيار « عبد الخالق »

(٥) أى حسن الأسلوب وعذوبته

يَا فَالِقَ الصُّبْحِ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ (١)
وَجَاعِلَ اللَّيْلِ مِنْ أَصْدَاغِهِ سَكَنَا
لَا غَرْوَ أَنْ أَحْرَقَتْ نَارُ الْهَوَى كَبِدِي
فَالنَّارُ حَقٌّ عَلَى مَنْ يَعْبُدُ الْوَثَنَا

وَأَنْشَدَ لَهُ وَكَنَّاهُ أَبَا الْقَاسِمِ :

كَتَبْتُ وَخَطِّي حَاشَ وَجْهَكَ شَاهِدٌ
بِأَنَّ بَنَانِي مِنْ أَذَى السُّقْمِ مُرْتَعِشْ (٢)
وَنَفْسِيَ إِنْ تَأْمُرْ تَعِشْ فِي سَلَامَةٍ
فَأَهْدِ لَهَا مِنْكَ السَّلَامَ وَمُرْ تَعِشْ (٣)

﴿ ١٢ — عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ صَدَقَةَ * ﴾

علي بن الحسن الوزير

الْوَزِيرُ ابْنُ الْوَزِيرِ أَبُو الْحَسَنِ ، لَمْ يَسْتَقِلَّ بِالْوَزَارَةِ إِنَّمَا نَابَ عَنْ أَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ وَزِيرَ الْمُسْتَرْشِدِ ، وَكَانَ

(١) هي بياض في جبين الفرس والمراد وجهه (٢) من الارتعاش والاضطراب
(٣) مر فعل أمر ، تعش فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر
(*) راجع مرآة الزمان صفحة ٢٦١ مجلد ١٢

فِى أَبِيهِ كِفَايَةٌ وَشَهَامَةٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى الْوَزَارَةَ مِنْ بَنِى صَدَقَةَ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُلَقَّبُ جَلَالَ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ يُلَقَّبُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ ، وَلَمَّا مَاتَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ دَخَلَ الْأَقْفَاصِىُّ الشَّاعِرُ الْمَوْصِلِىُّ إِلَى قَبْرِهِ وَقَالَ وَهُوَ يَبْكِى :

نَزُورُكَ فِى ثَوْبَىْ خُشُوعٍ وَذِلَّةٍ
كَأَنَّكَ تُرْجَى فِى الضَّرِيحِ وَتُرْهَبُ
وَنَلْثِمُ تُرْبًا مِنْ رَفِيعٍ مُحَجَّبٍ
كَمَا يُلْثَمُ الْبَيْتُ الرَّفِيعُ الْمُحَجَّبُ
وَنُثْنِى بِمَا قَدْ كُنْتَ مُمْتَدَحًا بِهِ
فَيُحْزِنُنَا مِنْكَ الَّذِى كَانَ يُطْرِبُ

وَمَاتَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَأَمَّا شَرَفُ الدَّوْلَةِ فَقَالَ السَّمْعَانِىُّ فِى تَارِيخِهِ : هُوَ غَزِيرُ الْفَضْلِ وَافِرُ الْعَقْلِ ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ ، حَسَنُ الْخَطِّ مَلِيحُهُ ، دَيِّنٌ خَيِّرٌ مَشْغُولٌ بِالْعِبَادَةِ وَالْعُزْلَةِ ، سَمِعَ بِقِرَاءَتِى بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَبَغْدَادَ عَلَى الْمَشَايِخِ ، وَسَمِعَ أَبَا الْقَاسِمِ الرَّبَعِىَّ ، كَتَبْتُ عَنْهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ :

فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قُلْتُ أَنَا وَهُوَ الَّذِي بَنَى الرِّبَاطَ الْمَعْرُوفَ بِرِبَاطِ الدَّرَجَةِ عَلَى دَجْلَةَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَاعْتَزَلَ فِيهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَتَرَكَ الْوِلَايَاتِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ الْمَنْسُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ ، وَمَاتَ فِي سَابِعِ صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

﴿ ١٣ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَنْتَرِ بْنِ ثَابِتٍ * ﴾

الْمَعْرُوفُ بِشُمَيْمٍ الْحِلِّيِّ ، أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ — علي بن الحسن الحلي

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة صفحة ٣٤٥ بما يأتي قال :

قدم بغداد ، وأقام مدة يقرأ النحو على أبي محمد بن الخشاب وغيره من الأدباء ، حتى حصل طرفا من النحو واللغة والعربية وحفظ جملا من أشعار العرب ، وقال شعرا جيدا ، سافر إلى الشام ، ومدح أمراءها ، وديار بكر ومدح أكابرها ، وجمع من شعره كتابا سماه الحماسة ، وكان مهوسا ناقص الحركات ، سيء العقيدة ، يتحرك في مجلسه بحركات يضحك منها وهو لا يضحك ، فلا يغضب من ضحك الجماعة ، ويصرف ضحكهم إلى أنه يعجب به ، ومن جوده ما يأتي به إلى أمثال ذلك من السخف في الفعل والقول .

أخبرني أبو البركات سعيد بن أبي جعفر الهاشمي الحلبي قال : جاءنا الشميم إلى حلب ، فدخلنا عليه مستفيدين قال: فرأيته يوماً وقد أنشد لنفسه شعرا أكثرنا الاستحسان له ، فقام إلى أحد أركان المنزل ، ونام على ظهره ورفع رجليه إلى الحائط ، ولم يزل يرتفع حتى صار واقفا على رأسه ثم جاءنا وقال : هكذا يشكر الله على النعمة وهو أن يقف الإنسان على رأسه لا على رجليه . وقال لي ابن الجبراني النحوي الحلبي : اختبرت —

الشَّاعِرُ ، مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ . أَخْبَرَنِي بِهِ الْعِمَادُ بْنُ الْخَدُوسِ الْعَدْلِ ، وَبِمَنْزِلِهِ مَاتَ بِالْمَوْصِلِ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ الْمَزْيَدِيَّةِ . قَدِمَ بَغْدَادَ وَبِهَا تَأَدَّبَ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ وَدِيَارِ بَكْرٍ ، وَأَظُنُّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي نِزَارٍ مَلِكِ النُّحَاةِ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَكُنْتُ قَدْ وَرَدْتُ إِلَى آمِدَ فِي شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَرَأَيْتُ أَهْلَهَا

— الشميم الحلى عند وروده علينا فى النحو فلم أجده قيما به ، وكان قد اكتسب مالا من عطاء المرفدين له ، وكان لا ينفق منه ولا يفارقه فى جدان كبير له لا يزاوله

وحكى لى ياقوت الحموى عتيق عسكر التاجر قال لى الشميم الحلى يوما وقد خلوت به : قد أنست بفضلك وعقلك ومعى فى هذا الجدان بين ثيابى ستة آلاف دينار مصرية أو قال ثلاثة آلاف دينار مصرية ، الشك منى ، وقد عزمت على أن أعطيك منها جزءا متوفرا تتجر فيه لتجد به مرفقا ومتى غنيت أعد إلى رأس المال ، قال : فامتنعت من ذلك . وذكر لى أبو البركات سعد الهاشمى قال : رأيته يوماً ونحن عنده وقد جرى ذكر نصيبين ووخمها فقال : حضرتها فى بعض أسفارى سنة وقد وخمت واشتد وخمها ومات أهلها فكنت كثيرا ما أرى الجنائز وخلفها النساء ينحن ، فأصغيت إليهن فلم يعجبنى قولهن ، فصنعت لهن نواحاً ينحن به ثم قام على قدميه ، وأمرنا بالقيام ووقف على صفة ونحن فى وسط القاعة وقال :

قولوا كما أقول ، والطموا على خدودكم كما ألطم ، فاجبناه إلى ذلك فقال :

بسى نقوعك وبسى حب رمانك ‏ ‏ ‏ كم تحملين الدوا قد كلت أقدامك

بسى نقوعك وبسى تمر هنديك ‏ ‏ ‏ كم تعملين الدوا قد كلت أيديكى —

مُطْبِقِينَ عَلَى وَصْفِ هَذَا الشَّيْخِ ، فَقَصَدْتُ إِلَى مَسْجِدِ الْخَضِرِ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ شَيْخًا كَبِيرًا قَضِيفَ[(١)] الْجِسْمِ فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَامِدَانٌ مَمْلُوءٌ كُتُبًا مِنْ تَصَانِيفِهِ فَحَسْبُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ مِنْ بَغْدَادَ : فَهَشَّ بِي وَأَقْبَلَ يُسَائِلُنِي عَنْهَا وَأُخْبِرُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا جِئْتُ لِأَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِ الْمَوْلَى شَيْئًا ، فَقَالَ لِي : وَأَيَّ عِلْمٍ تُحِبُّ ؟ قُلْتُ لَهُ : أُحِبُّ عُلُومَ الْأَدَبِ . فَقَالَ :

— قال : وأخذ يلطم على خديه ، ونحن نشير إلى خدودنا بمثل ذلك . وأخبرنى العماد بن السابق الكتبى بحلب قال : أخبرنى أبو الخطاب بن دحية المغربى قال : ما رأيت أكفر من شميم فأنى اجتمعت به وذاكرته فقال : قد قيل لى فى الدهده كذا وتلا آية من القرآن فقلت : مامعنى قولك الدهده ؟ فقال : الدهده فى كلام العرب : الهذيان . « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » أستغفر الله العظيم . ومن شعره قصيدة أوردها ياقوت .

وكان إذا حصل له من يقوم به أقام عنده وسكن إلى ذلك حافظا لما معه من المال غير منفق منه بخيلا به . واتفق أنه دخل الموصل وعلم به رجل وراق يعرف بابن البقال وتحقق ما معه من المال وأنزله فى مسجد له وقام به إلى أن توفى وفاز بموجوده ، وغفلت عنه الظلمة فى المطالبة به ، وقيل إنه ظهر ذلك فى ثروته . وكانت وفاته فى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٣

(١) قضف : نحف فهو قضيف

إِنَّ تصانيفِي فِي الأَدَبِ كثيرةٌ ، وذلكَ أَنَّ الأَوائِلَ جمعُوا أَقوالَ غيرِهِمْ وأَشعارَهُمْ وبوّبُوهَا ، وأَمَّا أَنَا فكلُّ مَا عِندِي مِنْ نتائجِ أَفكارِي ، وكُنتُ كُلَّمَا رأَيْتُ النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى استِحسَانِ كِتَابٍ فِي نوْعٍ مِنَ الآدَابِ استعْمَلتُ فِكْرِي وأَنْشأتُ مِنْ جِنْسِهِ مَا أُدْحِضُ[١] بِهِ المُتَقَدِّمَ . فمِنْ ذلِكَ أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ جمَعَ أَشعَارَ العَرَبِ فِي حَمَاسَتِهِ ، وأَمَّا أَنَا فعمِلتُ حمَاسَةً مِنْ أَشعَارِي وبَنَاتِ أَفكَارِي ، « ثُمَّ شَنَعَ[٢] أَبَا تَمَّامٍ وَشَتَمَهُ » ، ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى تفضِيلِ أَبِي نُوَاسٍ فِي وَصْفِ الخَمْرِ ، فَعَمِلتُ كِتَابَ الخَمْرِيَّاتِ مِنْ شِعْرِي ، لَوْ عَاشَ أَبُو نُوَاسٍ لَاستَحْيَا أَنْ يَذكُرَ شِعْرَ نَفْسِهِ لَوْ سَمِعَهَا ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى تَفْضِيلِ خُطَبِ ابْنِ نُبَاتَةَ فَصَنَّفْتُ كِتَابَ الخُطَبِ فَلَيْسَ لِلنَّاسِ اليَوْمَ اشْتِغَالٌ إِلَّا بِخُطَبِي ، وَجَعَلَ يُزْرِي[٣] عَلَى المُتَقَدِّمِينَ وَيَصِفُ وَيُجَهِّلُ الأَوَائِلَ وَيُخَاطِبُهُمْ بِالكَلْبِ ،

(١) أدحض : أبطل (٢) شنعه : قبحه وشتمه وفضحه

(٣) أى يعيبهم ويحط من أقدارهم

فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : فَأَنْشِدْنِي شَيْئاً مِمَّا قُلْتَ ، فَابْتَدَأَ وَقَرَأَ عَلَيَّ خُطْبَةَ كِتَابِ الْخَمْرِيَّاتِ فَعَلِقَ بِخَاطِرِي مِنَ الْخُطْبَةِ قَوْلُهُ « وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَكَمِيَّ (١) قَدْ أَبْدَعَ وَلَمْ يَدَعْ لِأَحَدٍ فِي اتِّبَاعِهِ مَطْمَعاً ، وَسَلَكَ فِي إِفْشَاءِ سِرِّ الْخَمْرَةِ مَا سَلَكَ (٢) ، آثَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ لَهَا نَصِيباً مِنْ عِنَايَتِي مَعَ مَا أَنِّي عَلِمَ اللهُ لَمْ أَلْمُمْ لَهَا بِإِثْمٍ (٣) ثَغْرٍ إِنْمٍ مُذْ رَضِعْتُ ثَدْيَ أُمٍّ » أَوْ كَمَا قَالَ . ثُمَّ أَنْشَدَنِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ :

أُمْزُجْ بِمَسْبُوكِ اللُّجَيْنِ (٤) ذَهَباً حَكَتْهُ دُمُوعُ عَيْنِي
لَمَّا نَعَى نَاعِي الْفِرَا قِ بِبَيْنِ (٥) مَنْ أَهْوَى وَبَيْنِي
كَانَتْ (٦) وَلَمْ يُقْدَرْ لِشَيْ ءٍ قَبْلَهَا إِيجَابُ كَوْنِ

(١) هو أبو نواس (٢) هذه الكلمة سقطت من الاصل

(٣) أي لم أذقها ولم تمسها شفتاي ولعل ما التي بعد مع زائدة وإن وضعها زائدة في هذا المكان لاعجب منه ، لأن القائل شميم على ما في زيادتها من ركاكة .

(٤) أي الفضة (٥) البين : البعد في كلتا اللفظتين (٦) أي حصلت في الوجود ولم يقدر لشيء من الموجودات وجوب وجوده إلا هي لأنها موجودة منذ وجد الانسان وسايرته في كل أدوار الحياة كأنها واجبة الوجود .

وَأَحَالَهَا التَّحْرِيمُ(١) لَمْـ
ـمَا شُبِّهَتْ بِدَمِ الْحُسَيْنِ
خَفَقَتْ لَنَا شَمْسَانِ(٢) مِنْ
لَأْلَائِهَا فِي الْخَافِقَيْنِ(٣)
وَبَدَتْ لَنَــا فِي كَأْسِهَا
مِنْ لَوْنِهَا فِي حُلَّتَيْنِ
فَاعْجَبْ هَدَاكَ اللّٰهُ مِنْ
كَوْنِ اتِّفَــاقِ الضَّرَّتَيْنِ
فِي لَيْـلَةٍ بَدَأَ السُّرُو
رُ بِهَــا يُطَالِبُنَا بِدَيْنِ
وَمَضَى طَلِيقَ الرَّاحِ(٤) مَنْ
قَدْ كَانَ مَغْلُولَ(٥) الْيَـدَيْنِ

(١) جعلها التحريم من المحال تناوله ، لأنها شبهت بدم الحسين وهو محرم سفكه ولعل المراد وجعل شربها محالا (٢) هي شمس والكوكب السماوى شمس
(٣) الخافقان : المشرق والمغرب أو أفقاهما « عبد الخالق »
(٤) جمع راحة ، يريد بطلاقة الراحة الكرم (٥) المغلول : الذى فى يده الغل أى المقيد — يريد البخل أى أن الخمر تجعل البخيل كريما

ذِي[١] زِينَةُ الأَحْيَاءِ فِي الدُّ ... دُنْيَا وَزِينَةُ كُلِّ زَيْنِ

فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ لِي : وَيْلَكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرُ الِاسْتِحْسَانِ ؟ قُلْتُ لَهُ : فَمَا أَصْنَعُ يَا مَوْلَانَا ، فَقَالَ لِي : تَصْنَعُ هَكَذَا ؟ ثُمَّ قَامَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ إِلَى أَنْ تَعِبَ ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ : مَا أَصْنَعُ وَقَدْ ابْتُلِيتُ بِبَهَائِمَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الدُّرِّ وَالْبَعْرِ ، وَالْيَاقُوتِ وَالْحَجَرِ ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئًا آخَرَ ، فَقَالَ لِي : قَدْ صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي التَّجْنِيسِ ، سَمَّيْتُهُ أَنِيسَ الْجَلِيسِ فِي التَّجْنِيسِ ، فِي مَدْحِ صَلَاحِ الدِّينِ لَمَّا رَأَيْتُ اسْتِحْسَانَ النَّاسِ لِقَوْلِ الْبُسْتِيِّ فَأَنَا أُنْشِدُكَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

لَيْتَ مَنْ طَوَّلَ بِالشَّـ ... ـامِ نَوَاهُ[٢] وَثَوَى[٣] بِهْ

جَعَلَ الْعَوْدَ إِلَى الزَّوْ ... رَاءِ مِنْ بَعْضِ ثَوَابِهْ[٥]

أَتُرَى يُوطِئُنِي الدَّهْـ ... ـرُ ثَرَى[٦] مِسْكِ تُرَابِهْ

(١) كانت فى الأصل : « هذه » ولكن البيت ينكسر فأصلحتها (٢) نواه : بعاده (٣) ثوى : أقام (٤) الزوراء : مدينة بغداد (٥) أى جزائه من المجازاة والاثابة (٦) التراب المبلل الندى

وَأَرَى أَىْ نُورَ عَيْنِى مَوْطِئاً لِى وَتُرَى(١) بِهْ

ثُمَّ أَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ فِى وَصْفِ سَاقٍ :

قُلْ لِى فَدَتْكَ النَّفْسُ قُلْ لِى
مَاذَا تُرِيدُ إِذًا بِقَتْلِى ؟
أَأَدَرْتَ خَمْراً فِى كُئُو
سِكَ هَـذِهِ أَمْ سُمَّ صِلِّ(٢) ؟؟

وَأَنْشَدَنِى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ضَاعَ مِنِّى أَصْلُهُ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَلَمْ يُحْسِنِ الثَّنَاءَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ لَهُ الْمَعَرِّىَّ نَهَرَنِى وَقَالَ لِى : وَيْلَكَ كَمْ تُسِىءُ الْأَدَبَ بَيْنَ يَدَىَّ ، مَنْ ذَلِكَ الْكَلْبُ الْأَعْمَى حَتَّى يُذْكَرَ بَيْنَ يَدَىَّ فِى مَجْلِسِى ؟ فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا مَا أَرَاكَ تَرْضَى عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ .

فَقَالَ : كَيْفَ أَرْضَى عَنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يُرْضِينِى ؟ قُلْتُ : فَمَا فِيهِمْ قَطُّ أَحَدٌ جَاءَ بِمَا يُرْضِيكَ ؟ فَقَالَ :

(١) أى تنظر وبراك الناس به (٢) الصل : الحية

لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَنَبِّى فِى مَدِيحِهِ خَاصَّةً ، وَابْنَ نُبَاتَةَ فِى خُطَبِهِ ، وَابْنَ الْحَرِيرِىِّ فِى مقامَاتِهِ فَهؤُلَاءِ لَمْ يُقَصِّرُوا . قُلْتُ لَهُ : يَا مَوْلَانَا قَدْ عَجِبْتُ إِذْ لَمْ تُصَنِّفْ مَقَامَاتٍ تُدْحِضُ بِهَا مقامَاتِ الْحَرِيرِىِّ ، فَقَالَ لِى : يَا بُنَىَّ اعْلَمْ أَنَّ « الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِى عَلَى الْبَاطِلِ » عَمِلْتُ مقامَاتٍ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ تُرْضِنِى فَغَسَلْتُهَا[1] ، وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ خَلَقَنِى إِلَّا لِأُظْهِرَ فَضْلَ ابْنِ الْحَرِيرِىِّ ، ثُمَّ سَطَحَ[2] فِى الْكَلَامِ وَقَالَ :

لَيْسَ فِى الْوُجُودِ إِلَّا خَالِقَانِ : فَأَحَدٌ فِى السَّمَاءِ وَأَحَدٌ فِى الْأَرْضِ ، فَالَّذِى فِى السَّمَاءِ هُوَ اللهُ ، وَالَّذِى فِى الْأَرْضِ أَنَا ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىَّ وَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ لَا يَحْتَمِلُهُ الْعَامَّةُ لِكَوْنِهِمْ لَا يَفْهَمُونَهُ ، أَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَىْءٍ إِلَّا خَلْقَ الْكَلَامِ فَأَنَا أَخْلُقُهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ اشْتِقَاقَ هَذِهِ

---

(١) أى أزلتها (٢) أى توسع وتبسط وفى الأصل «شطح» ولم أجد شطح بجملتها سطح بمعنى بسطه على أنى أميل إلى إبقائها لأنه يشبه بالنفر الذين نسميهم المجاذيب . ويقال : إن هؤلاء لهم شطحات والذى قاله شميم أشبه بشطحات هؤلاء المجاذيب « عبد الخالق »

اللَّفْظَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَيَا مَوْلَانَا ؟ أَنَا رَجُلٌ مُحَدِّثٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْمُحَدِّثِ جَرَاءَةٌ مَاتَ بِغُصَّتِهِ[١] ، وَأُحِبُّ أَنْ أَسْأَلَ مَوْلَانَا عَنْ شَيْءٍ إِنْ أَذِنَ ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : مَا أَرَاكَ تَسْأَلُ إِلَّا عَنْ مُعْضِلَةٍ[٢] هَاتِ مَا عِنْدَكَ . قُلْتُ : لِمَ سُمِّيتَ بِالشُّمَيْمِ ؟ فَشَتَمَنِي ثُمَّ ضَحِكَ وَقَالَ : اعْلَمْ أَنِّي بَقِيتُ مُدَّةً مِنْ عُمُرِي « ذَكَرَهَا هُوَ وَنَسِيتُهَا أَنَا » لَا آكُلُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَّا الطِّيبُ[٣] حَسْبُ قَصْداً لِتَنْشِيفِ الرُّطُوبَةِ وَحِدَّةِ الْحِفْظِ ، وَكُنْتُ أَبْقَى أَيَّاماً لَا يَجِيئُنِي الْغَائِطُ ، فَإِذَا جَاءَ كَانَ شِبْهَ الْبُنْدُقَةِ مِنَ الطِّينِ وَكُنْتُ آخُذُهُ وَأَقُولُ لِمَنْ أَنْبَسِطُ إِلَيْهِ شُمَّهُ فَإِنَّهُ لَا رَائِحَةَ لَهُ ، فَكَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى لُقِّبْتُ بِهِ ، أَرَضِيتَ يَابْنَ الْفَاعِلَةِ .

هَذَا آخِرُ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ أُنْشِدْتُ لَهُ مِنْ حَمَاسَتِهِ :

لَا تَسْرَحَنَّ الطَّرْفَ[٤] فِي بَقَرِ الْمَهَا
فَمَصَارِعُ الْآجَالِ[٥] فِي الْآجَالِ[٦]

---

(١) غص بالماء : شرق ، والمراد الحسرة والندامة (٢) يقال : أعضل الداء : لم يوجد له دواء والمراد المسألة المعقدة (٣) فى الأصل « الطين » وفى ابن خلكان الطيب وقد آثرتها لما يدور على الألسن من أن بعض أنواعه تجفف الرطوبة وتزيلها .
(٤) سرح الطرف : أرسله (٥) الآجال الثانية جمع أجل : وهو بقر الوحش
(٦) الآجال الأولى جمع أجل : غاية الوقت المعين فى الموت « عبد الخالق »

كَمْ نَظْرَةٍ أَرْدَتْ وَمَا أَخَذَتْ يَدُ الْـ
ـمُصْمِي (١) لِمَنْ قَتَلَتْ أَدَاةَ قِتَالِ
سَنَحَتْ وَمَا سَمَحَتْ بِتَسْلِيمٍ وَإِقْـ
ـلَالُ (٢) التَّحِيَّةِ فِعْلَةُ الْمُغْتَالِ
أَضْلَلْتُ قَلْبِيَ عِنْدَهُنَّ وَرُحْتُ أَنْـ
ـشُدُهُ بِذَاتِ الضَّالِ (٣) ضَلَّ ضَلَالِي
أَلْوِي (٤) بِأَلْوِيَةِ (٥) الْعَقِيقِ عَلَى الطُّلُو
لِ (٦) مُسَائِلًا مَنْ لَا يُجِيبُ سُؤَالِي
تَرِبَتْ (٧) يَدِي فِي مَقْصِدِي مَنْ (٨) لَا يَدِي (٩)
قَوَدِي (١٠) وَأَوْلَى (١١) لِي بِهَا أَوْلَى لِي

(١) أصمى الصيد : رماه فأصابه مكانه (٢) فى الأصل « إغلال » وربما كان المراد بالاغلال قيد التحية وتصفيدها (٣) اسم شجر . أى لقد ضللت وضل ضلالى مبالغة (٤) أعرج وأعطف (٥) جمع اللوى : ما استدق من الرمل (٦) جمع طلل : مادرس من آثار الديار (٧) يقال تربت يداه لا أصاب خيرا وكثر ماله ضد والجملة دعائية وهى من المعنى الأول لأنه قصد من لايدفع دية له (٨) من مفعول مقصدى أى فى قصدى من (٩) أى يدفع الدية (١٠) أى قصاصى (١١) قيل فى قوله تعالى « أولى لك فأولى » أى قاربك الهلاك فهو يريد أحاط بى الهلاك « عبد الخالق »

يَا قَاتَلَ اللهُ الدُّمَى (١) كَمْ مِنْ دَمٍ
أَجْرَيْنَ حِلاًّ كَانَ غَيْرَ حَلَالِ
أَشْلَيْنَ (٢) ذُلَّ الْيُتْمِ فِي الْأَشْبَالِ
وَفَتَكْنَ بِالْآسَادِ فِي الْأَغْيَالِ
وَنَفَرْنَ حِينَ نَكِرْنَ إِقْبَالِي وَلَوْ
أَنِّي نَفَرْتُ لَكَانَ مِنْ إِقْبَالِي
لَكِنْ أَبَى رَعْيِ ذِمَامَ الْحُبِّ أَنْ
أُولِي الْوَفَاءَ قَطِيعَةً مَنْ قَالِي (٣)

وَأَنْشَدَنِي تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَجَّاجِ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ هُوَ الْحَجَّاجُ مِنْ شَرْقِيِّ وَاسِطَ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَنْتَرَ ابْنِ ثَابِتٍ الْحُلْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِشُمَيْمٍ وَقَدْ قُلْتُ : لَا أَرَاكَ تَذُمُّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ فَقَالَ لِي : لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عِنْدِي قِيمَةٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلذَّمِّ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ لِلْمَدْحِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلِي فِي الْحَمَاسَةِ :

(١) الصورة من العاج والمراد بها الحسناوات من النساء (٢) أشلين : أغرين
(٣) قالى : اسم فاعل من قلى يقلى

أَصِخْ إِنَّمَا مَدْحُ الْفَتَى وَهِجَاؤُهُ

لَدَى الطَّبِنِ (١) النِّقْرِيسِ (٢) ذَا تَوْءَمٍ (٣) لِذَا

فَحَيْثُ أُنْتَوَى مُلْقِى الْمَدِيحِ عَصَا الثَّوَى (٤)

تُرَاحُ (٥) بِهَا مِنْ أَيْنِهَا (٦) قُلُصُ (٧) الْهِجَا

وَمَنْ لَيْسَ أَهْلًا لِلْمَدِيحِ وَلَا الْهِجَا

فَعَيْنَاهُ فِي عَيْنِ الرِّضَا ظُلْمَةُ الْعَمَى

وَيُزْرِي بِضِرْغَامِ (٨) الْغَرِيفِ (٩) زَئِيرُهُ

عَلَى ذِبْخٍ (١٠) عَنْوٍ هَرَّ أَوْ أَغْضَفٍ عَوَى

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لَهُ :

قَالُوا نَرَاكَ بِكُلِّ فَنٍّ عَالِمًا

فَعَلَامَ حَظُّكَ مِنْ دُنَاكَ (١١) خَسِيسُ ؟

---

(١) أى الخبير المجرب (٢) أى الدليل الحاذق المدقق . (٣) التوءمان : من يولدان معا أى أن الهجاء توءم المدح (٤) أى الأقامة (٥) أى تستريح (٦) أى تعبها (٧) جمع قلوص: الناقة القوية يريد أن المكان الذى تلقى به عصا المديح وتنوى الاقامة هو عينه المكان الذى تستريح فيه قلص الهجاء وتراح (٨) أى الأسد

(٩) هو الشجر الكثير الملتف والأجمة (١٠) الذبخ : الذئب العنو : العناء والأسر والأغضف : الكلب المرخى أذنيه . يقول : إن مما يزرى بالأسد أن يزأر على ذئب أو كلب وإنما يزأر على مثله (١١) الدنا : الدنيا

فَأَجَبْتُهُمْ لَا تَعْجَبُوا وَتَفَهَّمُوا

كَمْ ذَادَ نُهْزَةَ (١) لَيْثِ خِيسٍ خِيسُ (٢)

حَدَّثَنِي ابْنُ الْحَجَّاجِ تَقِيُّ الدِّينِ قَالَ : اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ الْوَاسِطِيِّينَ بِالْمَوْصِلِ عَلَى زِيَارَةِ شُمَيْمٍ وَتَوَافَقُوا عَلَى أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ خَوْفاً مِنْ زَلَلٍ يَكُونُ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا حَصَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : « إِيشْ » هَؤُلَاءِ ؟ فَإِنِّي أَرَى عَمَائِمَ كِبَاراً ظَنَنْتُهَا عَلَى آدَمِيِّينَ فَسَكَتُوا ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لَهُ آخَرُ مِنْهُمْ : يَا سَيِّدِي ادْعُ لَنَا بِشَمْلِ الْجَمِيعِ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : « إِيشْ » هَؤُلَاءِ وَكَيْفَ خَلَقَهُمُ اللهُ ؟ ثُمَّ حَلَفَ بِخَالِقِهِ وَقَالَ : لَوْ قَدَرْتُ عَلَى خِلْقَةِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ أَنِفْتُ مِنْ خَلْقِ مِثْلِهِمْ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جِبْرِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَعَةَ بْنِ مَالِكٍ الْمَوْصِلِيُّ الْفَقِيهُ فَخْرُ الدِّينِ بِمَرْوَ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا قَالَ : لَمَّا وَرَدَ

(١) النهزة : الفرصة (٢) هو الشجر الملتف ، يريد أن ليث الخيس قد يذوده ويدفعه عن فرصته خيسه ، فعله الكثير وأدبه منعا عنه حظه من الدنيا

شُمَيْمٌ الْحِلِّيُّ إِلَى الْمَوْصِلِ بَلَغَنِي فَضْلُهُ فَقَصَدْتُهُ لِأَقْتَبِسَ مِنْ عُلُومِهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَجَرَى أَمْرِي عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الِاحْتِفَالِ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ وَمُذَاكَرَاتٌ إِلَى أَنْ قَالَ : وَمِنَ الْعَجَائِبِ اسْتِحْسَانُ النَّاسِ قَوْلَ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ :

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ(١) فِيهَا
إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

« كَذَا قَالَ تَهَكُّمًا » أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ :

وَسَالَتْ نِطَافُ(٢) الرَّاحِ(٣) فِي الرَّاحِ(٤) فَاغْتَدَى الْـ
ـسَمَاحُ إِلَى رَاحَاتِنَا فَسَخِينَا

ثُمَّ أَخْرَجَ رُقْعَةً مِنْ تَحْتِ مُصَلَّاهُ وَقَالَ لِي : مَا مَعْنَى قَوْلِي : « قَلْبُ شَطْرِ أَعَادِيكَ حَظٌّ مِنْ كَفَرَ أَيَادِيكَ » ؟ فَقُلْتُ : أَكْتُبُهَا وَأُفَسِّرُهَا ؟ فَقَالَ : اُكْتُبْ ، فَكَتَبْتُهَا وَقُلْتُ نَعَمْ : شَطْرُ « أَعَادِيكَ » : « دِيكٌ » « وَقَلْبُهُ » : « كَيْدٌ » أَرَدْتَ أَنَّ الْكَيْدَ حَظٌّ مِنْ كَفَرَ أَيَادِيكَ ، فَقَالَ :

(١) هو الورس أو الزعفران (٢) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر ، والجمع نطاف ونطف (٣) أى الخمر (٤) جمع راحة : وهى باطن الكف

أَحْسَنْتَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِقْبَالِهِ عَلَىَّ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِهْمَالِهِ إِيَّاىَ ، وَأَنْشَدَنِى أَبُو حَامِدٍ الْمَذْكُورُ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَنْتَرٍ الْحِلِّىُّ لِنَفْسِهِ :

أَقِيلِى عَثْرَةَ الشَّاكِى أَقِيلِى
فَسُولِى فِى سَمَاعِ نَثَا[1] رَسُولِى

وَإِنْ لَمْ تَأْذَنِى بِفَكَاكِ أَسْرِى
فَدُلِّينِى عَلَى صَبْرٍ جَمِيلِ

حَدَّثَنِى الْآمِدِىُّ الْفَقِيهُ قَالَ : بَلَغَنِى أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْحِلِّىُّ إِلَى الْمَوْصِلِ انْثَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَزُورُونَهُ ، وَأَرَادَ نَقِيبُ الْمَوْصِلِ « وَهُوَ ذُو الْجَلَالَةِ الْمَشْهُورَةِ بِحَيْثُ لَا يَخْفَى أَمْرُهُ عَلَى أَحَدٍ » زِيَارَتَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَا يَعْبَأُ بِأَحَدٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِزَائِرٍ أَبَدًا ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ وَعَرَّفَهُ مَا يَجِبُ مِنْ احْتِرَامِ النَّقِيبِ لِحَسَبِهِ وَنَسَبِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ مِنَ الْمُلُوكِ ، فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابًا ، وَجَاءَهُ النَّقِيبُ وَدَخَلَ وَجَرَى عَلَى عَادَتِهِ مِنْ تَرْكِ الِاحْتِفَالِ لَهُ وَلَمْ يَقُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ، فَجَلَسَ النَّقِيبُ

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

ساعةً ثُمَّ انصرفَ مُغضباً ، فعاتبهُ ذلكَ الرَّجلُ الَّذِي كَانَ أَشارَ عليهِ بإكرامِهِ ، فلَمْ يرُدَّ عليهِ جواباً ، فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ جاءَهُ وفِي يدِ الحلِّيِّ كِسرةُ خُبزٍ يابسةٍ وهُوَ يعضُّ مِنْ جنبِهَا ويأكُلُ ، فلمَّا دخلَ الرَّجلُ عليهِ قالَ لهُ : بِسْمِ اللهِ[1] ، فقالَ لهُ : وأيُّ شيءٍ هاهُنا حتَّى آكُلَ ؟ فقالَ لهُ : يارقيعُ مَنْ يقنعُ مِنَ الدُّنيا بِهذهِ الكسرةِ اليابسةِ لأيِّ معنًى يذِلُّ للنَّاسِ معَ غِناهُ عنهُمْ واحتياجِهِمْ إليهِ .

حدَّثنِي الفقيهُ قالَ : بلغنِي أنَّ الحلِّيَّ قدِمَ إلى أسعَرْت فتسامعَ بهِ أهلُهَا فقصدُوهُ مِنْ كُلِّ فجٍّ[2] ، وكانَ فِيهِمْ رجلٌ شاعرٌ فأنشدَهُ الرَّجلُ شعراً استجادَهُ الحلِّيُّ فقالَ لقائِلِهِ : إنِّي أرفعُ هذَا الشِّعرَ عَنْ طبقتِكَ ، فإنْ كُنتَ فِي دعواكَ صادقاً فقُلْ فِي معناهُ الآنَ شيئاً آخرَ ، ففكَّرَ ساعةً فقالَ :

---

(١) يدعوه إلى الأكل (٢) كانت في الأصل « فوج » ولعل ما ذكر هو المراد والأنسب

وَمَا كُلُّ وَقْتٍ فِيهِ يَسْمَحُ خَاطِرِى
بِنَظْمِ قَرِيضٍ يَقْتَضِى لَفْظُهُ مَعْنَى
وَلَمْ يُبِحِ الشَّرْعُ الْمُبِينُ تَيَمُّماً
بِتُرْبٍ وَبَحْرُ الْأَرْضِ[1] فِى سَاحَةٍ مَغْنَا

فَقَالَ لَهُ الْحِلِّىُّ : وَيْحَكَ اسْجُدْ ، وَيْلَكَ اسْجُدْ ، فَإِنَّ هٰذَا مَوْضِعٌ مِنْ مَوَاضِعِ سَجَدَاتِ[2] الشِّعْرِ ، وَأَنَا أَعْرَفُ النَّاسِ بِهَا .

وَمِمَّا سَمِعْتُهُ مِنْ فِلْقٍ[3] فِيهِ وَهُوَ مِنْ إِنْشَاءِ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَالِقِ قِمَمِ[4] حَبِّ الْحَصِيدِ بِحُسَامِ سَحِّ السُّحُبِ[5] ، صَابِغِ خَدِّ الْأَرْضِ بِقَانِى[6] رَشِيقِ يَانِعِ الْعُشْبِ ، نَافِخِ رُوحِ الْحَيَاةِ فِى صُوَرِ تَصَاوِيرِهَا بِسَائِحِ الْقَرَاحِ[7]

---

(١) معنى البيت الثانى : أنه متى حضر الماء لايجوز التيمم ، ومتى كان الشيخ موجودا فلا ينبغى أن أقول شعرا (٢) زعم الأقدمون أن فى الشعر أبياتا بلغ من جودتها أنها تستحق أن يسجد عند سماعها تشبيها لها بمواضع السجدات من القرآن الكريم ويذكرون من ذلك بعض أبيات من بعض المعلقات وهو زعم تضطرب فيه الأهواء

(٣) فلق بالكسر وتفتح الفاء أى من شق فيه أى شافهنى به (٤) أى أعالى

(٥) سح السحب : تهطالها (٦) أى كسا سطح الأرض بالأحمر الرشيق اليانع من العشب (٧) القراح : الصافى ، أى بث الحياة فى صورها ، والصور : البوق

« عبد الخالق »

العَذْبِ ، يُحْيِي مَيْتَ الأَرْضِ بِإِمَاتَةِ كَالِحِ الجَدْبِ ، لِابْتِسَامِ ثَغْرِ نَسِيمِ أَنْفَاحِ الخِصْبِ ، مُحِيلِ[1] جِسْمِ طَبِيعَةِ المَاءِ المُبَارَكِ فِي أَشْكَالِ الحَبِّ وَالعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالقَضْبِ ، جَاعِلِهِ لِلأَنَامِ وَالأَنْعَامِ ، ذَاتِ الحَمْلِ وَالحَلْبِ ، مُحَلِّي[2] جِيدِ الأَفْلَاكِ بِقَلَائِدِ دَرَارِي النُّجُومِ الشُّهْبِ ، وَمُخَلِّي[3] جُنْدِ الأَمْلَاكِ عَنْ مُبَاشَرَةِ التَّصَرُّفِ وَالكَسْبِ ، وَلِلقِيَامِ بِالوَاجِبِ وَأَصْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ لِلرَّبِّ ، قَابِلِ التَّوْبَةِ مِنَ المُذْنِبِ المُنِيبِ[4] وَغَافِرِ الذَّنْبِ ، الوَاحِدِ المُنْفَرِدِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ عَنْ مُلَاءَمَةِ قِسْمَةِ أَعْدَادِ الحِسَابِ وَالضَّرْبِ ، المُسْتَغْنِي بِصَمَدِيَّتِهِ عَنْ مَسِيسِ الحَاجَةِ إِلَى دَوَاعِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، الشَّاهِدِ عَلَى خَلْقِهِ بِمَا يُفِيضُونَ فِيهِ لَا لِاتِّصَافِ بُعْدٍ وَلَا قُرْبٍ ، المُهَيْمِنِ عَلَى سِرِّ اجْتِرَاحِ[5] كُلِّ جَارِحَةٍ وَخَاطِرِ[6] خَاطِرٍ وَتَقَلُّبِ[7] قَلْبٍ ، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ مُوضِحِ بَيَانٍ بِمَا أَلَبَّ[8] فِي سُوَيْدَاءِ لُبٍّ ، وَأَشْكُرُهُ

(١) أي محول (٢) أي مزين من الحلية (٣) أي مبعد : أي أنه لاتصرف للملائكة فى الملكوت (٤) الراجع التائب (٥) اجترح الاثم : ارتكبه (٦) أي ما يخطر على النفس ، والخاطر : البال (٧) أي تغير زمانه (٨) أي جمع

عَلَى مَا جَلَا مِنْ مُظْلِمِ ظُلَمِ جَهْلٍ ، وَكَشَفَ مِنْ كَثِيفِ رُكَامِ كَرْبٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً سَالِمَةً مِنْ شَوَائِبِ النِّفَاقِ وَالْخِبِّ(١) ، مُؤَمِّنَةً قَائِلَهَا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ مِنْ إِيحَاشِ الرَّهَبِ وَالرُّعْبِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمَحْبُوُّ بِعَقْدِ حُبًا(٢) ، خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ الصُّحُفِ وَالْكُتُبِ ، وَصَفِيُّهُ الْمُنْتَخَبُ لِنَصْرِ الدِّينِ وَإِقَامَةِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ بِالْبِيضِ الْقُضُبِ وَالْجُرْدِ الْقُبِّ(٣) وَالْأُسْدِ الْغُلْبِ(٤) ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا سَنَحَتِ الْغَزَالَةُ بِأُفُقِ شَرْقٍ وَحُجِبَتْ بِغَارِبِ غَرْبٍ ، صَلَاةً يُفْنِي تَكْرَارُ عَدِيدِهَا صُمَّ الْحَصَا الصُّلْبِ ، وَيُبِيدُ أَزْبَدَ التُّرْبِ . عِبَادَ اللهِ : مَنِ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْآبَادُ(٥) بَادَ ، وَمَنْ تَمَكَّنَتْ يَدُ الْمَنُونِ مِنْ عُنُقِهِ انْقَادَ ، وَمَنْ تَزَوَّدَ التَّقْوَى اسْتَفَادَ خَيْرَ الزَّادِ ، وَمَنْ بَدَأَ بِبِرِّهِ وَعَادَ لِلْمَعَادِ فَازَ بِالْإِحْمَادِ(٦) ، « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

---

(١) أى الخديعة والمكر (٢) الحبا جمع حبوة : مايعقد به الظهر مع الساقين فى الجلسة والمراد بذلك العظمة (٣) البيض القضب : السيوف ، والقب جمع قباء أو أقب ، والجرد جمع جرداء ، أو أجرد : الخيل الضامرة القصيرة الشعر (٤) الأسد الغلب : المراد بهم الشجعان (٥) الآباد : الأزمان (٦) أى بالمحمدة والشكر

مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ » . اللَّهُمَّ نَوِّلْ آمَالَنَا مُنَاهَا ، وَكَفِّلْ أَعْمَالَنَا تُقَاهَا ، وَخَوِّلْ (١) أَطْمَاعَنَا رِضَاهَا ، وَلَا تُشْرِبْ قُلُوبَنَا هَوَى دُنْيَاهَا ، فَإِنَّ الْمَعَاطِبَ (٢) فِي حُبِّهَا ، وَشَيْنَ الْمَعَايِبِ مُزْدٍ بِهَا ، فَلَا تَجْعَلِ اللَّهُمَّ مَهَامَنَا فِيهَا الْمُنَى ، وَآمِنَّا بِأَمْنِنَا مِنْ كَيْدِ أُمِّنَا الدُّنَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ عَلَّمَنِي (٣)

أَسْمَاءُ تَصَانِيفِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الشُّمَيْمِ الْحِلِّيِّ

كِتَابُ النُّكَتِ الْمُعْجِبَاتِ فِي شَرْحِ الْمَقَامَاتِ ، وَكِتَابُ أَرْيِ الْمُشْتَارِ فِي الْقَرِيضِ الْمُخْتَارِ ، وَكِتَابُ الْحَمَاسَةِ مِنْ نَظْمِهِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ مَنَاحِ الْمُنَى فِي إِيضَاحِ

---

(١) خوله كذا : ملكه إياه (٢) أي المهالك (٣) لقد كنت نعيت على ابن حسول ثقل كتابه إلى الصاحب لما فيه من تركيب غث وتكلف سقيم ، ولكن خطبة شميم الحلي جاءت ضغثا على إبالة « عبد الخالق »

الكُنَى أَرْبَعُ كَرَارِيسَ ، وَكِتَابُ دُرَّةِ التَّأْمِيلِ فِي عُيُونِ الْمَجَالِسِ وَالْفُصُولِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ نَتَائِجِ الإِخْلَاصِ فِي فِي الْخُطَبِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ أُنْسِ الْجَلِيسِ فِي التَّجْنِيسِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ أَنْوَاعِ الرِّقَاعِ فِي الأَسْجَاعِ ، وَكِتَابُ التَّعَازِي فِي الْمَرَازِي(١) مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ خُطَبٍ نَسَقُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ الأَمَانِي فِي التَّهَانِي مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمَفَاتِيحِ فِي الْوَعْظِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ مُعَايَاةِ الْعَقْلِ فِي مُعَانَاةِ النَّقْلِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الإِشَارَاتِ الْمَعَرِّيَّةِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمُرْتَجَلَاتِ فِي الْمُسَجَّلَاتِ أَرْبَعُ كَرَارِيسَ ، وَكِتَابُ الْمُخْتَرَعِ فِي شَرْحِ اللُّمَعِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمُحْتَسَبِ فِي شَرْحِ الْخُطَبِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ الْمُهْتَصَرِ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ التَّحْمِيضِ فِي التَّغْمِيضِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ بِدَايَةِ الْفِكَرِ فِي بَدَائِعِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ خَلْقِ الآدَمِيِّ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ رَسَائِلِ لُزُومِ مَا لَا يَلْزَمُ

---

(١) جمع مرزوءة : وهي المصيبة

كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ اللُّزُومِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ لُهْنَةِ[١] الضَّيْفِ الْمُضْجِرِ فِي اللَّيْلِ الْمُسْحِرِ كُرَّاسَانِ ، وَكِتَابُ مُتَنَزَّهِ الْقُلُوبِ فِي التَّصْحِيفِ كُرَّاسٌ ، وَكِتَابُ الْمَنَائِحِ فِي الْمَدَائِحِ مُجَلَّدَانِ ، وَكِتَابُ نُزْهَةِ الرَّاحِ فِي صِفَاتِ الْأَفْرَاحِ كُرَّاسَانِ ، كِتَابُ الْخُطَبِ الْمُسْتَضِيئَةِ ، كِتَابُ حِرْزِ النَّافِثِ مِنْ عَيْثِ الْعَائِثِ ، كِتَابُ الْخُطَبِ النَّاصِرِيَّةِ ، كِتَابُ الرَّكُوبَاتِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ شِعْرِ الصِّبِيِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ إِلْقَامِ الْإِلْحَامِ فِي تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ ، كِتَابُ سِمْطِ الْمَلِكِ الْمُفَضَّلِ فِي مَدْحِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْحِكَمِ فِي مَثَالِبِ الْأُمَمِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ اللُّمَاسَةِ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ الْفُصُولِ الْمَوْكِبِيَّةِ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعِينَ فَصْلًا ، وَكِتَابُ مُجْتَنَى رَيْحَانَةِ الْهَمِّ فِي اسْتِئْنَافِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ ، كِتَابُ الْمُنَاجَاةِ .

---

(١) اللهنة : مايهديه المسافر عند قدومه من سفره

﴿ ١٤ – عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَسَاكِرَ ﴾
﴿ الْحَافِظُ الدِّمَشْقِىُّ * ﴾

على بن الحسن ابن عساكر الحافظ

نَقَلْتُ مِنْ جُزْءٍ عَمِلَهُ وَلَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِىٍّ فِى أَخْبَارِ وَالِدِهِ فَقَالَ :

هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِىُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الْحُسَيْنِ ، أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِى الْحَسَنِ بْنِ

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ آداب اللغة قال :

هو أبو القاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقى الملقب ثقة الدين كان محدث الشام فى وقته ومن أعيان الفقهاء الشافعية اشتهر بالحديث ورحل فى طلب العلم ولقى مشايخه ورافق السمعانى فى بعض رحلته وكان حسن الكلام فلما عاد إلى بلده تعين أستاذا فى المدرسة النورية بدمشق وما زال فى هذا المنصب حتى توفى واشتهر من بنى عساكر غير واحد من العلماء والفقهاء هذا أشهرهم خلف مؤلفات كثيرة ذكر منها ياقوت فى معجم الأدباء عشرات لم يصلنا منها إلا :

تاريخ دمشق وبه اشتهر ألفه على نسق تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب فى ثمانين مجلدا فأدهش العلماء بتأليفه لكبره واتساعه وقد أورد فيه تراجم الأعيان والرواة والمحدثين والحفاظ وسائر أهل السياسة والعلم من صدر الاسلام إلى أيامه ممن سكن دمشق أو نزلها توخى فيه الاسناد على طريقة المحدثين منه أجزاء متفرقة فى مكاتب أوروبا وشاهدنا نسخة منه فى دمشق منقولة عن نسخة محفوظة فى مكتبة الملك الظاهر هناك يظن أنها كاملة لكنها تحتاج إلى مراجعة وتحقيق ومنه نسخة فى مكتبة الأزهر —

أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الشَّافِعِيِّ الْحَافِظُ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وُلِدَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ

— فى القاهرة ناقصة فى بعض المواضع وعلمنا أن مطبعة روضة الشام بدمشق أخذت بطبعه بعد حذف الأسانيد والمكرر وتفسير بعض الألفاظ وجاء وصفه مطولا فى مجلة الآثار ولهذا التاريخ عدة ذيول أهمها ذيل القاسم ولد المصنف، وذيل صدر الدين البكرى، وذيل عمر بن الحاجب وله مختصرات أحدها لابن شامة المتقدم ذكره واختصره جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب ولاسماعيل العدوانى الجراح مختصر منه نسخة فى مكتبة توبنجن سماه العقد المنظوم الفاخر بتلخيص تاريخ ابن عساكر واختصره أيضا الشيخ أبو الفتح الخطيب المتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وثلاثمائة بعد الألف انحذف منه خمسة أجزاء إلى حرف الصاد رأيناها فى الخزانة التيمورية بخط الملخص.

المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى يشتمل على ماجاء فى الحديث عن بيت المقدس منه الجزء ١٢ — ١٥ فى الخزانة التيمورية لم يذكره مؤرخوه بين مؤلفاته ولا جاء ذكره فى كشف الظنون لكننا قرأنا اسم المؤلف على النسخة المذكورة وأبو محمد القاسم ابن الشيخ الامام الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله » وهو ابن صاحب تاريخ دمشق . وتبيين كذب المفترى . فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى منه نسخ فى ليدن واكسفورد والاسكوريال وله مختصرات وقد طبع بأوروبا سنة ثمان وسبعين وثمانمائة بعد الألف وهو من الكتب الهامة فى موضوعه حتى قالوا : إن كل سنى لايكون عنده ذلك الكتاب فليس من نفسه على بصيرة . والأشراف على معرفة الأطراف . فى الحديث جمع فيه سنن أبى داود وجامع الترمذى والنسائى وأسانيدها وغيرها ورتبه على حروف المعجم يوجد فى أيا صوفيا والمكتبة الخديوية فى مجلدين كبيرين . وكتاب الأربعين حديثا فى برلين . وتبيين الامتنان بالأمر بالاختتان فى المكتبة الخديوية

وترجم له فى كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان

وترجم له فى كتاب طبقات فقهاء الحنفية

تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِى الْحَادِى عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ السِّنِّ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ بِالْمَيْدَانِ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ — رَحِمَهُ اللهُ .

قَالَ الْعِمَادُ : وَكَانَ الْغَيْثُ قَدِ احْتَبَسَ[1] فِى هَذِهِ السَّنَةِ ، فَدَرَّ وَسَحَّ[2] عِنْدَ ارْتِفَاعِ نَعْشِهِ ، فَكَأَنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَيْهِ بِدَمْعِ وَبْلِهِ[3] وَطَشِّهِ[4] . وَسَمِعَهُ أَخُوهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ هُوَ بِنَفْسِهِ مِنْ وَالِدِهِ وَأَبِى مُحَمَّدٍ الْأَكْفَانِىِّ وَذَكَرَ خَلْقًا مِنْ شُيُوخِ دِمَشْقَ ، وَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ فِى سَنَةِ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ سِنِينَ ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنْ أَبِى الْقَاسِمِ بْنِ الْحُصَيْنِ وَغَيْرِهِ ، وَحَجَّ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَمِنًى وَالْمَدِينَةِ وَبِالْكُوفَةِ وَأَصْبَهَانَ الْقَدِيمَةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمَرْوِ الشَّاهِجَانِ

(١) أى منع واحتبسه حبسه فاحتبس ، يتعدى ولا يتعدى (٢) كانت فى الأصل « وسمح » (٣) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر (٤) الطش : المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ

وَنَيْسَابُورَ وَهَرَاةَ وَسَرْخَسَ وَأَبِيوَرْدَ وَطُوسَ وَبِطَانَ وَالرَّىّ وَزَنْجَانَ ، وَذَكَرَ بِلاداً كَثِيرَةً يَطُولُ عَلَىَّ ذِكْرُهَا مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ . قَالَ : وَعِدَّةُ شُيُوخِهِ أَلْفٌ وَثَلاثُمِائَةِ شَيْخٍ ، وَمِنَ النِّسَاءِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ امْرَأَةً ، وَحَدَّثَ بِبَغْدَادَ وَمَكَّةَ وَنَيْسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو سَعْدِ بْنُ السَّمْعَانِيِّ فَأَكْثَرَ ، وَرَوَى هُوَ عَنْهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ سَمِعَ الدَّرْسَ بِالنِّظَامِيَّةِ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِهَا ، وَعَلَّقَ (١) مَسَائِلَ الْخِلَافِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي سَعْدٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي صَالِحٍ الْكَرْمَانِيِّ ، وَانْتَفَعَ بِصُحْبَةِ جَدِّهِ أَبِي الْفَضْلِ فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ ، فَمِنْ ذَلِكَ : كِتَابُ تَارِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ وَأَخْبَارِهَا وَأَخْبَارِ مَنْ حَلَّهَا ، أَوْرَدَهَا فِي خَمْسِمِائَةٍ وَسَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ تَجْزِئَةِ الْأَصْلِ ، وَالنُّسْخَةُ الْجَدِيدَةُ ثَمَانِمِائَةِ جُزْءٍ ، كِتَابُ الْمُوَافَقَاتِ

(١) أى استوضحها وشرحها

عَلَى شُيُوخِ الْأَئِمَّةِ الثِّقَاتِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ جُزْءًا ، كِتَابُ الإِشْرَافِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأَطْرَافِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ جُزْءًا ، كِتَابُ تَهْذِيبِ الْمُلْتَمِسِ مِنْ عَوَالِى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَحَدٌ وَثَلَاثُونَ جُزْءًا ، كِتَابُ التَّالِى لِحَدِيثِ مَالِكٍ الْعَالِى تِسْعَةَ عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ مَجْمُوعِ الرَّغَائِبِ مِمَّا وَقَعَ مِنْ أَحَادِيثِ مَالِكٍ الْغَرَائِبِ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْمُعْجَمِ لِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ أَوْ أَجَازَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ مِنَ النِّسْوَانِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ مُعْجَمِ أَسْمَاءِ الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ الَّتِى سَمِعَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الشُّبَّانِ خَمْسَةَ عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ فَضْلِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ أَحَدَ عَشَرَ جُزْءًا ، كِتَابُ تَبْيِينِ كَذِبِ الْمُفْتَرِى عَلَى الْأَشْعَرِىِّ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْمُسَلْسَلَاتِ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ تَشْرِيفِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَبْعَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ الْمُسْتَفِيدِ فِى الْأَحَادِيثِ السُّبَاعِيَّةِ الْأَسَانِيدِ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ السُّدَاسِيَّاتِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الْأَحَادِيثِ

الْخماسيَّاتِ وَأَخبارِ أَبي الدُّنيا جزْءٌ واحِدٌ ، كِتابُ تَقْوِيَةِ الْمُنَّةِ عَلى إِنْشاءِ دارِ السُّنَّةِ ثَلاثَةُ أَجزاءٍ ، كِتابُ الأَحادِيثِ الْمُتَخَيَّرَةِ فِي فضائِلِ الْعَشَرَةِ ، كِتابُ مَنْ وافَقَتْ كُنْيَتُهُ كُنْيَةَ زَوْجَتِهِ أَرْبَعَةُ أَجزاءٍ ، كِتابُ الأَرْبَعِينَ الطِّوالِ ثَلاثَةُ أَجزاءٍ ، كِتابُ أَرْبعِينَ حَدِيثاً عَنْ أَرْبعِينَ شَيْخاً مِنْ أَرْبعِينَ مَدِينَةً جزْءانِ ، كِتابُ الأَرْبَعِينَ فِي الْجِهادِ جزْءٌ واحِدٌ ، كِتابُ الْجَواهِرِ وَاللآلي فِي الأَبْدالِ الْعَوالي ثَلاثَةُ أَجزاءٍ : كِتابُ فَضْلِ عاشُوراءَ وَالْمُحَرَّمِ ثَلاثَةُ أَجزاءٍ ، كِتابُ الاعْتِزازِ بِالْهِجْرَةِ جزْءٌ واحِدٌ ، كِتابُ الْمَقالَةِ الْفاضِحَةِ لِلرِّسالَةِ الْواضِحَةِ جزْءٌ واحِدٌ ضَخْمٌ ، كِتابُ رَفْعِ التَّخْلِيطِ عَنْ حَدِيثِ الأَطِيطِ جزْءٌ واحِدٌ ، كِتابُ الْجَوابِ الْمَبْسُوطِ لِمَنْ ذَكَرَ حَدِيثَ الْهُبُوطِ جزْءٌ واحِدٌ ، كِتابُ الْقَوْلِ فِي جُمْلَةِ الأَسانِيدِ فِي حَدِيثِ الْمُؤَيَّدِ ثَلاثَةُ أَجزاءٍ ، كِتابُ طُرُقِ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ جزْءٌ ، كِتابُ مَنْ لا يَكُونُ مُؤْتَمَناً لا يَكُونُ مُؤَذِّناً جزْءٌ واحِدٌ ، كِتابُ ذِكْرِ الْبَيانِ عَنْ

فَضلِ كِتَابَةِ القُرْآنِ جزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ دَفْعِ التَّثْرِيبِ عَلَى مَنْ فَسَّرَ مَعْنَى التَّثْوِيبِ (١) جُزْءٌ ، كِتَابُ فَضْلِ الكَرَمِ عَلَى أَهْلِ الحَرَمِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الاقْتِدَاءِ بِالصَّادِقِ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ الإِنْذَارِ بِحُدُوثِ الزَّلَازِلِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ ، كِتَابُ ثَوَابِ الصَّبْرِ عَلَى المُصَابِ بِالوَلَدِ جُزْآنِ ، كِتَابُ مَعْنَى قَوْلِ عُثْمَانَ « مَا تَغَنَّيْتُ وَلَا تَمَنَّيْتُ » جُزْءٌ ، كِتَابُ مُسَلْسَلِ العِيدَيْنِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ حُلُولِ المِحْنَةِ بِحُصُولِ الأُبْنَةِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ تَرْتِيبِ الصَّحَابَةِ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ تَرْتِيبِ الصَّحَابَةِ الَّذِي فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى جُزْءٌ ، كِتَابُ مُعْجَمِ الشُّيُوخِ النُّبَلَاءِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي عَمْرٍو الأَوْزَاعِيِّ وَفَضَائِلِهِ جُزْءٌ ، كِتَابُ مَا وَقَعَ لِلأَوْزَاعِيِّ مِنَ العَوَالِي جُزْءٌ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي مُحَمَّدٍ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَعَوَالِيهِ جُزْءٌ ، كِتَابُ

(١) التثويب . فى اللغة : الرجوع بعد الذهاب وفى الشرع وهو المراد هنا فيه عدة تفاسير . تقول ثوب المؤذن : دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله حى على الصلاة . أو ثنى الدعاء . أو قال فى أذان الفجر : الصلاة خير من النوم مرتين عودا على بدء

عَوَالِى حَدِيثِ سفْيَانَ الثَّوْرِىّ وَخبَرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْزَاء ، كِتَابُ إِجَابَةِ السُّؤَالِ فِى أَحَادِيثِ شُعْبَةَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ رِوَايَاتِ سَاكِنِي دَارِيَّا سِتَّةُ أَجْزَاء ، كِتَابُ مَنْ نَزَلَ الْمِزَّةَ وَحَدَّثَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ أَحَادِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ كَفْرِ سُوسِيَةَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ أَحَادِيثِ صَنْعَاءِ الشَّامِ جُزْءَانِ ، كِتَابُ أَحَادِيثِ أَبِى الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِىِّ ثَلَاثَةُ أَجْزَاء ، كِتَابُ أَحَادِيثِ حَنَشٍ وَالْمُطْعِمِ وَحَفْصٍ الصَّنْعَانِيِّينَ جُزْءٌ ، وَكِتَابُ فَضْلِ الرَّبْوَةِ وَالنَّيْرَبِ وَمَنْ حَدَّثَ بِهَا جُزْءٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ أَهْلِ قَرْيَةِ الْحَمْرَيْنِ (١) وَقُبَيْبَاتِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ أَهْلِ فَذَايَا وَبَيْتِ أَرَانِسَ وَبَيْتِ قُوفَا جُزْءٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ أَهْلِ قَرْيَةِ الْبَلَاطِ جُزْءٌ ، كِتَابُ حَدِيثِ سَلَمَةَ ابْنِ عَلِيٍّ الْحَسَنِيِّ الْبَلَاطِيِّ جُزْءَانِ ، وَمِنْ حَدِيثِ يَسَرَةَ بْنِ صَفْوَانَ وَابْنِهِ وَابْنِ ابْنِهِ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ سَعْدِ ابْنِ عُبَادَةَ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ زَنْدِينَ وَجِبْرِينَ جُزْءٌ

(١) لم أعثر على اسم كهذا فى القاموس أو فى المعجم والذى فيهما حمران كعثمان

وَاحِدٌ . وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ بَيْتِ سَوَاى جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ دُومَةَ وَمَسْرَابَا وَالْقَصْرِ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ حَرَسْتَا جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ كَفْرِ بَطْنَا جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ دَقَانِيَةَ وَجَخْرَاءَ وَعَيْنِ تَوْمَا وَجَدَيَا وَطَرْمِيسَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ جَوْبَرَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ لَهْيَا جُزْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ الْبَتْلَهِيِّ وَعَوَالِيهِ جُزْءٌ ، وَمَجْمُوعٌ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ الْحَضْرَمِيِّ الْبَتْلَهِيِّ جُزْءَانِ ، وَفَضَائِلُ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَهْلِ بَرْزَةَ جُزْءٌ ، وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رِزْقِ اللَّهِ الْمَنِينِيِّ الْمُقْرِئِ جُزْءٌ ، وَمَجْمُوعٌ مِنْ أَحَادِيثِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَعْلَبَكَّ جُزْءَانِ . قَالَ :

وَأَمْلَى رَحِمَهُ اللَّهُ أَرْبَعَمِائَةِ مَجْلِسٍ وَثَمَانِيَةَ مَجَالِسَ فِي فَنٍّ وَاحِدٍ ، وَخَرَّجَ لِشَيْخِهِ أَبِي غَالِبِ بْنِ الْبَنَّائِيِّ أَحَدَ عَشَرَ مَشْيَخَةً ، وَمَشْيَخَةً لِشَيْخِهِ أَبِي الْمَعَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ

الْحُلْوَانِيّ الْأُصُولِيّ جُزْأَيْنِ ، وَخرج أَرْبعين حَدِيثًا مُسَاوَاة الْإِمَامِ أَبِي عبدِ الله الْفَرَاوِيّ فِي جُزْء ، وَمُصَافَحَة لِأَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيّ وَأَرْبعين حَدِيثًا فِي جُزْء ، وَخرج لِشَيْخِهِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ السُّلَمِيّ سَبْعَة مَجَالِس وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا ، وَآخِرُ مَا صَنَعَهُ جُزْء فِي تَكْمِيلِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ بِتَعْجِيلِ الْإِسْعَافِ بِالْعَزْلِ ، وَكِتَابٌ فِيهِ ذِكْرُ مَا وَجَدْتُ فِي سَمَاعٍ مِمَّا يَلْتَحِقُ بِالْجُزْءِ الرُّبَاعِيّ . وَوَجَدْتُ فِي أُصُولِهِ عَلَامَاتٍ لَهُ عَلَى مُصَنَّفَاتٍ عِدَّةٍ مِنْهَا : كِتَابُ الْإِبْدَالِ وَلَوْ تَمَّ كَانَ مِقْدَارُهُ مِائَتَيْ جُزْء أَوْ أَكْثَر . وَكِتَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ ، وَمُسْنَدُ مَكْحُولٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ . وَكِتَابُ فَضْلِ مَكَّةَ . وَكِتَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ . وَكِتَابُ فَضْلِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ . وَكِتَابُ فَضْلِ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَنْصَارِ وَالْأَشْعَرِيِّينَ (١) وَذَمّ

---

(١) هم أهل السنة . نسبة إلى أبي موسى الأشعرى وأهل السنه يرون الترتيب فى الخلفاء الأربعة ، وأن أبا بكر رضى الله عنه أفضلهم ثم يليه عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على كرم الله وجهه .

الرَّافِضَةِ (١) . وَكِتَابٌ كَبِيرٌ فِى الصِّفَاتِ وَأَشْيَاءُ غَيْرُ ذَلِكَ تَبْلُغُ عِدَّتُهَا أَرْبَعِينَ مُصَنَّفاً . وَلَمَّا أَمْلَى رَحِمَهُ اللهُ فِى فَضَائِلِ الصِّدِّيقِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ سَبْعَةَ مَجَالِسَ ثُمَّ قَطَعَهَا بِإِمْلَاءِ مَجَالِسَ فِى ذَمِّ الْيَهُودِ وَتَخْلِيدِهِمْ فِى النَّارِ ، جَاءَ إِلَيْهِ صَدِيقُنَا أَبُوعَلِىِّ بْنُ رَوَاحَةَ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُ الصِّدِّيقَ فِى النَّوْمِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَقُلْتُ : يَاخَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ قَدْ أَمْلَى عَلَيْنَا الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ سَبْعَةَ مَجَالِسَ فِى فَضَائِلِكَ ، فَأَشَارَ إِلَىَّ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدِى : قَدْ بَقِىَ عِنْدِى مِمَّا خَرَّجْتُ وَلَمْ أُمْلِهِ أَرْبَعَةُ مَجَالِسَ فَأَمْلَاهَا ، ثُمَّ أَمْلَى فِى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ أَحَدَ عَشَرَ مَجْلِساً ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ مُوَاظِباً عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ مُلَازِماً لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَخْتِمُ فِى رَمَضَانَ وَالْعَشْرِ (٢) كُلَّ يَوْمٍ خَتْمَةً ، وَلَمْ يُرَ إِلَّا فِى الِاشْتِغَالِ بِعِلْمٍ وَعِبَادَةٍ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ

(١) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين « أى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما » فأبى وقال : كانا وزيرى جدى فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه (٢) أى الليالى العشر المرادة بقوله تعالى « وليال عشر » أى عشر ذى الحجة .

وَالِدِي يَحْكِي أَنَّ أَبَاهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا وَوَالِدِي حَمْلٌ أَنَّهُ يُولَدُ لَكَ مَوْلُودٌ يُحْيِي اللهُ بِهِ السُّنَّةَ ، وَلَمَّا قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ أُعْجِبَ بِهِ الْبَغْدَادِيُّونَ وَقَالُوا : قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ دِمَشْقَ ثَلَاثَةٌ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُمْ : الشَّيْخُ يُوسُفُ الدِّمَشْقِيُّ ، وَالصَّائِنُ أَبُو الْحُسَيْنِ هِبَةُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ ، وَأَخُوهُ أَبُو الْقَاسِمِ . وَحَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا أَقْرَأُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي الْفَتْحِ الْمُخْتَارِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ جَمَاعَةٍ بِالْعَجَمِيَّةِ فَقَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ فَقُلْنَا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو سَعْدِ بْنُ السَّمْعَانِيِّ فَقُلْنَا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا فَلَمْ نَرَ مِثْلَهُ ، وَقَالَ لَنَا صَاحِبُهُ الْحَافِظُ أَبُو الْمَوَاهِبِ الْحَسَنُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ صَصْرَى قَالَ : الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُقْرِئُ الْأَدِيبُ اللُّغَوِيُّ إِمَامُ هَمَذَانَ وَتِلْكَ الدِّيَارِ غَيْرُ مُدَافَعٍ ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُسَاجِلُ الْحَافِظَ أَبَا الْقَاسِمِ فِي شَأْنِهِ أَحَدٌ ، فَلَوْ خَالَطَ النَّاسَ وَمَازَجَهُمْ كَمَا أَصْنَعُ إِذًا لَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُخَالِفُ وَالْمُؤَالِفُ ، وَقَالَ لِي يَوْمًا آخَرَ : أَيُّ شَيْءٍ فُتِحَ لَهُ ؟ وَكَيْفَ تَرَ النَّاسِ

لَهُ؟ فقلتُ: هُوَ بعيدٌ مِنْ هذا كُلِّهِ، لَمْ يَشْتَغِلْ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بِالجمعِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْمُطَالَعَةِ وَالتَّسْمِيعِ حَتَّى فِي نُزَهِهِ وَخلَوَاتِهِ. فقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، هَذَا ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، أَلَا إِنَّا قَدْ فُتِحَ لَنَا مَاحَصَّلْنَا بِهِ الدَّارَ وَالْكُتُبَ وَبِنَاءَ الْمَسْجِدِ مَا يَقْرُبُ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَهَذَ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ حُظُوظِ الْعُلَمَاءِ فِي بِلَادِكُمْ[1]. ثُمَّ قَالَ لِي: مَا كُنَّا نُسَمِّي الشَّيْخَ أَبَا الْقَاسِمِ بِبَغْدَادَ إِلَّا شُعْلَةَ نَارٍ مِنْ تَوَقُّدِهِ وَذَكَائِهِ وَحُسْنِ إِدْرَاكِهِ. قَالَ: وَقَالَ لِي وَالِدِي لَمْ أَرَ بِدِمَشْقَ أَفْهَمَ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْأَكْفَانِيِّ، وَلَا بِبَغْدَادَ مِثْلَ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ وَأَبِي عَامِرٍ الْعَبْدَرِيِّ، وَكَانَ الْعَبْدَرِيُّ أَحْفَظَهُمَا، وَلَمْ أَرَ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّحَّامِيِّ، وَلَا بِأَصْفَهَانَ مِثْلَ أَبِي الْقَاسِمِ التَّيْمِيِّ الْحَافِظِ، وَأَبِي نَصْرٍ الْبُوَيَارِيِّ فقلْتُ لَهُ: مَا إِخَالُكَ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْهُمَا فَسَكَتَ، هَذَا آخِرُ مَا نَقَلْتُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الَّذِي أَلَّفَهُ ابْنُهُ وَتَرَكْتُ مِنْهُ مَا اخْتَصَرْتُهُ. وَكَانَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ

(١) العبارة غير مؤدية لما يراد، فان المتكلم يقول: إنا قد فتح لنا ما أوجدنا به الدار والكتب والمسجد ثم بين ما الداخلة على حصلنا بقوله مايقرب
« عبد الخالق »

يَقُولُ شِعْرًا لَيْسَ بِالْقَوِيّ، وَسَمِعَهُ تاجُ الدِّينِ أَبُو الْيَمَنِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ فَقَالَ. هَذَا شِعْرٌ أَضَاعَ فِيهِ صَاحِبُهُ شَيْطَانَهُ (١). قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي الْمُذَيَّلِ: وَأَنْشَدَنِي الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بِالْمِزَّةِ مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ:

أَيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ الْمَشِيبُ
فَمَاذَا التَّصَابِي وَمَاذَا الْغَزَلْ
تَوَلَّى شَبَابِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
وَجَاءَ مَشِيبِي كَأَنْ لَمْ يَزَلْ (٢)
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي فِيمَنْ أَكُونْ
وَمَا قَدَّرَ اللهُ لِي فِي الْأَزَلْ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِبَغْدَادَ:

وَصَاحِبٍ خَانَ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ وَأَتَى
مَا لَا يَلِيقُ بِأَرْبَابِ الدِّيَانَاتِ
وَأَظْهَرَ السِّرَّ مُخْتَارًا بِلَا سَبَبٍ
وَذَاكَ وَاللهِ مِنْ أَوْفَى الْجِنَايَاتِ

---

(١) كناية عن أنه شعر لا تشعر فيه بشيء من غزل وما ماثله مما يدعو إلى خيال يمثل لك الشاعرية (٢) يريد كأنه لم يزل يجيء أي أنه مستمر المجيء «عبد الخالق»

أَمَا أَتَاهُ عَنِ الْمُخْتَارِ فِي خَبَرٍ
أَنَّ الْمَجَالِسَ تُغْشَى بِالْأَمَانَاتِ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِنَيْسَابُورَ :

لَا قَدَّسَ اللهُ نَيْسَابُورَ مِنْ بَلَدٍ
مَا فِيهِ مِنْ صَاحِبٍ يُسْلِي وَلَا سَكَنِ (١)
لَوْلَا الْجَحِيمُ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرَقٍ
لِفُرْقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ
لَمُتُّ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ الَّذِي ظَهَرَتْ
آثَارُ شِدَّتِهِ فِي ظَاهِرِ الْبَدَنِ
يَا قَوْمُ دُومُوا عَلَى عَهْدِ الْهَوَى وَثِقُوا
أَنِّي (٢) عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَغْدِرْ وَلَمْ أَخُنِ
وَلَا تَدَبَّرْتُ (٣) عَيْشِي بَعْدَ بُعْدِكُمُ
إِلَّا تَمَثَّلْتُ بَيْتًا قِيلَ مِنْ زَمَنِ
فَإِنْ أَعِشْ فَلَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُنَا
وَإِنْ أَمُتْ فَقَتِيلُ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ

(١) أى ما تسكن إليه النفس وترتاح لوجوده (٢) كانت فى الاصل « منى »
(٣) أى فكرت فى أمر حياتى

١٥ – عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ *

على بن الحسن العبدرى

ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ ابْنِ حِصْنِ بْنِ مَعْلَى بْنِ أَسَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَنْمَارِ بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ الْكَيْذِيِّ بْنِ أَقْصَى بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ ابْنِ أَقْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ لُبَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، أَبُو الْحَسَنِ الْعَبْدَرِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُقْلَةِ ، هَكَذَا أَمْلَى نَسَبَهُ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ فَاضِلٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَالْعَرُوضِ ، وَلَهُ كُتُبٌ وَتَصَانِيفُ فِي ذَلِكَ ، وَيَقُولُ الشِّعْرَ وَيَتَرَسَّلُ . مَاتَ بِالْبَصْرَةِ فِي رَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، سَمِعَ بِالْبَصْرَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ جَابِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ ، وَأَبَا الْعِزِّ طَلْحَةَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ

(*) راجع طبقات الشافعية جزء ٣ ص ٢٩٨
وترجم له كذلك فى كتاب أنباء الرواة ج أول ص ٥٤٢

عُمَرَ المَالِكِيَّ، وَأَبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ الوَاعِظَ، وَأَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَطِيَّةَ الشَّافِعِيَّ إِمَامَ الجَامِعِ بِالبَصْرَةِ وَغَيْرَهُ، وَقَرَأَ بِهَا الأَدَبَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الأَحْمَرِ، وَأَبِي العَبَّاسِ بْنِ الحَرِيرِيِّ، وَأَبِي العِزِّ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، وَقَدِمَ بَغْدَادَ مِرَاراً وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَبِي الكَرَمِ المُبَارَكِ بْنِ الحَسَنِ الشَّهْرَزُورِيِّ، وَأَبِي الفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ السَّلَامِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ الزَّاغُونِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ وَخَرَّجَ لِنَفْسِهِ فَوَائِدَ فِي عِدَّةِ أَجْزَاءٍ عَنْ شُيُوخِهِ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ الأَدَبَ، وَكَانَ مُتَحَقِّقاً بِعِلْمِ العَرُوضِ وَنِعْمَ الشَّيْخُ، وَكَانَ مَحْمُودَ الطَّرِيقَةِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: أَنْشَدَنِي أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ العَبْدَرِيُّ لِنَفْسِهِ:

شِيمَتِي[1] أَنْ أَغُضَّ طَرْفِيَ فِي الدَّ
ارِ إِذَا مَا دَخَلْتُهَا لِصَدِيقِ

(١) الشيمة الخلة والخليقة: جمعها شيم

وَأَصُونُ الْحَدِيثَ أُودِعُهُ صَوْ
نِيَ سِرِّي وَلَا أَخُونُ رَفِيقِي

قَالَ: وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ:

لَا تَسْلُكِ الطُّرُقَ إِذَا أَخْطَرَتْ (١)
لَوْ أَنَّهَا تُفْضِي إِلَى الْمَمْلَكَهْ
قَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: « وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهْ »

١٦ – عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَسْعُودِيُّ الْمُؤَرِّخُ *

علي بن الحسين المسعودي

أَبُو الْحَسَنِ، مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، مَاتَ فِيمَا بَلَغَنِي فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ

(١) من الخطر: وهو الشيء الجليل — أي لا تسلك طريقاً وإن نهج بك إلى شرف الغاية ما دام محفوفاً بالهلاك

(*) ترجم له في كتاب طبقات الشافعية جزء ثان صفحة ٣٠٧ بما يأتي قال:
قيل إنه من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أصله من بغداد وأقام بها زمانا. وبمصر أكثر وكان أخباريا مفتيا علامة صاحب ملح وغرائب، سمع من نفطويه وابن زبر القاضي وغيرهما ورحل إلى البصرة فلقي بها أبا خليفة الجمحي ولم يعمر على ماذكر، وقيل إنه كان معتزلي العقيدة مات سنة خمس وأربعين أو ست وأربعين وثلاثمائة —

وَثَلاثِمائَةٍ بِمِصْرَ ، قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَقَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ غَلَطٌ ، لِأَنَّ الْمَسْعُودِيَّ ذَكَرَ فِي السِّفْرِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِمُرُوجِ الذَّهَبِ وَقَدْ عَدَّدَ فَضَائِلَ الْأَقَالِيمِ ، وَوَصَفَ هَوَاهَا وَاعْتِدَالَهَا ثُمَّ قَالَ : « وَأَوْسَطُ الْأَقَالِيمِ إِقْلِيمُ بَابِلَ الَّذِي مَوْلِدُنَا بِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ رِيَبُ (١) الْأَيَّامِ أَنْأَتْ (٢) بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَسَاحَقَتْ (٣) مَسَافَتَنَا عَنْهُ ، وَوَلَّدَتْ فِي قُلُوبِنَا الْحَنِينَ إِلَيْهِ إِذْ كَانَ وَطَنَنَا وَمَسْقَطَنَا ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الْإِقْلِيمُ عِنْدَ مُلُوكِ

— وهو الذى علق على أبى العباس بن سريج رسالة البيان عن أصول الأحكام وهذه الرسالة عندى نحو خمس عشرة ورقة . ذكر المسعودى فى أولها أنه حضر مجلس أبى العباس ببغداد فى علته التى مات بها سنة ست وثلاثمائة وقد حضر المجلس لعيادة أبى العباس جماعة من حذاق الشافعيين والمالكيين والكوفيين والداووديين وغيرهم من أصناف المخالفين فبينما أبو العباس يكلم رجلا من المالكيين إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم فدفعه إلى القاضى أبى العباس فقرأه على الجماعة فاذا هو من جماعة الفقهاء المقيمين ببلاد الشاس يعلمونه أن الناس فى ناحيتهم أرض شاس وفرغانة مختلفون فى أصول فقهاء الأمصار ممن لهم الكتب المصنفة والفتيا ويسألونه رسالة يذكر فيها أصول الشافعى ومالك وسفيان الثورى وأبى حنيفة وصاحبيه وداود بن على الأصبهانى وأن يكون ذلك بكلام واضح يفهمه العامي فكتب القاضى هذه الرسالة ثم أملى فيها ذكر المسعودى عليهم بعضها وعجز لضعفه عن إملاء الباقى فقرىء عليه والمسعودى يسمع .

(١) ريب الدهر : صروفه وحوادثه وريب المنون: حوادث الدهر . كذا فى اللسان . فمعنى ريب الأيام هنا : صروفها وحوادثها (٢) أبعدت (٣) باعدت

الفُرْسِ جَلِيلًا، وَكَانُوا يَشْتُونَ بِالْعِرَاقِ، وَيَصِيفُونَ بِالجِبَالِ. فَقَالَ أَبُو دُلَفٍ الْعِجْلِيُّ:

إِنِّى امْرُؤٌ كِسْرَوِىُّ الفِعَالِ
أَصِيفُ الجِبَالَ وَأَشْتُو الْعِرَاقْ

وَقَدْ كَانَتِ الْأَوَائِلُ تُشَبِّهُهُ بِالقَلْبِ فِى الْجَسَدِ، لِأَنَّ أَرْضَهُ هِىَ الَّتِى كَشَفَتِ الْآرَاءَ عَنْ أَهْلِهِ بِحِكْمَةِ الْأُمُورِ كَمَا يَرْتَفِعُ ذَلِكَ عَنِ القَلْبِ، وَلِذَلِكَ اعْتَدَلَتْ أَلْوَانُ أَهْلِهِ وَامْتَدَّتْ أَجْسَامُهُمْ، فَسَلِمُوا مِنْ شُقْرَةِ الرُّومِ وَالصَّقَالِبَةِ وَسَوَادِ الْحَبَشَةِ وَغِلَظِ الْبَرْبَرِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِمْ مَحَاسِنُ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَكَمَا اعْتَدَلُوا فِى الْخِلْقَةِ لَطُفُوا فِى الْفِطْنَةِ، وَأَشْرَفُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ مَدِينَةُ السَّلَامِ (١) وَيَعِزُّ عَلَىَّ مَا أَصَارَتْنِى إِلَيْهِ الْأَقْدَارُ مِنْ فِرَاقِ هَذَا الْمِصْرِ الَّذِى عَنْ بُقْعَتِهِ فُصِلْنَا، لَكِنَّهُ الدَّهْرُ الَّذِى مِنْ شِيمَتِهِ التَّشْتِيتُ، وَالزَّمَنُ الَّذِى مِنْ شَرِيطَتِهِ (٢)

(١) اسم لبغداد (٢) الشريطة : ما اشترطته على غيرك . تقول خذ شريطتك . فكأن الزمان اشترط على الناس المحن والآفات .

الْآفَاتُ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو دُلَفٍ فِي قَوْلِهِ :

أَيَا نَـكْبَةَ الدَّهْرِ الَّتِي طَوَّحَتْ بِنَا
أَيَادِي[(١)] سَبَا فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ

وَمِنْ عَلَامَةِ وَفَاءِ الْمَرْءِ : دَوَامُ عَهْدِهِ وَحَنِينِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَشَوْقُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَمِنْ عَلَامَةِ الرُّشْدِ : « أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ إِلَى مَوْلِدِهَا تَائِقَةً[(٢)] ، وَإِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهَا شَائِقَةً[(٣)] » .

فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ بَغْدَادِيُّ الْأَصْلِ ، وَإِنَّمَا انْتَقَلَ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فَأَقَامَ فِيهَا . وَهُوَ يَحْكِي فِي كُتُبِهِ كَثِيراً وَيَقُولُ : رَأَيْتَ أَيَّامَ كَوْنِي بِمِصْرَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ مُرُوجِ الذَّهَبِ وَمَعَادِنِ الْجَوَاهِرِ فِي تُحَفِ الْأَشْرَافِ وَالْمُلُوكِ ، كِتَابُ ذَخَائِرِ الْعُلُومِ وَمَا

(١) أى فرقت شملنا ، يقال : تفرق القوم أيدى سبا وأيادى سبا بتسهيل همزة سبا تبددوا تبددا لا اجتماع بعده ، وذلك لأن الله تعالى أرسل على تلك الأرض سيل العرم فأغرقها فانتزح سبأ وقومه وتبددوا فضرب بهم المثل

(٢) تاق إلى الشىء : اشتد شوقه إليه (٣) أى مشتاقة

كَانَ فِي سَالِفِ الدُّهُورِ ، كِتَابُ الرَّسَائِلِ ، كِتَابُ الِاسْتِذْكَارِ لِمَا مَرَّ فِي سَالِفِ الْأَعْصَارِ ، كِتَابُ التَّارِيخِ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، كِتَابُ التَّنْبِيهِ وَالْأَشْرَافِ ، كِتَابُ خَزَائِنِ الْمُلْكِ وَسِرِّ الْعَالَمِينَ ، كِتَابُ الْمَقَالَاتِ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الزَّمَانِ وَمَنْ أَبَادَهُ الْحَدَثَانُ[1] ، كِتَابُ الْبَيَانِ فِي أَسْمَاءِ الْأَئِمَّةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ .

(١٧ – عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ *)

أبو الفرج الاصبهاني

ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ

(١) حدثان الدهر وحدثانه : نوائبه قال الشاعر :

لا يبعد الله إخوانا لنا ذهبوا أفناهم حدثان الدهر والأبد

* ترجم له في كتاب وفيات الأعيان جزء أول صفحة ٣٣٣

ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ الْعَلَّامَةُ النَّسَّابُ الْأَخْبَارِيُّ الْحُفَظَةُ [١]، الْجَامِعُ بَيْنَ سَعَةِ الرِّوَايَةِ وَالْحِذْقِ فِي الدِّرَاسَةِ [٢]، لَا أَعْلَمُ لِأَحَدٍ أَحْسَنَ مِنْ تَصَانِيفِهِ فِي فَنِّهَا وَحُسْنِ اسْتِيعَابِ مَا يَتَصَدَّى لِجَمْعِهِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ شَاعِرًا جَيِّدًا، مَاتَ فِي رَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْمُطِيعِ لِلهِ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ .

رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ، وَالْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ الْجُمَحِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ، وَإِبْرَاهِيمَ نِفْطَوَيْهِ .

وَجَدْتُ عَلَى الْهَامِشِ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ تِجَاهَ وَفَاتِهِ

(١) وزان همزة والتاء للمبالغة : الكثير الحفظ (٢) لعلها الدراية فهم يقولون أجادوا كذا رواية ودراية أى سماعا بتحفظ وإدراكا بتفهم وإن كان حذق الدراسة معنى مفهوما إلا أن المقابلة بين الرواية والدراية أنسب

مَا صُورَتُهُ : وَفَاتُهُ هَذِهِ فِيهَا نَظَرٌ وَتَفْتَقِرُ إِلَى التَّأَمُّلِ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي كِتَابِ أَدَبِ الْغُرَبَاء مِنْ تَأْلِيفِهِ :

حَدَّثَنِي صَدِيقٌ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى قَصْرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالشَّمَّاسِيَّةِ يَقُولُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْهَرَوِيُّ ، حَضَرْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ فِي سِمَاطِ[1] مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَالدُّنْيَا عَلَيْهِ مُقْبِلَةٌ ، وَهَيْبَةُ الْمُلْكِ عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةٌ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَرَأَيْتُ مَا يَعْتَبِرُ بِهِ اللَّبِيبُ يَعْنِي مِنَ الْخَرَابِ. وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ هَذَا قِصَّةً لَهُ مَعَ صَبِيٍّ كَانَ يُحِبُّهُ ذَكَرْتُهَا بَعْدَ هَذَا يَذْكُرُ فِيهِ مَوْتَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ

---

(١) السماط : صف الجنود الذين يتقدمون بين يدي الملك ولعل هذا المعنى هو المراد ، فيكون هـذا الموضع مكان استعراض جنود معز الدولة وسماط الطعام : مايبسط ليوضع عليه، وكلا المعنيين محتمل وعلى الأول يقول المتنبي في رسول ملك الروم إلى سيف الدولة :

وأقبل يمشي في السماط فما درى

إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي

وعلى الثاني قول الحريري « لأفوز بحلاوة اللقاط وأحوز حلواء السماط » أي ماصف على الخوان من الحلواء « عبد الخالق »

وَوِلَايَةِ ٱبْنِهِ بَخْتِيَارَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ(١) ، وَيَزْعُمُ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ أَنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِ شَبَابِهِ فَلَا أَدْرِي مَا هَذَا الِاخْتِلَافُ ؟ - آخِرُ مَا كَانَ عَلَى الْهَامِشِ - .

وَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ ، فِي مُقَدِّمَةِ مَا ٱنْتَخَبَهُ مِنْ كِتَابِ الْأَغَانِي إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ٱبْنِ حَمْدَانَ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الصَّاحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ عَبَّادٍ فَقَالَ : لَقَدْ قَصَّرَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ يَسْتَأْهِلُ أَضْعَافَهَا ، وَوَصَفَ الْكِتَابَ فَأَطْنَبَ ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدِ ٱشْتَمَلَتْ خَزَائِنِي عَلَى مِائَتَيْنِ وَسِتَّةِ آلَافِ مُجَلَّدٍ مَا مِنْهَا مَا هُوَ سَمِيرِي غَيْرُهُ ، وَلَا رَاقَنِي مِنْهَا سِوَاهُ .

قَالَ : وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ كَاتِبُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ : لَمْ يَكُنْ كِتَابُ الْأَغَانِي يُفَارِقُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ

---

(١) كيف تكون وفاته سنة ٣٥٦ فى خلافة المطيع بالله وهو نفسه يحكى فى كتاب ادب الغرباء مارآه فى قصر معز الدولة من الخراب بعد العمران وأن ذلك كان سنة ٣٥٦ فى زمن شبابه هذا هو موضع النظر فى تاريخ وفاته .

فِي سَفَرِهِ وَلَا حَضَرِهِ ، وَإِنَّهُ كَانَ جَلِيسَهُ الَّذِي يَأْنَسُ إِلَيْهِ ، وَخَدِينَهُ الَّذِي يَرْتَاحُ نَحْوَهُ .

قَالَ : وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ . سَأَلْتُ أَبَا الفَرَجِ فِي كَمْ جَمَعْتَ هَـذَا الْـكِتَابَ ؟ فَقَالَ : فِي خَمْسِينَ سَنَةً ، قَالَ : وَإِنَّهُ كَتَبَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي عُمُرِهِ ، وَهِيَ النُّسْخَةُ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا الْـكِتَابَ لَجَلِيلُ الْقَدْرِ ، شَائِعُ الذِّكْرِ ، جَمُّ الْفَوَائِدِ ، عَظِيمُ الْعِلْمِ ، جَامِعٌ بَيْنَ الْجِدِّ الْبَحْتِ [1] وَالْهَزْلِ النَّحْتِ [2] ، وَقَدْ تَأَمَّلْتُ هَذَا الْـكِتَابَ وَعُنِيتُ بِهِ ، وَطَالَعْتُهُ مِرَاراً وَكَتَبْتُ مِنْهُ نُسْخَةً بِخَطِّي فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَنَقَلْتُ مِنْهُ إِلَى كِتَابِي الْمَوْسُومِ بِأَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ فَأَكْثَرْتُ وَجَمَعْتُ تَرَاجِمَهُ فَوَجَدْتُهُ يَعِدُ بِشَيْءٍ وَلَا يَفِي بِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْهُ ، كَقَوْلِهِ فِي أَخْبَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ « وَقَدْ طَالَتْ أَخْبَارُهُ هَاهُنَا وَسَنَذْكُرُ خَبَرَهُ مَعَ عُتْبَةَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ » وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

---

(١) أى الخالص والصرف من كل شيء . يقال : شراب بحت : أى غير ممزوج

(٢) الخالص

« أَخْبَارُ أَبِي نُوَاسٍ مَعَ جِنَانَ[1] إِذْ كَانَتْ سَائِرُ أَخْبَارِهِ قَدْ تَقَدَّمَتْ » وَلَمْ يَتَقَدَّمْ شَيْءٌ إِلَى أَشْبَاهٍ لِذَلِكَ ، وَالْأَصْوَاتُ الْمِائَةُ هِيَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ ، وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ ، أَوْ يَكُونُ النِّسْيَانُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ وَهَذَا الَّذِي يَحْضُرُنِي مِنْهَا : كِتَابُ الْأَغَانِي الْكَبِيرُ ، كِتَابُ مُجَرَّدِ الْأَغَانِي ، كِتَابُ التَّعْدِيلِ وَالِانْتِصَافِ فِي أَخْبَارِ الْقَبَائِلِ وَأَنْسَابِهَا لَمْ أَرَهُ ، وَبِوُدِّي لَوْ رَأَيْتُهُ ذَكَرَهُ هُوَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي ، كِتَابُ مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْقِيَانِ[2] ، كِتَابُ الْإِمَاءِ الشَّوَاعِرِ ، كِتَابُ الْمَمَالِيكِ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ أُدَبَاءِ الْغُرَبَاءِ ، كِتَابُ الدِّيَانَاتِ ، كِتَابُ تَفْضِيلِ ذِي الْحِجَّةِ ، كِتَابُ الْأَخْبَارِ وَالنَّوَادِرِ ، كِتَابُ أَدَبِ السَّمَاعِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الطُّفَيْلِيِّينَ ، كِتَابُ مَجْمُوعِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ ، كِتَابُ الْخَمَّارِينَ وَالْخَمَّارَاتِ ، كِتَابُ الْفَرْقِ وَالْمِعْيَارِ

(١) اسم جارية من القيان (٢) جمع قينة : وهى الجارية المغنية

فِي الْأَوْغَادِ وَالْأَحْرَارِ ، وَهِيَ رِسَالَةٌ عَمِلَهَا فِي هَارُونَ بْنِ الْمُنَجِّمِ ، كِتَابُ دَعْوَةِ النَّجَّارِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ جَحْظَةَ الْبَرْمَكِيِّ ، كِتَابُ جَمْهَرَةِ النَّسَبِ ، كِتَابُ نَسَبِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، كِتَابُ نَسَبِ بَنِي شَيْبَانَ ، كِتَابُ نَسَبِ الْمَهَالِبَةِ ، كِتَابُ نَسَبِ بَنِي تَغْلِبَ ، كِتَابُ الْغِلْمَانِ الْمُغَنِّينَ ، كِتَابُ مَنَاجِيبِ الْخِصْيَانِ عَمِلَهُ لِلْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ فِي خَصِيَّيْنِ مُغَنِّيَيْنِ كَانَا لَهُ . وَلَهُ بَعْدُ تَصَانِيفُ جِيَادٌ فِيمَا بَلَغَنِي كَانَ يُصَنِّفُهَا وَيُرْسِلُهَا إِلَى الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانُوا يُحْسِنُونَ جَائِزَتَهُ ، لَمْ يَعُدْ مِنْهَا إِلَى الشَّرْقِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَاللهُ أَعْلَمُ .

حَدَّثَ الرَّئِيسُ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ الصَّابِئُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي أَخْبَارِ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَاسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَزِيرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي

مِنْ نُدَمَاءِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْخِصِّيصِينَ بِهِ ، وَكَانَ وَسِخاً قَذِراً لَمْ يَغْسِلْ لَهُ ثَوْباً مُنْذُ فَصَّلَهُ إِلَى أَنْ قَطَّعَهُ ، وَكَانَ الْمُهَلَّبِيُّ شَدِيدَ التَّقَشُّفِ(١) عَظِيمَ التَّنَطُّسِ(٢) ، وَكَانَ يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ لِمَوْضِعِهِ مِنَ الْعِلْمِ . فَقَالَ فِيهِ :

كَانَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ(٣) ، أُمَوِيَّ النَّسَبِ عَزِيزَ الْأَدَبِ ، عَالِيَ الرِّوَايَةِ حَسَنَ الدِّرَايَةِ ، وَلَهُ تَصْنِيفَاتٌ مِنْهَا : كِتَابُ الْأَغَانِي ، وَقَدْ أَوْرَدَ فِيهِ مَا دَلَّ بِهِ عَلَى اتِّسَاعِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ حِفْظِهِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْهِجَاءِ أَجْوَدُ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهِ غَيْرَ مُتَأَخِّرٍ ، وَكَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ يَحْذَرُونَ لِسَانَهُ ، وَيَتَّقُونَ هِجَاءَهُ وَيَصْبِرُونَ فِي مُجَالَسَتِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ وَمُوَاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ مِنْ أَمْرِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ وَسِخاً فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ فِي فِي ثَوْبِهِ وَنَعْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْزِعُ دُرَّاعَةً

(١) فى الاصل التقشف بعد وكان المهلبي وهي لا تتفق مع قوله عظيم التنطس فجعلتها بعد قذرا وسوق الكلام يدل على هذا (٢) تنطس : تأنق فى الطهارة وفى الكلام وفى المطعم والملبس وفى جميع الأمور وهذه صفة الوزير المهلبى المعروف بها (٣) زيد فى الأصل « وكان » بعد كلمة الأصفهانى فحذفناها

« عبد الخالق »

إِلَّا بَعْدَ إِبْلَائِهَا وَتَقْطِيعِهَا، وَلَا يَعْرِفُ لِشَىْءٍ مِنْ ثِيَابِهِ غَسْلًا، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُ فِى مُدَّةِ بَقَائِهِ عِوَضًا.

حَدَّثَنِى جَدِّى وَسَمِعْتُ هَـٰذَا الْخَبَرَ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ مُتَفَاوَضٌ مُتَعَاوَدٌ: أَنَّ أَبَا الْفَرَجِ كَانَ جَالِسًا فِى بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى مَائِدَةِ أَبِى مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِىِّ فَقُدِّمَتْ سِكْبَاجَةٌ[١] وَافَقَتْ مِنْ أَبِى الْفَرَجِ سَعْلَةً فَبَدَرَتْ مِنْ فَمِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بَلْغَمٍ فَسَقَطَتْ وَسَطَ الْغَضَارَةِ[٢]، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِرَفْعِهَا وَقَالَ: هَاتُوا مِنْ هَذَا اللَّوْنِ فِى غَيْرِ الصَّحْفَةِ، وَلَمْ يَبِنْ فِى وَجْهِهِ إِنْكَارٌ وَلَا اسْتِكْرَاهٌ، وَلَا دَاخَلَ أَبَا الْفَرَجِ فِى هَذِهِ الْحَالِ اسْتِحْيَاءٌ وَلَا انْقِبَاضٌ. هَذَا إِلَى مَا يَجْرِى هَذَا الْمَجْرَى عَلَى مُضِىِّ الْأَيَّامِ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَزُوفَ[٣] النَّفْسِ بَعِيدًا مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّفُ احْتِمَالَهَا لِوُرُودِهَا مِنْ أَبِى الْفَرَجِ، وَكَانَ مِنْ ظَرْفِهِ فِى فِعْلِهِ وَنَظَافَتِهِ فِى مَأْكَلِهِ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل وربما جعل فيه زعفران ولهذا وصف بالأصفر وهو معرب سكبا بالفارسية ومعناه طعام بخل (٢) أى القصعة الكبيرة فارسية. (٣) عزفت نفسه عن الشىء عزفا وعزوفا: زهدت فيه، والمراد سرعة السآمة

أَكلَ شيء بِملعقةٍ كالأُرز واللَّبَنِ وأمثاله وَقفَ من جانبه الأَيمنِ غُلامٌ معهُ نحوُ ثلاثينَ مِلعقةً زُجاجاً مجزوداً ، وكانَ يَستعمِلهُ كثيراً فيأخذُ منهُ مِلعقةً يأكُلُ بِهَا مِنْ ذلِكَ اللونِ لقمةً واحِدَةً ، ثُمَّ يدفعهَا إلى غُلامٍ آخرَ قَامَ مِنَ الجانبِ الأيسرِ ، ثُمَّ يأخذُ أُخرَى فيفعلُ بِهَا فعلَ الأُولى حتَّى ينالَ الكِفايَة ، لِئَلَّا يُعِيدَ المِلعقةَ إِلَى فيهِ دفعةً ثانيةً ، فلمَّا كَثُرَ عَلَى المُهلَّبِيِّ استِمرارُ مَا قدَّمنا ذِكرَهُ ، جعَلَ لَهُ مائِدَتينِ : إِحداهُما كبيرةٌ عامَّةٌ ، وأُخرَى لطيفةٌ خاصَّةٌ ، وكانَ يُواكِلهُ عليهَا مَنْ يدْعوهُ إِليهَا .

قَالَ مؤلِّفُ الكِتَابِ : وقدْ ذُكِرَ مِثلُ هذا عَنْ أبِي رِياشٍ أَحمدَ بنِ إبراهيمَ اللُّغويِّ وقدْ ذكرْناهُ في بَابِهِ . قَالَ هِلالٌ : وعَلَى صُنعِ أبِي مُحمَّدٍ بِأبِي الفرجِ مَا كَانَ يَصنعهُ فمَا خَلا مِنْ هَجوهِ حيثُ قالَ فيهِ :

أَبعينِ مُفتقرٍ إِليكَ رَأيتَني
بعدَ الغِنَى فرميتَ بِي مِنْ حالقِ (١)

(١) الحالق : الجبل المرتفع . وقولهم رمي به من حالق : أى من مكان عال مشرف

لَسْتَ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنَّنِي
أَمَّلْتُ(١) لِلإِحْسَانِ غَيْرَ الْخَالِقِ

قَالَ ابْنُ الصَّابِئِ : وَحَدَّثَنِي جَدِّي أَيْضاً قَالَ : قَصَدْتُ أَنَا وَأَبُو عَلِيٍّ الأَنْبَارِيُّ وَأَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ دَارَ أَبِي الْفَرَجِ لِقَضَاءِ حَقِّهِ وَتَعَرُّفِ خَبَرِهِ مِنْ شَيْءٍ وَجَدَهُ ، وَمَوْقِعُهَا عَلَى دِجْلَةَ فِي الْمَكَانِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ دَرْبِ سُلَيْمَانَ وَدَرْبِ دِجْلَةَ ، وَمُلَاصِقَةٌ لِدَارِ أَبِي الْفَتْحِ الْبَرِيدِيِّ ، وَصَعِدَ بَعْضُ غِلْمَانِنَا لِإِيذَانِهِ(٢) بِحُضُورِنَا ، فَدَقَّ الْبَابَ دَقّاً عَنِيفاً حَتَّى ضَجِرَ مِنَ الدَّقِّ وَضَجِرْنَا مِنَ الصَّبْرِ ، قَالَ : وَكَانَ لَهُ سِنَّوْرٌ أَبْيَضُ يُسَمِّيهِ يَقَقاً(٣) ، وَمِنْ رَسْمِهِ إِذَا قَرَعَ الْبَابَ قَارِعٌ أَنْ يَخْرُجَ وَيَصِيحَ إِلَى أَنْ يَتْبَعَهُ غُلَامُ أَبِي الْفَرَجِ لِفَتْحِ الْبَابِ أَوْ هُوَ نَفْسُهُ ، فَلَمْ نَرَ السِّنَّوْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَأَنْكَرْنَا الأَمْرَ وَازْدَدْنَا تَشَوُّقاً إِلَى مَعْرِفَةِ الْخَبَرِ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَمَدٍ طَوِيلٍ صَاحَ صَائِحٌ أَنْ « نَعَمْ » ، ثُمَّ خَرَجَ أَبُو الْفَرَجِ وَيَدُهُ مُتَلَوِّثَةٌ بِمَا ظَنَنَّاهُ شَيْئاً كَانَ يَأْكُلُهُ فَقُلْنَا لَهُ : عَقَقْنَاكَ

(١) يروى الشطر الثاني: أزلت حاجاتي بغير الخالق (٢) آذنه بالأمر إيذانا: أعلمه به
(٣) اللون الأبيض : يقال أبيض يقق: شديد البياض كما يقال أصفر فاقع . وأسود حالك

بِأَنْ قطعْنَاكَ عمَّا كَانَ أَهمَّ مِنْ قَصْدِنَا إِيَّاكَ . فقَالَ : لا وَاللهِ يَاسَادَتِي ، مَا كُنْتُ على مَاتَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا لَحِقَنِي قُولَنجٌ [١] ، فَاحتَجْتُ إِلَى حقنَةٍ فَأَنَا مشْغُولٌ بِذَلِكَ ، فلمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ وَرَأَيْنَا الفِعلَ فِي يَدِهِ وَرَدَ عَلَيْنَا أَعْظَمُ مَوْرِدٍ مِنْ أَمرِهِ لِتنَاهِيهِ فِي القَذَارَةِ إِلَى مَالَا غَايَةَ بَعْدَهُ وَقُلْنَا : مَايَجُوزُ أَنْ نَصعَدَ إِلَى عِنْدِكَ فنَعُوقَكَ عَنِ اسْتِتْمَامِ مَا أَنتَ فيهِ ، وَإِنَّمَا جِئْنَاكَ لِنَتعَرَّفَ خَبَرَكَ ، وَقَدْ بَلَغْنَا مَا أَرَدْنَاهُ وَانْصَرَفْنَا .

قَالَ : وَاخْتَارَهُ [٢] فِي كُلِّ شَيْءٍ مُرِيحٍ ، وَكَانَتْ صُحْبَتُهُ لَهُ قبلَ الْوَزَارَةِ وَبَعْدَهَا إِلَى أَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ . وَكَتَبَ أَبُو الفَرَجِ إِلَى الْمُهَلَّبِيِّ يَشْكُو الْفَأْرَ وَيَصِفُ الْهِرَّ :

يَا حُدْبَ [٣] الظُّهُورِ قُعْصَ الرِّقَابِ
لِدِقَاقِ [٤] الْأَنْيَابِ وَالْأَذْنَابِ

---

(١) قولنج وقد تكسر لامه : مرض معوى يعسر معه خروج الثفل والريح معرب كوليكوس باليونانية وهى مشتقة من كولون وهو اسم رمعى كبير

(٢) أى واختاره الوزير المهلبي فى الأعمال الهينة (٣) يا للاستغاثة وحدب الظهور جمع أحدب ، والهر إذا تنمر رفع ظهره ، والقعص جمع أقعص : وهو معوج العنق (٤) أى يستغيث بالقطط من الفيران .

خُلِقَتْ لِلفَسَادِ مُذْ خُلِقَ الخَلْـ

ـقُ وَلِلعَيْثِ (١) وَالْأَذَى وَالخَرَابِ

نَاقِبَاتٍ فِى الْأَرْضِ وَالسَّقْفِ وَالحِيـ

ـطَانِ نَقْباً أَعْيَا عَلَى النَّقَّابِ

آكِلَاتٍ كُلَّ المَآكِلِ لَا تَأْ

مَنُهَا شَارِبَاتٍ كُلَّ الشَّرَابِ

آلِفَاتٍ قَرْضَ الثِّيَابِ وَقَدْ يَعْـ

ـدِلُ قَرْضَ الْقُلُوبِ قَرْضُ الثِّيَابِ

زَالَ (٢) هَمِّى مِنْهُنَّ أَزْرَقُ (٣) تُرْكِـ

ـىُّ السِّبَالَيْنِ أَنْمَرُ (٤) الجِلْبَابِ

لَيْثُ غَابٍ خَلْقاً وَخُلْقاً فَمَنْ لَا

حَ لِعَيْنِهِ خَالَهُ لَيْثَ غَابِ

نَاصِبٌ طَرْفَهُ إِزَاءَ الزَّوَايَا

وَإِزَاءَ السُّقُوفِ وَالْأَبْوَابِ

---

(١) أى الفساد (٢) أى زاله عن مكانه لغة فى أزال (٣) أى هر أزرق والسبالان : الشاربان ، أى طويل السبالين . والأتراك تطيلهما (٤) أى ذو جلد كجلد النمر مرقش مخطط .

يَنْتَضِي الظُّفْرَ حِينَ يَظْفَرُ (١) لِلصَّيْـ
ـدِ وَإِلَّا فَظُفْرُهُ فِي قِرَابِ (٢)

لَا يُرِي أَخْبَثَيْهِ (٣) عَيْنًا وَلَا يَعْـ
ـلَمُ مَا جَنَتَاهُ غَيْرُ التُّرَابِ

قَرْطَقُوهُ (٤) وَشَنَّفُوهُ وَحَلَّوْ
هُ أَخِيرًا وَأَوَّلًا بِالْخِضَابِ

فَهُوَ طَوْرًا يَمْشِي بِحَلْيِ عَرُوسٍ
وَهُوَ طَوْرًا يَخْطُو عَلَى عُنَّابِ

حَبَّذَا ذَاكَ صَاحِبًا وَهُوَ فِي الصُّحْـ
ـبَةِ أَوْفَى مِنْ أَكْثَرِ الْأَصْحَابِ

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ فِي كِتَابِ نِشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ قَالَ: وَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِ الْعَادَاتِ أَنِّي كُنْتُ أَرَى أَبَا الْفَرَجِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيَّ

---

(١) أى يثب (٢) هو غمد السيف ، أى يبرز أظفاره من غلفها عند الصيد ، ويدخلها فى غلافها بعد (٣) أى البول والثفل ، لأنه يحفر ويواريهما (٤) أى أن هواة القطط يلبسونها القرطق والشنف ويخضبونها ، والقرطق : قباء ذو طاق واحد . والشنف : مايعلق من الحلى فى أعلى الأذن وأما ما يعلق فى أسفلها فقرط

الْكَاتِبَ نَدِيمَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ صَاحِبَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي الْأَغَانِي وَالْقِيَانِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ دَائِمًا إِذَا ثَقُلَ الطَّعَامُ فِي مَعِدَتِهِ ، « وَكَانَ أَكُولًا نَهِمًا » يَتَنَاوَلُ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ فُلْفُلًا مَدْقُوقًا فَلَا تُؤْذِيهِ وَلَا تُدْمِعُهُ ، وَأَرَاهُ يَأْكُلُ حِمَّصَةً وَاحِدَةً أَوْ يَصْطَبِغُ (١) بِمَرَقَةِ قِدْرٍ فِيهَا حِمَّصٌ فَيُسَرْهَجُ (٢) بَدَنُهُ كُلُّهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ يُفْصَدُ ، وَرُبَّمَا فَصَدَ لِذَلِكَ دَفْعَتَيْنِ ، وَأَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْهُ ، وَقَالَ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ : إِنَّهُ لَمْ يَدَعْ طَبِيبًا حَاذِقًا عَلَى مُرُورِ السِّنِينَ إِلَّا سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِهِ ، فَلَا يَجِدُ عِنْدَهُ عِلْمًا وَلَا دَوَاءً ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ فَالِجِهِ بِسَنَوَاتٍ ذَهَبَتْ عَنْهُ الْعَادَةُ فِي الْحِمَّصِ فَصَارَ يَأْكُلُهُ فَلَا يَضُرُّهُ وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ الْفُلْفُلِ .

وَمِنْ كِتَابِ الْوُزَرَاءِ لِهِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ :

وَحَدَّثَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ قَالَ : سَكِرَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ بِحَضْرَتِهِ مِنْ نُدَمَائِهِ غَيْرِي فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْفَرَجِ ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تَهْجُونِي

(١) أي يأتدم (٢) سرهج الحبل : فتله فتلا شديداً ـ والمراد أن أكل الحمص يضره ضرراً بليناً ويجعله كالحبل المفتول أى فى حالة تشنج

سِرًّا فَاهْجُنِي السَّاعَةَ جَهْرًا . فَقُلْتُ : اللهَ اللهَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ فِيَّ ، إِنْ كُنْتَ قَدْ مَلِلْتَنِي انْقَطَعْتُ ، وَإِنْ كُنْتَ تُؤْثِرُ قَتْلِي فَبِالسَّيْفِ إِذَا شِئْتَ . فَقَالَ : دَعْ ذَا لَا بُدَّ أَنْ تَهْجُونِي . وَكُنْتُ قَدْ سَكِرْتُ فَقُلْتُ :

أَيْرُ بَغْلٍ بِلَوْلَبٍ

فَقَالَ فِي الْحَالِ مُجِيزًا :

فِي حِرِ أُمِّ الْمُهَلَّبِي

هَاتِ مِصْرَاعًا آخَرَ . فَقُلْتُ : الطَّلَاقُ لَازِمٌ لِلْأَصْفَهَانِيِّ إِنْ زَادَ عَلَى هَذَا وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ زِيَادَةٌ . قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ بْنِ هِلَالٍ الصَّابِىءِ صَاحِبِ الشَّامَةِ لِأَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ يَهْجُو أَبَا الْحَسَنِ طَازَادَ النَّصْرَانِيَّ الْكَاتِبَ :

طَازَادُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطِّيزِّ (١)

فَعَدِّ عَنْ ذِكْرِ فَتَى الْخُوزِ

كَأَنَّ رِجْلَيْهِ إِذَا مَا مَشَى

مُخَنَّثٌ يَلْعَبُ بِالشِّيزِ (٢)

---

(١) عامية وهي الاست (٢) الشيز : خشب أسود ، قيل هو الآبنوس : ولعله يريد اللعبة المعروفة « بالشيش » من ألعاب الفروسية وهي غير عربية .

قَرَأْتُ بِخَطِّ هِلَالِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْكَاتِبِ الزَّنْجَانِيِّ : حَدَّثَنِي الْأُسْتَاذُ أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ غُنَيْمَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي كَاتِباً لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ حَظِيًّا عِنْدَهُ مُحْتَشِماً لَدَيْهِ ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ مِنَ الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ أَنْ يُكْرِمَهُ وَيُبَجِّلَهُ وَيَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ ، وَعَدِمَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ :

مَالَكَ مَوْفُورٌ فَمَا بَالُهُ
أَكْسَبَكَ التِّيهَ عَلَى الْمُعْدِمِ ؟
وَلِمْ إِذَا جِئْتَ نَهَضْنَا وَإِنْ
جِئْنَا تَطَاوَلْتَ وَلَمْ تَتْمِمِ
وَإِنْ خَرَجْنَا لَمْ تَقُلْ مِثْلَ مَا
نَقُولُ قَدِّمْ طِرْفَهُ (١) قَدِّمْ
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي
مِثْلَ الَّذِي تَعْلَمُ لَمْ يَعْلَمِ ؟

(١) أى الجواد ، يريد لم تأمر خدمك باكرام الخارج من عندك

وَلَسْتَ فِى الْغَارِبِ(١) مِنْ دَوْلَةٍ
وَنَحْنُ مِنْ دُونِكَ فِى الْمَنْسِمِ
وَقَدْ وَلِينَا وَعُزِلْنَا كَمَا
أَنْتَ فَلَمْ نَصْغُرْ وَلَمْ تَعْظُمِ
تَكَافَأَتْ أَحْوَالُنَا كُلُّهَا
فَصِلْ عَلَى الْإِنْصَافِ أَوْ فَاصْرِمِ

وَقَدْ رَوَى أَبُو حَيَّانَ فِى كِتَابِ الْوَزِيرَيْنِ مِنْ تَصْنِيفِهِ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ غَيْرَ هَذَا، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِى أَخْبَارِ ابْنِ الْعَمِيدِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ: قَرَأْتُ فِى بَعْضِ الْمَجَامِيعِ لِأَبِى الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِىِّ:

حَضَرْتُكُمُ دَهْراً وَفِى الْكُمِّ تُحْفَةٌ
فَمَا أَذِنَ الْبَوَّابُ لِى فِى لِقَائِكُمْ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُكُمْ يَوْمَ أَخْذِكُمْ
فَمَا حَالُكُمْ تَاللهِ يَوْمَ عَطَائِكُمْ ؟

(١) غارب كل شىء : أعلاه

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : حَدَّثَنِي أَبُو نَصْرٍ الزَّجَّاجُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ فِي دُكَّانٍ فِي سُوقِ الْوَرَّاقِينَ ، وَكَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْبَقَّالِ الشَّاعِرُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْخَرَّازِ الْوَرَّاقِ وَهُوَ يُنْشِدُ أَبْيَاتَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّولِيِّ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

رَأَى خَلَّتِي (١) مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا

فَكَانَتْ قَذَى (٢) عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ (٣)

فَلَمَّا بَلَغَ إِلَيْهِ اسْتَحْسَنَهُ وَكَرَّرَهُ وَرَآهُ أَبُو الْفَرَجِ فَقَالَ لِي : قُمْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : قَدْ أَسْرَفْتَ فِي اسْتِحْسَانِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَهُوَ كَذَاكَ فَأَيْنَ مَوْضِعُ الصَّنْعَةِ فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ ذَاكَ فَقَالَ قَوْلُهُ : « وَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ » فَعُدْتُ إِلَيْهِ وَعَرَّفْتُهُ . فَقَالَ : عُدْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، الصَّنْعَةُ فِي قَوْلِهِ : « مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا » . قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَقَدْ أَصَابَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَافَةً

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر (٢) هو ما يقع فى العين من تراب ونحوه

(٣) روى هذا البيت فى ديوان الحماسة لغير الصولى فى قصيدة جاء فيها قبل هذا البيت :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلت

« عبد الخالق »

مِنَ الْغَرَضِ فَإِنَّ الْمَوْضِعَيْنِ مِمَّا غَايَةٌ فِي الْحُسْنِ وَإِنْ كَانَ مَاذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ أَحْسَنُ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ فِي كِتَابِ الْغُرَبَاءِ : وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى - رَحِمَهُ اللهُ - مَاضِيَيْنِ إِلَى دَيْرِ الثَّعَالِبِ فِي يَوْمٍ ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ لِلنُّزْهَةِ وَمُشَاهَدَةِ اجْتِمَاعِ النَّصَارَى هُنَاكَ وَالشُّرْبِ عَلَى نَهْرِ يَزْدَجِرْدَ الَّذِي يَجْرِي عَلَى بَابِ هَذَا الدَّيْرِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ كُتَّابِ النَّصَارَى مِنْ أَحْدَاثِهِمْ[1] ، وَإِذَا بِفَتَاةٍ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ الْمَنْقُوشُ تَتَمَايَلُ وَتَنْثَنِي كَغُصْنِ الرَّيْحَانِ فِي نَسِيمِ الشَّمَالِ ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا إِلَى يَدِ أَبِي الْفَتْحِ وَقَالَتْ يَا سَيِّدِي : تَعَالَ اقْرَأْ هَذَا الشِّعْرَ الْمَكْتُوبَ عَلَى حَائِطِ هَذَا الشَّاهِدِ ، فَمَضَيْنَا مَعَهَا وَبِنَا مِنَ السُّرُورِ بِهَا وَبِظَرْفِهَا وَمَلَاحَةِ مَنْطِقِهَا مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا

(١) الحدث : الصغير السن

الْبَيْتَ كَشَفَتْ عَنْ ذِرَاعٍ كَأَنَّهُ الْفِضَّةُ ، وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ :

خَرَجَتْ يَوْمَ عِيدِهَا فِي ثِيَابِ الرَّوَاهِبِ
فَتَنَتْ بِاخْتِيَالِهَا (١) كُلَّ جَاءٍ وَذَاهِبِ
لِشَقَائِي رَأَيْتُهَا يَوْمَ دَيْرِ الثَّعَالِبِ
تَتَهَادَى (٢) بِنِسْوَةٍ كَاعِبٌ (٣) فِي كَوَاعِبِ
هِيَ فِيهِمْ كَأَنَّهَا الْـ بَدْرُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ

فَقُلْتُ لَهَا : أَنْتِ وَاللهِ الْمَقْصُودَةُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَلَمْ نَشُكَّ أَنَّهَا كَتَبَتِ الْأَبْيَاتَ وَلَمْ نُفَارِقْهَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا وَقُلْتُ لَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَأَنْشَدْتُهَا إِيَّاهَا فَفَرِحَتْ :

مَرَّتْ بِنَا فِي الدَّيْرِ خُمْصَانَةٌ (٤)
سَاحِرَةُ النَّاظِرِ فَتَّانَهْ
أَبْرَزَهَا الْدُّكْرَانُ مِنْ خِدْرِهَا (٥)
تُعَظِّمُ الدَّيْرَ وَرُهْبَانَهْ

(١) أي العجب والتيه والدل (٢) تمشى فى هوادة (٣) الكاعب : التى برز نهداها (٤) ضامرة البطن (٥) أى من سترها

مَرَّتْ بِنَا تَخْطِرُ فِي مَشْيِهَا
كَأَنَّمَا قَامَتُهَا بَانَهْ

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ فَمَالَتْ بِهَا
كَمَا تَثَنَّى غُصْنُ رَيْحَانَهْ

فَتَيَّمَتْ قَلْبِي وَهَاجَتْ لَهُ
أَحْزَانَهُ قِدْماً وَأَشْجَانَهْ

وَحَصَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِي الْفَتْحِ عِشْرَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ وَتُوُفِّيَ بِهَا وَلَا أَعْرِفُ لَهَا خَبَراً بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَكُنْتُ انْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ مُنْذُ سُنَيَّاتٍ فَلَمَّا وَرَدْتُهَا أَصْعَدْتُ مِنَ الْفَيْضِ إِلَى سِكَّةِ قُرَيْشٍ أَطْلُبُ مَنْزِلاً أَسْكُنُهُ، لِأَنِّي كُنْتُ غَرِيباً لَا أَعْرِفُ أَحَداً مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا مَنْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ، فَدَلَّنِي رَجُلٌ عَلَى خَانٍ فَصِرْتُ إِلَيْهِ وَاسْتَأْجَرْتُ فِيهِ بَيْتاً وَأَقَمْتُ بِالْبَصْرَةِ أَيَّاماً، ثُمَّ خَرَجْتُ عَنْهَا طَالِباً حِصْنَ مَهْدِيٍّ وَكَتَبْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ عَلَى حَائِطِ الْبَيْتِ الَّذِي أَسْكُنُهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَرَى
مِنْ صَنْعَتِي مِنْ بَيْنِ هَذَا الْوَرَى
أَصَارَنِي الدَّهْرُ إِلَى حَالَةٍ
يَعْدَمُ فِيهَا الضَّيْفُ عِنْدِي الْقِرَى(١)
بُدِّلْتُ مِنْ بَعْدِ الْغِنَى حَاجَةً
إِلَى كِلَابٍ يَلْبَسُونَ الْفِرَا(٢)
أَصْبَحَ أُدْمُ السُّوقِ لِي مَأْكَلًا
وَصَارَ خُبْزُ الْبَيْتِ خُبْزَ الشِّرَا
وَبَعْدَ مِلْكِي مَنْزِلًا مُبْهِجًا
سَكَنْتُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ الْكِرَى
فَكَيْفَ أُلْفَى لَاهِيًا ضَاحِكًا
وَكَيْفَ أَحْظَى بِلَذِيذِ الْكَرَى ؟؟
سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ مَا خَلْفَنَا
وَبَيْنَ أَيْدِينَا وَتَحْتَ الثَّرَى

(١) إكرام الضيف (٢) يتزيون بزى الأكابر والنبلاء إذ كان لبس الفراء من ملابس عظماء الناس

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَرَى
وَانْقَطَعَ الْخَطْبُ وَزَالَ الْمِرَا

قَالَ أَبُو الفَرَجِ : وَكُنْتُ فِي أَيَّامِ الشَّبِيبَةِ وَالصِّبَا آلَفُ فَتًى مِنْ أَوْلَادِ الْجُنْدِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَوَلِيَ بَخْتِيَارُ ، وَكَانَتْ لِأَبِيهِ حَالٌ كَبِيرَةٌ وَمَنْزِلَةٌ مِنَ الدَّوْلَةِ وَرُتْبَةٌ ، وَكَانَ الْفَتَى فِي نِهَايَةِ حُسْنِ الْوَجْهِ وَسَلَامَةِ الْخُلُقِ وَكَرَمِ الطَّبْعِ ، مِمَّنْ يُحِبُّ الْأَدَبَ وَيَمِيلُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ قَرِيحَتَهُ حَتَّى عَرَفَ صَدْرًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَجَمَعَ خِزَانَةً مِنَ الْكُتُبِ حَسَنَةً ، فَمَضَتْ لِي مَعَهُ سِيَرٌ لَوْ حُفِظَتْ لَكَانَتْ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ ، مِنْ مُكَاتَبَاتٍ وَمُعَاتَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ . مِنْهَا مَا يُشْبِهُ مَا نَحْنُ فِيهِ : أَنِّي جِئْتُهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ غُدْوَةً فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ إِلَى الْحَلْبَةِ ، وَكَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمِ ثُلَاثَاءَ وَيَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَجَلَسْتُ

عَلَى دَكَّةٍ[١] عَلَى بَابِ دَارِ أَبِيهِ فِي مَوْضِعٍ فَسِيحٍ كَانَ عَمَرَهَا وَفَرَشَهَا ، فَكُنَّا نَجْلِسُ عَلَيْهَا لِلْمُحَادَثَةِ إِلَى ارْتِفَاعِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِذَا أَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلَى حُجْرَةٍ لَطِيفَةٍ كَانَتْ مُفْرَدَةً لَهُ ، لِنَجْتَمِعَ عَلَى الشُّرْبِ وَالشِّطْرَنْجِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، فَطَالَ جُلُوسِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُنْتَظِرًا لَهُ ، فَأَبْطَأَ وَتَصَبَّحَ[٢] مِنْ أَجْلِ رِهَانٍ كَانَ بَيْنَ فَرَسَيْنِ لِبُخْتَيَارَ ، فَعَرَضَ لِي لِقَاءُ صَدِيقٍ لِي فَقُمْتُ لِأَمْضِيَ ثُمَّ أَعُودَ إِلَيْهِ ، فَهَجَسَ[٣] لِي أَنْ كَتَبْتُ عَلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنَّا نَسْتَنِدُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

يَا مَنْ أَظَلُّ بِبَابِ دَارِهْ
وَيَطُولُ حَبْسِي[٤] لِانْتِظَارِهْ
وَحَيَاةِ طَرْفِكَ وَاحْوِرَارِهْ[٥]
وَجَمَالِ صُدْغِكَ فِي مَدَارِهْ

(١) الدكة بفتح الدال : بناء يسطح أعلاه ، والدكة والدكان : الذي يقعد عليه من اللسان (٢) أي نام أول النهار وفي اللسان « فلان نيام الصبحة والصبحة : أي نيام حين يصبح تقول منه تصبح الرجل . وفي حديث أم زرع أنها قالت : « وعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح » أرادت أنها تنام الصبحة اهـ (٣) الهاجس : خاطر النفس : أي تخطر لي (٤) أي مكثي وامتناعي عن الانطلاق : تقول ما حبسك عني ؟ أي ما منعك من المجيء إلي (٥) الحور والاحورار : شدة بياض العين وشدة سوادها

لَا حُلْتُ عُمْرِى عَنْ هَوَا
كَ وَلَوْ صُلِيتُ بِحَرِّ نَارِهْ

وَقُمْتُ فَلَمَّا عَادَ قَرَأَ الْأَبْيَاتَ وَغَضِبَ مِنْ فِعْلِى ، لِئَلَّا يَقِفَ عَلَيْهِ مَنْ يَحْتَشِمُهُ[1] ، وَكَانَ شَدِيدَ الْكِتْمَانِ لِمَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ ، وَمُطَالِباً بِمِثْلِ ذَلِكَ مُرَاقَبَةً لِأَبِيهِ ، إِلَّا أَنَّ ظَرْفَهُ وَوَكِيدَ مَحَبَّتِهِ لِى ، وَمَيْلَهُ إِلَىَّ لَمْ يَدَعْهُ حَتَّى أَجَابَ عَنْهَا بِمَا كَتَبَ تَحْتَهَا ، وَرَجَعْتُ مِنْ سَاعَتِى فَوَجَدْتُهُ فِى دَارِ أَبِيهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ إِلَىَّ خَادِمٌ لَهُمْ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ لَا الْتَقَيْنَا[2] حَتَّى تَقِفَ عَلَى الْجَوَابِ عَنِ الْأَبْيَاتِ فَإِنَّهُ تَحْتَهَا ، فَصَعِدْتُ الدَّكَّةَ فَإِذَا تَحْتَ الْأَبْيَاتِ بِخَطِّهِ : مَا هَذِهِ الشَّنَاعَةُ[3] ؟ وَمَنْ فَسَحَ لَكَ فِى هَذِهِ الْإِذَاعَةِ[4] ؟ وَمَا أَوْجَبَ خُرُوجَكَ عَنِ الطَّاعَةِ ؟ وَلَكِنْ أَنَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِى وَعَلَيْكَ ،

---

(١) احتشمه : أظهر له الوقار والاجلال ولم يتبسط أمامه (٢) جواب قسم محذوف : أى والله لا نلتقى حتى تقف الخ (٣) شنع فلاناً : فضحه ، أى ما هذه الفضيحة (٤) أذاع السر : أفشاه

مَلَكْتُكَ فطغَيْتَ . وأَطعتُكَ فتعَدَّيْتَ . وَمَا أَحتَشِمُ أَنْ أَقُولَ هذَا تعرُّضٌ لِلإِعْرَاضِ عنكَ وَالسَّلامُ . فعلِمتُ أَنِّي قدْ أَخطأْتُ وَسقطتْ شهِدَ اللهُ قُوَّتِي وحَرَكَتِي، فأَخذَتنِي النَّدَامَةُ وَالحَيْرَةُ ، ثُمَّ أُذِنَ لِي فدَخلتُ فقَبَّلْتُ يدَهُ فمَنعَنِي وَقُلتُ : يَاسيِّدِي غلطَةٌ غلِطتُهَا وَهفوَةٌ هفوتُهَا، فإِنْ لَمْ تتجَاوَزْ عنهَا وَتعفُ هَلَكتُ ، فقَالَ لِي : أَنتَ فِي أَوْسَعِ[(١)] العُذْرِ بَعدَ أَنْ لَا يكُونَ لَهَا أُختٌ ، وَعاتبنِي عَلَى ذَلِكَ عِتابًا عرَفتُ صِحَّتَهُ ، وَلَمْ تمضِ إِلَّا مُدَيْدَةٌ حَتَّى قُبِضَ عَلَى أَبِيهِ وَهَرَبَ فَاحتَاجَ إِلَى الاستِتَارِ ، فَلَمْ يأْنَسْ هُوَ وَأَهْلُهُ إِلَّا بِكَوْنِهِ عِندِي ، فأَنَا عَلَى غفلَةٍ إِذْ دَخَلَ فِي خُفٍّ وَإِزَارٍ وَكَادَتْ مَرَارَتِي تنفَطِرُ[(٢)] فرَحًا ، فلَقِيتُه أُقبِّلُ رِجلَيْهِ وَهُوَ يَضحَكُ وَيقُولُ : يَأْتِيهَا رِزقُهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ ، هَذَا يَا حَبِيبِي بَخْتُ[(٣)] مَنْ لَا يَصُومُ وَلَا يُصلِّي فِي الحَقِيقَةِ ، وَكَانَ أَخَفَّ النَّاسِ

---

(١) أى قبلت منك العذر وأفسحت لك فيه على ألا يتكرر الذنب هذا

(٢) أى تنشق (٣) البخت : الحظ

رُوحاً ، وَأَقْلَعَهُمْ[١] لِبَادِرَةٍ[٢] ، وَبِتْنَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَرُوسَيْنِ لَا نَعْقِلُ سُكْراً وَاصْطَبَحْنَا وَقُلْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

بِتُّ وَبَاتَ الْحَبِيبُ نَدْمَانِي[٣]
مِنْ بَعْدِ نَأْيٍ وَطُولِ هِجْرَانِ
نَشْرَبُ قُفْصِيَّةً[٤] مُعَتَّقَةً
بِحَانَةِ الشَّطِّ مُنْذُ أَزْمَانِ
وَكُلَّمَا دَارَتِ الْكُئُوسُ لَنَا
أَلْثَمَنِي فَاهُ ثُمَّ غَنَّانِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ
أَطَاعَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ عِصْيَانِ

وَلَمْ يَزَلْ مُقِيماً عِنْدِي نَحْوَ الشَّهْرِ حَتَّى اسْتَقَامَ أَمْرُ أَبِيهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِهِ .

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ النَّعَّالُ قَالَ : قَالَ أَبُو الْفَرَجِ

---

(١) قلع الشيء : انتزعه من أصله أو حوله عن موضعه (٢) البادرة : البديهة — والمعنى أنه لحضور بديهته وفطنته : ينتزع الفكرة فى سرعة ومن غير إعمال فكر

(٣) الندمان : المنادم على الشراب والأنثى ندمانة . والجمع ندامى . وقد يكون الندمان جمعا (٤) أى خمرا منسوبة إلى قفص : وهو جبل بكرمان

الأَصْبَهَانِىُّ : بَلَغَ أَبَا الْحَسَنِ جَحْظَةَ أَنَّ مُدْرِكَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِىَّ الشَّاعِرَ ذَكَرَهُ بِسُوءٍ فِى مَجْلِسٍ كُنْتُ حَاضِرَهُ وَكَتَبَ إِلَىَّ :

أَبَا فَرَجٍ أُهْجَى لَدَيْكَ وَيُعْتَدَى
عَلَىَّ فَلَا تَحْمَى(١) لِذَاكَ وَتَغْضَبُ
لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِى فِى مَوَدَّتِى
فَكُنْ مُعْتِبًا(٢) إِنَّ الْأَكَارِمَ تُعْتِبُ

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

عَجِبْتُ لِمَا بُلِّغْتَ عَنِّى بَاطِلًا
وَظَنُّكَ بِى فِيهِ لَعَمْرُكَ أَعْجَبُ
ثَكِلْتُ(٣) إِذًا نَفْسِى وَعِزِّى وَأُسْرَتِى
بِفَقْدِى وَلَا أَدْرَكْتُ مَا كُنْتُ أَطْلُبُ
فَكَيْفَ(٤) بِمَنْ لَاحَظَّ لِى فِى لِقَائِهِ
وَسِيَّانِ عِنْدِى وَصْلُهُ وَالتَّجَنُّبُ

---

(١) حمى يحمى : غضب (٢) أعتبه : أرضاه ، تقول : استعتبته فأعتبنى ، وأكارم الناس يرضون من عاتبهم (٣) ثكل نفسه : فقدها : والثاكل : التى فقدت ولدها
(٤) أى فكيف أبيع ودك بمن الخ .

فَثِقْ بِأَخٍ أَصْفَاكَ مَحْضَ مَوَدَّةٍ
تَشَاكَلَ مِنْهَا مَا بَدَا وَالتَّغَيُّبُ

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي قَالَ: كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُهَنِيُّ الْقَاضِي «وَأَظُنُّهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَتَقَلَّدَ الْحِسْبَةَ(١) بِهَا وَمِنْهَا عَرَفَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ وَصَحِبَهُ» يَشْتَمِلُ عَلَى آدَابٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَاحِشَ الْكَذِبِ، يُورِدُ مِنَ الْحِكَايَاتِ مَا لَا يَعْلَقُ بِقَبُولٍ وَلَا يَدْخُلُ فِي مَعْقُولٍ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ قَدْ أَلِفَ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَدْ سَلَكَ مَسْلَكَ الْاحْتِمَالِ، وَكُنَّا لَا نَخْلُو عَنْ حَدِيثِهِ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالِاسْتِطْرَافِ(٢) وَالِاسْتِبْعَادِ، وَكَانَ ذَلِكَ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِغْرَاقًا(٣) فِي قَوْلِهِ وَتَمَادِيًا فِي فِعْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ جَرَى حَدِيثُ النَّعْنَعِ وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ يَطُولُ، فَقَالَ الْجُهَنِيُّ: فِي الْبَلَدِ الْفُلَانِيِّ يَتَشَجَّرُ(٤) حَتَّى يُعْمَلَ مِنْ خَشَبِهِ

---

(١) محتسب البلد: مأمور من طرف الوالي لمناظرة ضبط الموازين والأسعار ونحو ذلك (٢) استطرف الحديث: استملحه واستظرفه. واستبعاده: عده بعيد الوقوع (٣) أي توغلا وتطرفا (٤) أي ينمو فيصير شجرا

السَّلَالِيمُ ، فَاغْتَاظَ أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهَانِىُّ مِنْ ذَاكَ وَقَالَ : نَعَمْ عَجَائِبُ الدُّنْيَا كَثِيرَةٌ ، وَلَا يُدْفَعُ مِثْلُ هَذَا وَلَيْسَ بِمُسْتَبْدَعٍ (١) ، وَعِنْدِى مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا وَأَغْرَبُ ، وَهُوَ زَوْجُ حَمَامٍ رَاعِبِىٍّ (٢) يَبِيضُ فِى نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا بَيْضَتَيْنِ فَأَنْتَزِعُهُمَا مِنْ تَحْتِهِ وَأَضَعُ مَكَانَهُمَا صَنْجَةً (٣) مِائَةً وَصَنْجَةً خَمْسِينَ ، فَإِذَا انْتَهَى مُدَّةُ الحِضَانِ تَفَقَّسَتْ الصَّنْجَتَانِ عَنْ طَسْتٍ وَإِبْرِيقٍ ، أَوْ سَطْلٍ وَكَرْنِيبٍ (٤) . فَعَمَّنَا الضَّحِكُ وَفَطِنَ الجُهَنِىُّ لِمَا قَصَدَهُ أَبُو الفَرَجِ مِنَ الطَّنْزِ ، وَانْقَبَضَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَحْكِيهِ وَيَتَسَمَّحُ فِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَخْلُ مِنَ الأَيَّامِ مِنَ الشَّىْءِ بَعْدَ الشَّىْءِ مِنْهُ . وَمِنْ عَجِيبِ مَا مَرَّ بِى مِنَ الكَذِبِ حِكَايَةٌ أَوْرَدَهَا غَرْسُ النِّعْمَةِ عَقِيبَ هَذِهِ قَالَ : كَانَ لِوَالِدِى تَاجِرٌ يُعْرَفُ بِأَبِى طَالِبٍ ، وَكَانَ مَعْرُوفًا

(١) أى ليس بدعا والبدع والبديع : الذى لامثل له (٢) نسبة إلى راعب إحدى النواحى (٣) صنجة الميزان وسنجته : مايوزن به فارسى معرب : وقال ابن السكيت : لا يقال سنجة ، والرطل ثلاث صنجات (٤) السطل إناء من نحاس له عروة يحمل بها والكرنيب وتكبر فاؤه فسره فى القاموس بالجميع من المجع وفسر الجميع بأنه لبن يشرب وعليه تمر أو تمر يعجن بلبن . « عبد الخالق »

بِالْكَذِبِ، فَأَذْكُرُ وَقَدْ حَكَى فِي مَجْلِسِهِ وَالنَّاسُ حُضُورٌ عِنْدَهُ: أَنَّهُ كَانَ فِي مُعَسْكَرِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ بِبُخَارَى مَعَهُ وَقَدْ جَاءَ مِنَ الْبَرْدِ أَمْرٌ عَظِيمٌ جَمَدَ مِنْهُ الْمَرْيُ(١) حَتَّى قُدَّ وَفُرِيَ وَعُمِلَتْ مِنْهُ خِفَافٌ، وَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَنْزِلُونَ فِي الْمُعَسْكَرِ فَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ وَلَا حَدِيثٌ وَلَا حَرَكَةٌ حَتَّى ضَرْبُ الطَّبْلِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، فَإِذَا أَصْبَحَ النَّاسُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ وَحَمِيَتْ ذَابَ الْكَلَامُ فَسُمِعَتِ الْأَصْوَاتُ الْجَامِدَةُ مُنْذُ أَمْسِ مِنْ أَصْوَاتِ الطُّبُولِ وَالْبُوقَاتِ وَحَدِيثِ النَّاسِ، وَصَهِيلِ الْخُيُولِ، وَنَهِيقِ الْحَمِيرِ وَرُغَاءِ الْإِبِلِ. قَرَأْتُ عَلَى ظَهْرِ جُزْءٍ مِنْ نُسْخَةٍ بِكِتَابِ الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرَجِ: حَدَّثَ ابْنُ عِرْسٍ الْمَوْصِلِيُّ وَكَانَ الْمُتَرَسِّلَ بَيْنَ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَخْلُفُ أَبَا تَغْلِبَ بِالْحَضْرَةِ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو تَغْلِبَ يَأْمُرُنِي بِابْتِيَاعِ كِتَابِ الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرَجِ

(١) المري: ماحلب من الناقة: أي أن اللبن قد جمد وجف وصار كالجلد يقد ويفرى. وقد الجلد: قطعه. والفرى: جعله قطعا صغارا

الْأَصْبَهَانِيِّ فَابْتَعْتُهُ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مِنْ صَرْفِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا بِدِينَارٍ[١]، فَلَمَّا حَمَلْتُهُ إِلَيْهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَأَى عِظَمَهُ وَجَلَالَةَ مَاحَوَى قَالَ: لَقَدْ ظُلِمَ وَرَّاقُهُ الْمِسْكِينُ، وَإِنَّهُ لَيُسَاوِي عِنْدِي عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَلَوْ فُقِدَ لَمَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ إِلَّا بِالرَّغَائِبِ[٢]، وَأَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ نُسْخَةً أُخْرَى وَيُخَلِّدَ عَلَيْهَا اسْمَهُ فَابْتَدَأَ بِذَلِكَ، فَمَا أَدْرِي أَتَمَّتِ النُّسْخَةُ أَمْ لَا؟.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ شِيرَزَادَ: اتَّصَلَ بِي أَنَّ مُسَوَّدَةَ كِتَابِ الْأَغَانِي وَهِيَ أَصْلُ أَبِي الْفَرَجِ أُخْرِجَتْ إِلَى سُوقِ الْوَرَّاقِينَ لِتُبْتَاعَ، فَأَنْفَذْتُ إِلَى ابْنِ قِرَابَةَ[٣] وَسَأَلْتُهُ إِنْفَاذَ صَاحِبِهَا لِأَبْتَاعَهَا مِنْهُ لِي، فَجَاءَنِي وَعَرَّفَنِي أَنَّهَا بِيعَتْ فِي النِّدَاءِ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَنَّ أَكْثَرَهَا فِي طُرُوسٍ

(١) لعله يريد أنه أعطاه عشرة الآلاف درهم دنانير بجعل الدينار مساويا لثمانية عشر درهما (٢) جمع رغيبة: وهى المال الكثير (٣) الموجود ابن أبى قربة بكسر القاف كنية جماعة ذكرهم صاحب القاموس « عبد الخالق »

وَبِخَطِّ التَّعْلِيقِ وَأَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لِأَبِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ فَرَاسَلْتُ أَبَا أَحْمَدَ فَأَنْكَرَ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَبَحَثْتُ كُلَّ الْبَحْثِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا .

كَانَ الرَّاضِي بِاللهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ قَدْ وَلَّى أَبَا عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيَّ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ بِنَوَاحِي الْبَصْرَةِ الْوَزَارَةَ ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ الرَّاضِيَ إِنَّمَا قَصَدَ بِتَقْلِيدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَزَارَةَ طَمَعًا فِي إِيقَاعِ الْحِيلَةِ عَلَيْهِ فِي تَحْصِيلِهِ ، فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً تَزِيدُ عَلَى مِائَةِ بَيْتٍ يَهْجُو فِيهَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، وَيُؤَنِّبُ الرَّاضِيَ فِي تَوْلِيَتِهِ وَطَمَعِهِ فِيهِ أَوَّلُهَا :

يَا سَمَاءُ اسْقُطِي وَيَا أَرْضُ مِيدِي(1)
قَدْ تَوَلَّى الْوَزَارَةَ ابْنُ الْبَرِيدِي

جَلَّ خَطْبٌ وَحَلَّ أَمْرٌ عُضَالٌ
وَبَلَاءٌ أَشَابَ رَأْسَ الْوَلِيدِ

(١) مادت : اضطربت ، وميدى : اضطربى

هُدَّ رُكْنُ الْإِسْلَامِ وَانْهَتَكَ الْمُلْـ
ـكُ وَمُحِيَتْ آثَارُهُ فَهُوَ مُودِي (١)

أَخْلَقَتْ (٢) بَهْجَةُ الزَّمَانِ كَمَا أَنْـ
ـهَجَ طُولُ اللِّبَاسِ وَشْيَ الْبُرُودِ (٣)

يَقُولُ فِيهَا :

وَتَوَهَّمْتُ أَنْ سَيَخْدَعُهُ ذَا
كَ فَيَغْتَالُهُ اصْطِيَادَ (٤) الصُّيُودِ

هُوَ أَزْنَى مِمَّا تُقَدِّرُ أُمَّا
لَيْسَ مِمَّنْ يُصَادُ بِالتَّقْلِيدِ (٥)

فَانْتَهَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ ضَحِكَ وَضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفَ أَبُو الْفَرَجِ مَا فِي نَفْسِي وَأَزَالَ الْوَحْشَةَ وَصَارَ

---

(١) أي هالك وفان ، من أودى بمعنى هلك (٢) أخلق الثوب ونهج : صار بالياً والمعنى ضاعت بهجة الزمان كما يضيع الاستعمال وشى الثوب (٣) الوشى في البرود : النقش (٤) مصدر على التشبه : أي فيصطاده كما تصطاد الفرائس (٥) يصفه بشدة الحرص ومثل هذا لا يراد منه السب بل المبالغة في وصفه باليقظة

إِلَيَّ ، لبالغتُ فِي صِلتِهِ وَالإِفْضَالِ عليْهِ مِنْ أَجلِ هـذا البيْتِ .

قَالَ الحُميدِيُّ : وَقدْ ذَكَرَ صاحِبُ كِتَابِ النِّشْوَارِ أَبُو عَلِيٍّ المُحسِنُ بْنُ عَلِيٍّ القَاضِي : أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِس أَبِي الفَرَجِ الأَصْبَهَانِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ الأَغَانِي ، فتذاكَرُوا مَوْتَ الفُجاءَةِ ، فَقَالَ أَبُو الفَرَجِ : أَخْبَرَنِي شيُوخُنا أَنَّ جَمِيعَ أَحْوَالِ العَالَمِ قَدِ اعْتَرَتْ مَنْ مَاتَ فَجْأَةً ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ مَنْ مَاتَ عَلَى مِنْبَرٍ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ المُحسِنُ : وَكَانَ مَعَنَا فِي مَجْلِسِ أَبِي الفَرَجِ شَيْخٌ أَنْدَلُسِيٌّ قَدِمَ مِنْ هُنَاكَ لِطَلَبِ العِلْمِ ، وَلزِمَ أَبَا الفَرَجِ يُقَالُ لَهُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مَالِكِ بْنِ عَائِذٍ ، وَكُنْتُ أَرَى أَبَا الفَرَجِ يُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيَذْكُرُ ثِقَتَهُ ، فَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا أَنَّهُ شَاهَدَ فِي المَسْجِدِ الجَامِعِ بِبَلْدَةٍ مِنَ الأَنْدَلُسِ خَطِيبَ البَلَدِ وَقَدْ صَعِدَ يَوْمَ الجُمُعَةِ لِيَخْطُبَ ، فَلَمَّا بَلَغَ يَسِيراً مِنْ خُطْبَتِهِ خَرَّ مَيِّتاً فَوْقَ المِنْبَرِ حَتَّى أُنْزِلَ بِهِ ، وَطُلِبَ فِي

الْخَالِ مَنْ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ وَصَلَّى الْجُمُعَةَ بِنَا ، إِلَّا أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ قَلَبَ نِسْبَةَ زَكَرِيَّا فَقَالَ : يَحْيَى بْنُ عَائِذِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْدَلُسِيُّ : وَالصَّوَابُ مَا قُلْنَا .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَمِنْ قَوْلِهِ فِي الْمُهَلَّبِيِّ :

وَلَمَّا انْتَجَعْنَا عَائِذِينَ (١) بِظِلِّهِ
أَعَانَ وَمَا عَنَّى (٢) وَمَنَّ (٣) وَمَا مَنَّى (٤)
وَرَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتِرِينَ (٥) فَرَاشَنَا
وَرُدْنَا (٦) نَدَاهُ مُجْدِبِينَ فَأَخْصَبْنَا

وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يُهَنِّئُهُ بِمَوْلُودٍ مِنْ سُرِّيَّةٍ رُومِيَّةٍ :

أَسْعِدْ بِمَوْلُودٍ أَتَاكَ مُبَارَكًا
كَالْبَدْرِ أَشْرَقَ جُنْحَ لَيْلٍ مُقْمِرِ
سَعْدٌ لِوَقْتِ سَعَادَةٍ جَاءَتْ بِهِ
أُمٌّ حَصَانٌ (٧) مِنْ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ

---

(١) عاذ به : التجأ إليه واحتمى به (٢) عناه : أتعبه وأجهده (٣) أى جاد (٤) المن : تعداد النعم والتعيير بها : يقول : أعاننا ولم يجهدنا ، وأكرمنا ولم يمن بما أعطى (٥) أى فقراء (٦) راده يروده : طلبه ، وبين وَرَدنا ورُدنا جناس كما لا يخفى (٧) أى عفيفة ، ويقال للروم بنو الأصفر للذكور ، وبنات الأصفر للاناث ، كما يقال : للترك والفرس والجركس ومن حاذاهم بنو الأحمر « عبد الخالق »

مُتَبَخْبِحٌ (١) فِی ذِرْوَتَیْ شَرَفِ الْعُلَا
بَیْنَ الْمُهَلَّبِ مُنْتَمَاهُ وَقَیْصَرِ
شَمْسُ الضُّحَى قُرِنَتْ إِلَى بَدْرِ الدُّجَى
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَا أَتَتْ بِالْمُشْتَرِی

وَأَنْشَدَ لَهُ فِی عِیدِیَّةٍ :

إِذَا مَا عَلَا فِی الصَّدْرِ وَالنَّهْیِ وَالْأَمْرِ
وَبَثَّهُمَا فِی النَّفْعِ مِنْهُ وَفِی الضُّرِّ
وَأَجْرَى ظُبًا (٢) أَقْلَامِهِ وَتَدَفَّقَتْ
بَدِیهَتُهُ کَالْمُسْتَمِدِّ مِنَ الْبَحْرِ
رَأَیْتَ نِظَامَ الدُّرِّ فِی نَظْمِ قَوْلِهِ
وَمَنْثُورَهُ الرَّقْرَاقَ (٣) فِی ذَلِكَ النَّثْرِ
وَیَقْتَضِبُ الْمَعْنَى الْکَثِیرَ بِلَفْظَةٍ
وَیَأْتِی بِمَا تَحْوِی الطَّوَامِیرُ (٤) فِی سَطْرِ

(١) من البجبحة : السعة فى المقام والنفقة (٢) جمع ظبة : طرف السيف وذبابته
(٣) الرقراق : كل شىء له تلألؤ وبصيص (٤) جمع طومار : الصحيفة

أَيَا غُرَّةَ الدَّهْرِ ائْتَنِفْ(١) غُرَّةَ الشَّهْرِ
وَقَابِلْ هِلَالَ الْفِطْرِ فِي لَيْلَةِ الْفِطْرِ
بِأَيْمَنِ إِقْبَالٍ وَأَسْعَدِ طَائِرٍ
وَأَفْضَلِ مَا تَرْجُوهُ مِنْ أَفْسَحِ الْعُمْرِ
مَضَى عَنْكَ شَهْرُ الصَّوْمِ يَشْهَدُ صَادِقًا
بِطُهْرِكَ فِيهِ وَاجْتِنَابِكَ لِلْوِزْرِ
فَأَكْرِمْ بِمَا خَطَّ الْحَفِيظَانِ(٢) مِنْهُمَا
وَأَثْنَى بِهِ الْمُثْنِي وَأَطْرَى بِهِ الْمُطْرِي
وَزَكَّتْكَ أَوْرَاقُ الْمَصَاحِفِ وَانْتَهَى
إِلَى اللهِ مِنْهَا طُولُ دَرْسِكَ وَالذِّكْرِ
وَقَبْضُكَ كَفَّ الْبَطْشِ عَنْ كُلِّ مُجْرِمٍ
وَبَطْشُكَهَا بِالْعُرْفِ وَالْخَيْرِ وَالْبِرِّ
وَقَدْ جَاءَ شَوَّالٌ فَشَالَتْ(٣) نَعَامَةُ الصِّـ
ـيَامِ وَأُبْدِلْنَا النَّعِيمَ مِنَ الضُّرِّ

---

(١) ائتنف الشيء واستأنفه : أخذ فيه وابتدأ (٢) أي الملكان ، يشير إلى قوله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »

(٣) شالت نعامة فلان : مات

وَضَجَّتْ حَبِيسُ (١) الدَّنِّ مِنْ طُولِ حَبْسِهَا
وَلَامَتْ عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ وَالْهَجْرِ

وَأَبْرَزَهَا مِنْ قَعْرِ أَسْوَدَ مُظْلِمٍ
كَإِشْرَاقِ بَدْرٍ مُشْرِقُ (٢) اللَّوْنِ كَالْبَدْرِ

إِذَا ضَمَّهَا وَالْوَرْدَ فُوهُ وَكَفُّهُ
فَلَا فَرْقَ بَيْنَ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالنَّشْرِ (٣)

وَتَحْسَبُهُ إِذْ سَلْسَلَ الْكَأْسَ نَاظِمًا
عَلَى الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ سِمْطًا مِنَ الدُّرِّ (٤)

وَلَهُ فِيهِ يُهَنِّئُهُ بِإِبْلَالِهِ مِنْ مَرَضٍ :

أَبَا مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودَ يَاحَسَنَ الْـ
إِحْسَانِ وَالْجُودِ يَابَحْرَ النَّدَى الطَّامِي (٥)

حَاشَاكَ مِنْ عَوْدِ عُوَّادٍ إِلَيْكَ وَمِنْ
دَوَاءِ دَاءٍ وَمِنْ إِلْمَامِ آلَامِ

---

(١) يريد الخمر (٢) أى أبرزها من الدن الأسود مشرقة كالبدر ساق مشرق اللون كأنه البدر (٣) النشر : الرائحة الطيبة (٤) يريد الحباب الذى يعلو الخمر (٥) أى الممتلىء

وَلَهُ :

يَافَرْجَةَ الْهَمِّ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ فَرَجِ
يَافَرْحَةَ الْأَمْنِ بَعْدَ الرَّوْعِ مِنْ وَهَلِ (١)

إِسْلَمْ وَدُمْ وَابْقَ وَامْلِكْ وَانْمُ وَاسْمُ وَزِدْ
وَأَعْطِ وَامْنَعْ وَضُرَّ وَانْفَعْ وَصُلْ وَصِلِ

وَلَهُ فِي الْقَاضِي الْإِيذَجِيِّ وَكَانَ الْتَمَسَ مِنْهُ عُكَّازَةً فَلَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهَا :

إِسْمَعْ حَدِيثِي تَسْمَعْ قِصَّةً عَجَبًا
لَاشَيْءَ أَظْرَفُ مِنْهَا تَبْهَرُ الْقِصَصَا

طَلَبْتُ عُكَّازَةً لِلْوَحْلِ تَحْمِلُنِي
وَرُمْتُهَا عِنْدَ مَنْ يَخْبَأُ (٢) الْعَصَا فَعَصَا

وَكُنْتُ أَحْسِبُهُ يَهْوَى عَصَا عَصَبٍ
وَلَمْ أَكُنْ خِلْتُهُ صَبًّا بِكُلِّ عَصَا

---

(١) أي من خوف (٢) خبأ الشيء : ستره وأخفاه : وفلان يخبأ العصا : أي يوثي

وَلَهُ فِي قصيدةٍ يستميحُ (١) الْمُهلَّبِيَّ :

رَهَنْتُ ثِيَابِي وَحَالَ الْقَضَا (٢)

ءُ دُونَ الْقَضَاءِ (٣) وَصَدَّ الْقَدَرْ

وَهَذَا الشِّتَاءُ كَمَا قَدْ تَرَى

عَسُوفٌ (٤) عَلَيَّ قَبِيحُ الْأَثَرْ

يُغَادِي (٥) بِصِرٍّ (٦) مِنَ الْعَاصِفَا

تِ أَوْ دَمَقٍ (٧) مِثْلِ وَخْزِ الْإِبَرْ

وَسُكَّانُ دَارِكَ مِمَّنْ أَعُو

لُ (٨) يَلْقَيْنَ مِنْ بَرْدِهِ كُلَّ شَرّْ

فَهَذِي تَحِنُّ وَهَذِي تَئِنُّ

وَأَدْمُعُ هَاتِيكَ تَجْرِي دُرَرْ

إِذَا مَا تَمَلْمَلْنَ تَحْتَ الظَّلَامِ

يُعَلَّلْنَ (٩) مِنْكَ بِحُسْنِ النَّظَرْ

---

(١) استماحه : طلب نواله (٢) أى قضاء الله وحكمه (٣) أى الوفاء بالرهن
(٤) العسف : الجور والقسوة (٥) أى يأتى وقت الغدوة (٦) أى برد شديد
(٧) أى ريح وثلج معربة (٨) من عاله : قام بكفايته (٩) علله : صبره

وَلَاحَظْنَ رَيْعَكَ (١) كَالْمُخْلِيـ
ـنَ (٢) شَامُوا (٣) الْبُرُوقَ رَجَاءَ الْمَطَرْ
يُؤَمِّلْنَ عَوْدِي بِمَا يَنْتَظِرْنَ
كَمَا يُرْتَجَى آئِبٌ (٤) مِنْ سَفَرْ

﴿ ١٨ – عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هِنْدُو * ﴾

علي بن الحسين الكاتب

أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ الْأَدِيبُ الْمُنْشِئُ الشَّاعِرُ. مِنَ الْبَرَاعَةِ، وَمُسْتَخْدِمِي الْيَرَاعَةِ (٥)، وَأَعْيَانِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ، لَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ وَفَضَائِلُ مُتَعَيِّنَةٌ مُخْتَارَةٌ، يُفَضِّلُهُ أَهْلُ بَلَدِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ: كَانَ أَحَدَ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ فِي دِيوَانِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ قَالَ: وَشَاهَدْتُ عِدَّةَ كُتُبٍ كَتَبَهَا عَنْهُ بِخَطِّهِ. وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ (٦) الشَّاعِرُ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ قَالَ: وَشَاهَدْتُهُ بِجُرْجَانَ فِي سِنِي بِضْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَاتِبًا بِهَا، وَأَنَّهُ مَشْهُورٌ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ بِجَوْدَةِ الشِّعْرِ وَكَثْرَةِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ.

---

(١) الريع: الفضل (٢) أمحل: أجدب (٣) أي نظروه طمعا في المطر
(٤) آب: رجع (٥) أي القلم (٦) وأصلها بندنيجين، وهذه النسبة إليها
(*) راجع تاريخ دمشق ص ٥٤٦ مجلد ١١

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْهَرَوِيُّ : كَانَ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ هِنْدُو صَاحِبَ أُبُوَّةٍ (١) فِي بَلَدِهِ، وَلِسَلَفِهِ نَبَاهَةٌ بِالنِّيَابَةِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ هُنَاكَ، وَكَانَ مُتَفَلْسِفاً قَرَأَ كُتُبَ الْأَوَائِلِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْوَائِلِيِّ بِنَيْسَابُورَ، ثُمَّ عَلَى أَبِي الْخَيْرِ ابْنِ الْخَمَّارِ، وَوَرَدَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ أَبِي غَالِبِ بْنِ خَلَفٍ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ وَمَدَحَهُ وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعِي مَعَهُ وَأُنْسِي بِهِ، وَكَانَ يَلْبَسُ الدُّرَّاعَةَ عَلَى رَسْمِ الْكُتَّابِ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ

لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ
فَإِنَّ لِلْجَدِّ (٢) تَدْرِيجاً وَتَرْتِيبَا
إِنَّ الْقَنَاةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رِفْعَتَهَا
تَنْمِي وَتَنْبُتُ أُنْبُوباً فَأُنْبُوبَا

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ : سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ :

يَاسَيْفُ إِنْ تُدْرِكْ بِحَاشِيَةِ اللِّوَى
ثَاراً أَكُنْ لِمَدِيحِ طَبْعِكَ نَاظِمَا

---

(١) أي عريق الأسرة (٢) أي الحظ : يريد أن الحظ والسعد يتم لصاحبه تدريجا وأيد ذلك بالتمثيل في البيت الثاني

أَجْعَلْ قِرَابَكَ (١) فِضَّةً مَسْبُوكَةً
وَأَصُغْ عَلَيْكَ مِنَ الزَّبَرْجَدِ قَائِمَا (٢)

مَا أَرْضَعَتْكَ صَيَاقِلِي (٣) مَاءَ الرَّدَى
إِلَّا لِتُرْضِعَنِي الدِّمَاءَ سَوَاجِمَا (٤)

قَالَ: وَحَضَرْتُ مَعَهُ فِي مَجْلِسِ أَبِي غَانِمٍ الْقَصْرِيِّ النَّاظِرِ، — كَانَ فِي الدَّوَاوِينِ بِجُرْجَانَ عَلَى الْبَرِيدِ — فَعَمِلَ بَدِيهاً مَادَفَعَهُ إِلَى الْمُغَنِّي فَغَنَّى بِهِ:

يَاهَاجِراً لِي بِغَيْرِ جُرْمٍ (٥)
مُسْتَبْدِلَ الْوَصْلِ بِالصُّدُودِ

أَضْنَيْتَ جِسْمِي فَلَمْ تُغَادِرْ
مِنِّي دَلِيلًا عَلَى الْوُجُودِ (٦)

وَلَهُ أَيْضاً:

كُلُّ مَالِي فَهُوَ رَهْنٌ مَالَهُ
مِنْ فَكَاكٍ فِي مَسَاءٍ وَابْتِكَارْ

---

(١) قراب السيف: غمده (٢) وقائمه: مقبضه، والزبرجد: حجر كريم
(٣) الصيقل: الذي يجلو السيوف ويشحذها (٤) سجم الدمع والدم: أساله فالدم ساجم، أي مسجوم (٥) الجرم: الذنب ويلاحظ أن الأصل دخول الباء على المتروك وهو الوصل لا الصدود (٦) معنى بديع، وغلو حسن، سوى أن الأسلوب علمي «عبد الخالق»

فَفُؤَادِي أَبَدًا رَهْنُ هَوًى
وَرِدَائِي أَبَدًا رَهْنُ عُقَارْ[1]

فَدَعِ التَّفْنِيدَ[2] يَا صَاحِ لَنَا
إِنَّمَا الرِّبْحُ لِأَصْحَابِ الْخَسَارْ

لَوْ تَرَى ثَوْبِيَ مَصْبُوغًا بِهَا
قُلْتُ ذِمِّيٌّ[3] تَبَدَّى فِي غِيَارْ[4]

وَلَقَدْ أَمْرَحُ فِي شَرْخِ[5] الصِّبَا
مَرَحَ الْمُهْرَةِ فِي ثِنْيِ الْعِذَارْ[6]

وَلَهُ أَيْضًا :

ضِعْتُ بِأَهْلِ الرَّيِّ فِي أَهْلِهَا
ضَيَاعَ حَرْفِ الرَّاءِ فِي اللَّثْغَهْ

صِرْتُ بِهَا بَعْدَ بُلُوغِ الْمُنَى
أَحْمَدُ أَنْ تَبْلُغَ بِي الْبُلْغَهْ

---

(١) العقار : الخمر (٢) فند رأيه : خطأه فيه ، والمراد اللوم والتعنيف
(٣) أى نصرانى (٤) الغيار لأهل الذمة كالزنار (٥) أى مقتبل العمر
(٦) العذار من اللجام : جانباه . وهو ما سال على خد الفرس جمعه عذر

وَلَهُ أَيْضاً :

إِذَا مَا عَقَدْنَا نِعْمَةً عِنْدَ جَاحِدٍ
وَلَمْ نَرَهُ إِلَّا جُمُوحاً عَنِ الشُّكْرِ
رَجَعْنَا فَعَفَّيْنَا الْجَمِيلَ بِضِدِّهِ
كَذَاكَ يُجَازَى صَاحِبُ الشَّرِّ بِالشَّرِّ

هَذَا عَكْسُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ .

أَحْسِنْ إِلَيْهِ إِذَا أَسَاءَ فَأَنْتَ
مِنْ ذِي الْجَلَالِ بِمَسْمَعٍ وَبِمَنْظَرِ

وَلَهُ أَيْضاً :

وَكَافِرٍ بِالْمَعَادِ أَمْسَى يَخْلُبُنِي (١)، قَوْلُهُ الْخَلُوبُ
قَالَ اغْتَنِمْ لَذَّةَ اللَّيَالِي وَعَدِّ عَنْ آجِلٍ يَرِيبُ
ضَلَّ هُدَاهُ وَجَاءَ يَهْدِي طِبَّ (٢) لِعَيْنَيْكَ يَا طَبِيبُ
أَأَخْطَأَ الْعَالَمُونَ طُرًّا وَأَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ مُصِيبُ؟

---

(١) يخلبنى : يخدعنى ويختلنى (٢) أى داو نفسك أيها الطبيب : مثل لمن يرشد غيره وهو فى حاجة إلى الارشاد

وَلَهُ أَيْضاً :

كَذَا بِكَ كُلٌّ لَا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ
فَعِشْ وَاحِداً وَاضْرِبْهُمْ بِفِرَاقِ
زَمَانٌ تَجَافَى أَهْلُهُ فَكَأَنَّهُمْ
سِيَاةُ(١) قِسِيٍّ مَا لَهُنَّ تَلَاقِ

وَلَهُ أَيْضاً :

تَعَانَقْنَا لِتَوْدِيعٍ عِشَاءً
وَقَدْ شَرِقَتْ بِمَدْمَعِهَا الْحِدَاقُ
وَضَيَّقْنَا الْعِنَاقَ لِفَرْطِ شَوْقٍ
فَمَا نَدْرِي عِنَاقٌ أَمْ خِنَاقُ ؟

وَتَحَدَّثَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ : كَانَ بِابْنِ هِنْدُو ضَرْبٌ مِنَ السَّوْدَاء ، وَكَانَ قَلِيلَ الْقُدْرَةِ عَلَى شُرْبِ النَّبِيذِ لِأَجْلِ ذَلِكَ ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ يَوْماً عِنْدَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ حَمْدٍ كَاتِبِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ وَأَنَا مَعَهُ عَلَى عَادَةٍ كَانَتْ لَنَا فِي الِاجْتِمَاعِ ، فَدَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ

---

(١) جمع سية : وسية القوس : ما عطف من طرفيها ولها سيتان . وفي السية الكظر محز القوس تقع فيه حلقة الوتر

إِلَى الْمَوْضِعِ وَنَظَرَ إِلَى مَا كَانَ بِأَيْدِينَا مِنَ الْكُتُبِ وَتَنَاشَدَ هُوَ وَابْنُ هِنْدُو الشِّعْرَ، وَحَضَرَ الطَّعَامُ فَأَكَلْنَا وَانْتَقَلْنَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ، وَلَمْ يُطِقِ ابْنُ هِنْدُو الْمُسَاعَدَةَ عَلَى ذَلِكَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ كَتَبَهَا إِلَيْهِ:

قَدْ كَفَانِي مِنَ الْمُدَامِ شَمِيمُ
صَالَحَتْنِي النُّهَى (١) وَثَابَ الْغَرِيمُ
هِيَ جُهْدُ (٢) الْعُقُولِ سُمِّيَ رَاحًا
مِثْلُ مَا قِيلَ لِلَّدِيغِ سَلِيمُ
إِنْ تَكُنْ جَنَّةَ النَّعِيمِ فَفِيهَا
مِنْ أَذَى السُّكْرِ وَالْخُمَارِ (٣) جَحِيمُ

فَلَمَّا قَرَأَهَا ضَحِكَ وَأَعْفَاهُ مِنَ الشُّرْبِ. وَأَنْشَدَ أَبُو الْفَضْلِ لَهُ:

قَالُوا اشْتَغِلْ عَنْهُمُ يَوْمًا بِغَيْرِهِمُ
وَخَادِعِ النَّفْسَ إِنَّ النَّفْسَ تَنْخَدِعُ

(١) جمع نهية: العقل، سمى به لأنه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافيه.
(٢) أى مجهدة العقل ومتعبته، سميت راحا من باب تسمية الأضداد
(٣) ما يعانيه المخمور من صداع الخمر وأذاها

قَدْ صِيغَ قَلْبِي عَلَى مِقْدَارِ حُبِّهِمُ
فَمَا لِحُبِّ سِوَاهُمْ فِيهِ مُتَّسَعُ

وَحَدَّثَ أَبُو الفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ قَالَ : أَنْشَدْتُ يَوْمًا أَبَا الْفَتْحِ بْنَ أَبِي عَلِيٍّ حَمْدٍ قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

سَعَى إِلَى الدَّنِّ بِالْمِبْزَالِ(١) يَبْقُرُهُ
سَاقٍ تَوَشَّحَ بِالْمِنْدِيلِ حِينَ وَثَبْ
لَمَّا وَجَاهَا(٢) بَدَتْ صَهْبَاءَ صَافِيَةً
كَأَنَّمَا قَدَّ سَيْرًا مِنْ أَدِيمِ ذَهَبْ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ سُكَّرَةَ :

ثُمَّ وَجَاهَا بِشَبَا(٣) مِبْزَلٍ فَاسْتَلَّ مِنْهَا وَتَرًا مُذْهَبَا

فَقَالَ : قَوْلُ ابْنِ هِنْدُو أَحْسَنُ :

وَسَاقٍ تَقَلَّدَ لَمَّا أَتَى
حَمَائِلَ زِقٍّ مَلَاهُ شَمُولَا(٤)
فَلِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ فَارِسٍ
تَقَلَّدَ سَيْفًا يَقُدُّ الْعُقُولَا

(١) المبزال : حديدة يثقب بها (٢) وجأها : شقها (٣) شبا الحد : سنه
(٤) اسم من أسماء الخمر

قَالَ : فَجَاذَبْتُ(١) ٱبْنَ هِنْدُو مِنْ بَعْدُ وَقَدِ ٱجْتَمَعْتُ مَعَهُ ٱلْأَبْيَاتَ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ « حَمَائِلَ الزِّقِّ » فِيهِ بَشَاعَةٌ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا تَقَلَّدَ زِقًّا فَقَالَ : أَهْلُ الْعِرَاقِ يَفْرِفُونَ الْكَلَامَ وَنَحْنُ نُورِدُهُ عَلَى أَصْلِهِ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَنْدَنِيجِيُّ قَالَ : كَانَ ٱبْنُ هِنْدُو يَشْرَبُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي غَانِمٍ الْقَصْرِيِّ وَٱقْتَصَرَ عَلَى أَقْدَاحٍ يَسِيرَةٍ ثُمَّ أَمْسَكَ ، فَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ :

أَرَى الْخَمْرَ نَارًا وَالنُّفُوسَ جَوَاهِرًا
فَإِنْ شُرِبَتْ أَبْدَتْ طِبَاعَ الْجَوَاهِرِ(٢)
فَلَا تَفْضَحَنَّ النَّفْسَ يَوْمًا بِشُرْبِهَا
إِذَا لَمْ تَثِقْ مِنْهَا بِحُسْنِ السَّرَائِرِ

وَلَهُ أَيْضًا :

تَعَرَّضُ(٣) لِي الدُّنْيَا بِلَذَّةِ مَطْعَمٍ
وَزُخْرُفِ مَوْشِيٍّ مِنَ اللُّبْسِ رَائِقِ

(١) كانت فى الأصل « بخاريت » (٢) ولعل مافى النفوس لا يروق الناس فيكون الذم وما شاكله (٣) كانت فى الاصل « تعرضت للدنيا »

أَرَادَتْ سِفَاهًا أَنْ تُمَوِّهَ قُبْحَهَا
عَلَى فِكَرٍ خَاضَتْ بِحَارَ الدَّقَائِقِ
فَلَا تَخْدَعِينَا بِالسَّرَابِ فَإِنَّنَا
قَتَلْنَا نُهَانَا[١] فِى طِلَابِ الْحَقَائِقِ

وَحَدَّثَ الْبَنْدَنِيجِيُّ قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ بِمَنُوجِهْرَ ابْنِ قَابُوسَ مَا كَانَ فِى أَبِيهِ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا انْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ قُصِدَ بِمَا يُقْصَدُ بِهِ مِثْلُهُ ، وَكَانَ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَلَا يَتَقَبَّلُ مَا يُمْدَحُ بِهِ ، وَلَا يَهَشُّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ لِتَبَاعُدِهِ عَنْهُ ، وَكَانَ مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ فَرُوقَةً[٢] قَلِيلَ الْبَطْشِ ، فَمَدَحَهُ ابْنُ هِنْدُو بِقَصِيدَةٍ وَتَأَنَّقَ[٣] فِيهَا ، وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَلَمْ يَفْهَمْهَا وَلَمْ يُثِبْهُ عَلَيْهَا فَقَالَ :

يَا وَيْحَ فَضْلِي أَمَا فِى النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ
يَحْنُو عَلَىَّ أَمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ مَلِكٍ ؟؟

(١) جمع نهية : وهي العقل (٢) أى جباناً من الفرق : وهو الخوف تاؤه للمبالغة
(٣) أى أجادها

لَأُكْرِمَنَّكَ يَا فَضْلِي بِتَرْكِهِمُ
وَأَسْتَهِينَنَّ بِالْأَيَّامِ وَالْفَلَكِ

فَقِيلَ لِمَنُوجَهْرَ : إِنَّهُ قَدْ هَجَاكَ ، لِأَنَّ لَقَبَهُ كَانَ فَلَكَ الْمَعَالِي ، فَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ فَهَرَبَ إِلَى نَيْسَابُورَ وَانْفَلَتَ مِنْهُ . وَلَهُ :

حَلَّتْ وَقَارِيَ فِي شَادِنٍ
عُيُونُ الْأَنَامِ بِهِ تَعْقِدُ
غَدَا وَجْهُهُ كَعْبَةً لِلْجَمَالِ
وَلِي قَلْبُهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ

١٩ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى (*)

على بن الحسين

ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ص ٨ ؛ ٥ بما يأتى قال :
هو ذو المجدين ، وكانت إليه نقابة الطالبيين . وكان شاعرا كثير الشعر ، يعرف النحو واللغة له تصانيف فى علم الكلام على مذهب الشيعة . روى عن جماعة من النحاة العلماء وروى عنه ، وكتابه المسمى بالغرر والدرر — وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معانى الأدب ، تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك — كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع فى الاطلاع على العلوم ، وشعره عدة مجلدات
وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٣٣٥

ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، نَقِيبُ الْعَلَوِيِّينَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُلَقَّبُ بِالْمُرْتَضَى ، عَلَمُ الْهُدَى ، السَّيِّدُ الْمَشْهُورُ بِالْعِلْمِ ، الْمَعْرُوفُ بِالْفَهْمِ ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَخِيهِ الرَّضِيِّ .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ : تَوَحَّدَ الْمُرْتَضَى فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، مُجْمَعٌ عَلَى فَضْلِهِ ، مُقَدَّمٌ فِي الْعُلُومِ مِثْلِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْفِقْهِ ، وَأُصُولِ الْفِقْهِ ، وَالْأَدَبِ ، وَالنَّحْوِ ، وَالشِّعْرِ ، وَمَعَانِي الشِّعْرِ وَاللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ بَيْتٍ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ وَمَسَائِلِ الْبُلْدَانِ شَيْءٌ كَثِيرٌ يَشْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِهْرِسْتُهُ غَيْرَ أَنِّي أَذْكُرُ أَعْيَانَ كُتُبِهِ وَكِبَارَهَا مِنْهَا : كِتَابُ الشَّافِي فِي الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ الْمُغْنِي لِعَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ وَهُوَ كِتَابٌ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ فِي الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ الْمُلَخَّصِ فِي الْأُصُولِ لَمْ يُتِمَّهُ ، كِتَابُ الذَّخِيرَةِ فِي الْأُصُولِ تَامٌّ ، وَكِتَابُ جُمَلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ تَامٌّ ، وَكِتَابُ الْغُرَرِ ، وَكِتَابُ التَّنْزِيهِ ، وَكِتَابُ

الْمَسَائِلِ الْمَوْصِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمَوْصِلِيَّةِ الثَّانِيَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمَوْصِلِيَّةِ الثَّالِثَةِ ، وَكِتَابُ الْمُقْنِعِ فِى الْغَيْبَةِ ، وَكِتَابُ مَسَائِلِ الْخِلَافِ فِى الْفِقْهِ لَمْ يَتِمَّ ، كِتَابُ الِانْتِصَارِ فِيمَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْإِمَامِيَّةُ ، كِتَابُ مَسَائِلَ مُفْرَدَاتٍ فِى أُصُولِ الْفِقْهِ ، كِتَابُ الْمِصْبَاحِ فِى الْفِقْهِ لَمْ يَتِمَّ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الطَّرَابُلْسِيَّةِ الْأُولَى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الطَّرَابُلْسِيَّةِ الْأَخِيرَةِ ، وَكِتَابُ مَسَائِلِ أَهْلِ مِصْرَ الْأُولَى ، وَكِتَابُ مَسَائِلِهِمِ الْأَخِيرَةِ . وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْحَلَبِيَّةِ الْأُولَى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْحَلَبِيَّةِ الْأَخِيرَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ النَّاصِرِيَّةِ فِى الْفِقْهِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْجُرْجَانِيَّةِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الطُّوسِيَّةِ لَمْ يَتِمَّ ، وَكِتَابُ الْبَرْقِ ، وَكِتَابُ طَيْفِ الْخَيَالِ ، وَكِتَابُ الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، كِتَابُ تَتَبُّعِ أَبْيَاتِ الْمَعَانِى لِلْمُتَنَبِّى الَّتِى تَكَلَّمَ عَلَيْهَا ابْنُ جِنِّى ، وَكِتَابُ النَّقْضِ عَلَى ابْنِ جِنِّى فِى الْحِكَايَةِ وَالْمَحْكِىِّ (١) ، وَكِتَابُ نَصِّ الرِّوَايَةِ وَإِبْطَالِ الْقَوْلِ

(١) باب من أبواب علم النحو ومسائله .

بِالْعَدَدِ ، وَكِتَابُ الذَّرِيعَةِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ ، وَكِتَابُ تَفْسِيرِ قَصِيدَةِ السَّيِّدِ ، وَلَهُ مَسَائِلُ مُفْرَدَاتٌ نَحْوُ مِائَةِ مَسْأَلَةٍ فِي فُنُونٍ شَتَّى ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الصَّيْدَاوِيَّةِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ : قَرَأْتُ أَكْثَرَ هَذِهِ الْكُتُبِ عَلَيْهِ وَسَمِعْتُ سَائِرَهَا . وَمِنْ شِعْرِهِ الْمَذْكُورِ فِي تَتِمَّةِ الْيَتِيمَةِ :

يَاخَلِيلَيَّ مِنْ ذُؤَابَةِ بَكْرٍ
فِي التَّصَابِي رِيَاضَةُ الْأَخْلَاقِ
غَنِّيَانِي بِذِكْرِهِمْ تُطْرِبَانِي
وَاسْقِيَانِي دَمْعِي بِكَأْسٍ دِهَاقِ (١)
وَخُذَا النَّوْمَ عَنْ جُفُونِي فَإِنِّي
قَدْ خَلَعْتُ الْكَرَى (٢) عَلَى الْعُشَّاقِ

وَلَهُ فِي ذَمِّ الْمَشِيبِ :

يَقُولُونَ لَاتَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ ضَلَّةً (٣)
وَأَسْهُمُهُ إِيَّايَ دُونَهُمُ تُصْمِي (٤)

(١) أى مملوءة (٢) الكرى : النوم (٣) تجعل ضلة صفة لقول محذوف ، أى قولا ضلة ، أو أن المعنى : دعاء ، أى ضلوا ضلة فى نهيهم (٤) أصماه بالسهم : قتله

وَمَا سَرَّنِي حِلْمٌ يَفِيءُ إِلَى الرَّدَى
كَفَانِيَ مَاقَبْلَ[1] الْمَشِيبِ مِنَ الْحِلْمِ

إِذَا كَانَ مَايُعْطِينِي الْحَزْمُ سَالِباً
حَيَاتِي فَقُلْ لِي كَيْفَ يَنْفَعُنِي حَزْمِي ؟

وَقَدْ جَرَّبَتْ نَفْسِي الْغَدَاةَ وَقَارَهُ
فَمَا شَدَّ مِنْ وَهْنِي وَلَا سَدَّ مِنْ ثَلْمِي

وَإِنِّي مُذْ أَضْحَى عِذَارِي قَرَارَهُ[2]
أُعَادُ بِلَا سُقْمٍ وَأُجْفَى بِلَا جُرْمِ

وَلَهُ فِي مَرْثِيَةٍ :

كَمْ ذَا تَطِيشُ سِهَامُ الْمَوْتِ مُخْطِئَةً
عَنِّي وَتُصْمِي أَخِلَّائِي وَإِخْوَانِي

وَلَوْ فَطِنْتُ وَقَدْ أَرْدَى الزَّمَانُ أَخِي
عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَصْمَاهُ أَصْمَانِي

سُودٌ وَبِيضٌ مِنَ الْأَيَّامِ لَوْنُهُمَا
لَا يَسْتَحِيلُ[3] وَقَدْ بَدَّلْنَ أَلْوَانِي

---

(١) أى حسبى من الحلم القدر الذى عندى قبل المشيب ، ويفىء بمعنى يرجع
(٢) أى مستقرة وهو نصب على الظرفية المكانية متعلقه خبر أضحى .
(٣) لايتغير : فالنهار مضىء أبدا والليل مظلم أبدا .

هَيْهَاتَ : حُكْمٌ فِينَا أَزْلَمُ(١) جَذَعٌ

يُفْنِي الْوَرَى بَيْنَ جُذْعَانٍ(٢) وَقُرْحَانِ(٣)

ذَكَرَ غَرْسُ النِّعْمَةِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئُ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ قَالَ : اجْتَازَ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَلَى بَابِ جَامِعِ الْمَنْصُورِ بِحَيْثُ يُبَاعُ الْغَنَمُ ، فَسَمِعَ الْمُنَادِيَ يَقُولُ : نَبِيعُ هَذَا التَّيْسَ الْعَلَوِيَّ بِدِينَارٍ ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَصَدَهُ بِذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَى دَارِهِ وَتَأَلَّمَ إِلَى الْوَزِيرِ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ ، فَكَشَفَ فَوَجَدَ أَنَّ التَّيْسَ إِذَا كَانَ فِي رَقَبَتِهِ حَلَمَتَانِ مُتَدَلِّيَتَانِ سُمِّيَ عَلَوِيًّا تَشْبِيهًا بِضَفِيرَتَيِ الْعَلَوِيِّ الْمُسْبَلَتَيْنِ عَلَى رَقَبَتِهِ .

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْحَافِظِ الْإِمَامِ أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِ النَّفِيسِ بْنِ وَهْبَانَ — وَفَّقَهُ اللهُ — قَالَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ السَّمْعَانِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ — قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ

(١) يقال للدهر الشديد الكثير البلايا « الأزلم الجزع » : أى الحدث الذى لا يهرم

(٢) جمع جذع : الشباب الحدث (٣) القارح من ذى الحافر : ما شق نابه، والمراد أن الدهر يفنى الورى من صغار وكبار ، شباب وشيب .

الصَّيْرَفِىَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ بُرْهَانَ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَوِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَإِذَا قَدْ حَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَلِيَا فَعَدَلَا ، وَاسْتُرْحِمَا فَرَحِمَا ، فَأَنَا أَقُولُ : ارْتَدَّا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَا ، قَالَ : فَقُمْتُ وَخَرَجْتُ فَمَا بَلَغْتُ عَتَبَةَ الْبَابِ حَتَّى سَمِعْتُ الزَّعْقَةَ عَلَيْهِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ تَاجِ الْإِسْلَامِ فِي الْمُذَيَّلِ :

وَزَارَتْ وِسَادِي فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ(١)
أَرَاهَا الْكَرَى عَيْنِي وَلَسْتُ أَرَاهَا
تُمَانِعُ صُبْحًا أَنْ أَرَاهَا بِنَاظِرِي
وَتَبْذُلُ جُنْحًا(٢) أَنْ أُقَبِّلَ فَاهَا
وَلَمَّا سَرَتْ لَمْ تَخْشَ وَهْنًا ضَلَالَةً
وَلَا عَرَفَ الْعُذَّالُ كَيْفَ سُرَاهَا
فَمَا ذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ أَتَى بِهَا
وَمَنْ ذَا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ هَدَاهَا ؟؟

(١) الخريدة : الحيية التي يمنعها الحياء من الكلام (٢) أي تحضره بطيفها لا بجسمها ، فالمراد جنح الليل

وَقَالُوا عَسَاهَا بَعْدَ زَوْرَةِ بَاطِلٍ
تَزُورُ بِلَا رَيْبٍ فَقُلْتُ عَسَاهَا

وَأَنْشَدَ لَهُ فِيهِ .

وَطَرَقْنَنِي وَهْنًا بِأَجْوَازِ الْفَلَا
وَطُرُوقُهُنَّ عَلَى الْفَلَا تَخْيِيلُ(١)
فِي لَيْـلَةٍ وَافَى بِهَا مُتَمَنِّعٌ
وَدَنَتْ بَعِيدَاتٌ وَجَادَ بَخِيلُ
يَا لَيْتَ زَائِرَنَا بِفَاحِمَةِ الدُّجَى
لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ
فَقَلِيلُهُ وَضَحَ الضُّحَى مُسْتَكْثَرٌ
وَكَثِيرُهُ غَبَشَ(٢) الظَّلَامِ قَلِيلُ
مَا عَابَهُ — وَبِهِ السُّرُورُ — زَوَالُهُ
فَجَمِيعُ مَا سَرَّ الْقُلُوبَ يَزُولُ

وَمِنْ خُطَبِهِ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ

---

(١) يريد أن ذلك الطروق كان بطيف الخيال فهو لذلك يقول : ليت هذا فى وضح الصباح لأنه لا يكون طيفا (٢) الغبش : حلكة الظلام ، ووضح وغبش طرفان « عبد الخالق »

الْفَضْلِ الْحَافِظَ بِأَصْبَهَانَ يَقُولُ : ذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ الْحَافِظُ ، وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ . سَمِعْتُ الْكِيَا[1] أَبَا الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيَّ الزَّيْدِيَّ وَكَانَ مِنْ نُبَلَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمِنَ الْمَحْمُودِينَ فِي صِنَاعَةِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ يَقُولُ : وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَإِلَى الْمُرْتَضَى وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، الْمُرْتَضَى يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْلَاكِهِ كُلَّ سَنَةٍ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَا آكُلُ مِنْ طَاحُونَةٍ لِأُخْتِي لَيْسَ لِي مَعِيشَةٌ غَيْرُهَا .

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيُّ ، وَذُكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمًا الْإِمَامِيَّةُ فَذَكَرَهُمْ بِأَقْبَحِ ذِكْرٍ وَقَالَ : لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّوَابِّ لَكَانُوا الْحَمِيرَ ، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الطُّيُورِ لَكَانُوا الرَّخَمَ[2] وَأَطْنَبَ فِي ذَمِّهِمْ ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ دَخَلْتُ عَلَى الْمُرْتَضَى وَجَرَى

(١) كلمة أعجمية ومعناها العظيم القدر المقدم (٢) مفرده رخمة : والرخمة : طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض . وفى حديث الشعبى وذكر الرافضة فقال : لو كانوا من الطيور لكانوا رخما وهو موصوف بالغدر وقيل موصوف بالقذر ، ومنه قولهم رخم السقاء : إذا أنتن

ذِكْرُ الزَّيْدِيَّةِ وَالصَّالِحِيَّةِ أَيُّهُمَا أَفضَلُ ؟ فَقَالَ يا أَبا الفَضْلِ : تَقُولُ أَيُّهُمَا خَيْرٌ وَلَا تقُولُ أَيُّهمَا شَرٌّ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ إِمَامَيِ الشِّيعَةِ فِي وَقْتِهِمَا وَمِنْ قَوْلِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَذْهَبِ الآخَرِ فقلْتُ : قَدْ كُفِيَ أَهْلُ السُّنَّةِ الْوَقِيعَةَ فِيكُمَا . قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ :

حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو صَالِحٍ قِرْطَاسُ بْنُ الطَّنْطَاشِ الظَّفَرِيُّ الصُّوفِيُّ التُّرْكِيُّ مِنْ لَفْظِهِ قَالَ :

سَمِعْتُ أَبَا الرَّمْلِيِّ يَقُولُ وَكَانَ مُسِنًّا : حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي القَاسِمِ الْمُرْتَضَى وَأَنَا إِذْ ذَاكَ صَبِيٌّ ، فَدَخلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَكَابِرِ الدَّيْلَمِ فَتَزَحْزَحَ لَهُ وَأَجلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُسَائِلًا فَسَارَّهُ الدَّيْلَمِيُّ بِشَيْءٍ لَمْ نَعْلَمْ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ مُتَضَجِّرًا نَعَمْ : وَأَخَذَ مَعَهُ فِي كَلَامٍ كَأَنَّهُ يُدَافِعُهُ ، فَنَهَضَ الدَّيْلَمِيُّ فَقَالَ الْمُرْتَضَى بَعْدَ نُهُوضِهِ : هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ مِنَّا أَنْ نُزِيلَ الْجِبَالَ بِالرِّيشِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا قَالَ هَذَا الدَّيْلَمِيُّ ؟ فَقَالُوا لَا يَاسَيِّدِي ، فَقَالَ :

قَالَ: بَيِّنْ لِي هَلْ صَحَّ إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قُلْتُ أَنَا: — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١) —، قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بِخَطِّهِ

حَدَّثَنِي الْفَصِيحِيُّ النَّحْوِيُّ قَالَ: أَطَّلَعَ الْمُرْتَضَى مِنْ رَوْشَنِهِ(٢) فَرَأَى الْمُطَرِّزَ الشَّاعِرَ وَقَدِ انْقَطَعَ شِرَاكُ نَعْلِهِ وَهُوَ يُصْلِحُهُ فَقَالَ لَهُ: فَدَيْتُ رَكَائِبَكَ وَأَشَارَ إِلَى قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا:

سَرَى مُغْرَمًا بِالْعَيْشِ يَنْتَجِعُ الرَّكْبَا
يُسَائِلُ عَنْ بَدْرِ الدُّجَى الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا
عَلَى عَذَبَاتِ الْجِزْعِ مِنْ مَاءِ تَغْلِبٍ
غَزَالٌ يَرَى مَاءَ الْقُلُوبِ لَهُ شِرْبَا

إِلَى قَوْلِهِ:

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِبِي
فَلَا وَرَدَتْ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

---

(١) ليس هذا القول موفقا مع قوله: يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش فالسيد لم يفصح (٢) الروشن: الكوة « عبد الخالق »

فَقَالَ مُسْرِعاً : أَتُراهَا مَا تُشْبِهُ مَجْلِسَكَ وَخِلَعَكَ وَشُرْبَكَ ؟

أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَبْيَاتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

يَا خَلِيلَيَّ مِنْ ذُؤَابَةِ قَيْسٍ (١)

مَذْكُورَةٌ فِي أَوَّلِ تَرْجَمَتِهِ قَبْلُ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَلَعَ وَهَبَ النَّوْمَ . وَلِلْمُرْتَضَى :

تَجَافَ عَنِ الْأَعْدَاءِ بَغْياً فَرُبَّمَا
كُفِيتَ فَلَمْ تَجْرَحْ بِنَابٍ وَلَا ظُفْرِ
وَلَا تَبْرِ مِنْهُمْ كُلَّ عُودٍ تَخَافُهُ
فَإِنَّ الْأَعَادِي يَنْبُتُونَ مَعَ الدَّهْرِ

﴿ ٢٠ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْسِيُّ * ﴾

علي بن الحسين العبسي

يُعْرَفُ بِابْنِ كَوْجَكَ الْوَرَّاقُ ، كَانَ أَدِيباً فَاضِلًا يُوَرِّقُ ، سَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ كَاتِبِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حِنْزَابَةَ الْوَزِيرِ . صَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ الطُّنْبُورِيِّينَ،

---

(١) تنبيه : المطلع الذي تقدم : يا خليلي من ذؤابة بكر

(*) راجع كتاب طبقات فقهاء النحويين ص ١٩٥

كِتَابُ أَعزِّ الْمَطَالِبِ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِى الزُّهْدِ كَتَبَ بِهِ إِلَى الشَّابُشتِي صَاحِبِ كِتَابِ الدِّيَارَاتِ ، وَمَاتَ فِى أَيَّامِ الْحَاكِمِ فَرَأَيْتُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَكَانَ بِالشَّامِ وَالسَّاحِلِ ، وَمَدَحَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ لَمَّا فَتَحَ الْحَدَثَ فَقَالَ :

رَامَ هَدْمَ الْإِسْلَامِ بِالْحَدَثِ الْمُؤْ
ذِنِ بُنْيَانُهَا بِهَدْمِ الضَّلَالِ
نَكَلَتْ عَنْكَ مِنْهُ نَفْسٌ ضَعِيفٍ
سَلَبَتْهُ الْقُوَى رُءُوسُ الْعَوَالِى
فَتَوَقَّى الْحِمَامَ بِالنَّفْسِ وَالْمَا
لِ وَبَاعَ الْمُقَامَ بِالِارْتِحَالِ
تَرَكَ الطَّيْرَ وَالْوُحُوشَ سِغَابًا
بَيْنَ تِلْكَ السُّهُولِ وَالْأَجْبَالِ (١)
وَلَكَمْ وَقْعَةٍ قَرَيْتَ عُفَاةَ الطَّيْـ
ـرِ فِيهَا جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ

(١) يريد أنه هرب منك ومن معه ، فلم تشبع الطيور وسغبت مع أنك تجعل جماجم الأبطال قرى لها فى كل وقعة . « عبد الخالق »

وَكَانَ أَبُوهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الدِّمَشْقِيُّ : الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ كُوْجَكَ أَبُو الْقَاسِمِ الْكُوْجَكِيُّ حَدَّثَ بِطَرَابُلُسَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ كَاتِبِ حَسْنُونَ الْمِصْرِيِّ ، وَعَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُنْتَابِ الْعِرَاقِيِّ . كَتَبَ عَنْهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ وَأَنْشَدَ لَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

وَمَا ذَاتُ بَعْلٍ مَاتَ عَنْهَا فُجَاءَةً
وَقَدْ وَجَدَتْ حَمْلًا دُوَيْنَ التَّرَائِبِ

بِأَرْضٍ نَأَتْ عَنْ وَالِدَيْهَا كِلَيْهِمَا
تَعَاوَرَهَا الْوُرَّاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْحَمْلُ مِنْهَا تَنَهْنَهُوا
قَلِيلًا وَقَدْ دَبُّوا دَبِيبَ الْعَقَارِبِ

فَجَاءَتْ بِمَوْلُودٍ غُلَامٍ فَحَوَّزَتْ
تُرَاثَ أَبِيهِ الْمَيْتِ دُونَ الْأَقَارِبِ

فَلَمَّا غدَا لِلْمَالِ رَبًّا وَنَافَسَتْ
لإِعْجَابِهَا فِيهِ عُيُونَ الْكَوَاعِبِ
وَأَصْبَحَ مَأْمُولاً يُخَافُ وَيُرْتَجَى
جَمِيلَ الْمُحَيَّا ذَا عِذَارٍ وَشَارِبِ
أُتِيحَ لَهُ عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ مُخْدِرٌ(١)
جَرِئٌ عَلَى أَقْرَانِهِ غَيْرُ هَائِبِ
فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ غَيْرَ عَظْمٍ مُجَزَّرٍ
وَجُمْجُمَةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ ذَوَائِبِ
بِأَوْجَعَ مِنِّي يَوْمَ وَلَّتْ حُدُوجُهُمْ
يَؤُمُّ بِهَا الْحَادُونَ وَادِي غَبَاغِبِ

﴿ ٢١ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ بُلْبُلٍ الْعَسْقَلاَنِيُّ (*) ﴾

علي بن الحسين العسقلاني

أَبُو الْحُسَيْنِ . مِنْ شِعْرِهِ فِي مَحْبُوبٍ أَزْرَقِ الْعَيْنَيْنِ :

تُدِلُّ بِالذَّابِلِ حُسْناً وَفِي
طَرْفِكِ مَا فِي طَرَفِ الذَّابِلِ

(١) المخدر : الأسد
(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٥

أَزْرَقُ كَالأَزْرَقِ يَوْمَ الوَغَى كِلاهُمَا يُوصَفُ بِالقَاتِلِ

وَلَهُ أَيْضاً :

شَعْرُ الذُّؤَابَةِ وَالعِذَارِ قَامَا بِعُذْرِى وَاعْتِذَارِى
بِأَبِي الَّذِى فِى خَدِّهِ مَاءُ الصِّبَا وَلَهِيبُ نَارِ
سَكِرَتْ لَوَاحِظُهُ وَقَلْـ ـبِي مَا يُفِيقُ مِنَ الخُمَارِ
عَابُوا امْتِهَانِى فِى هَوَا هُ كَأَنَّنِى أَنَا بِاخْتِيَارِى
وَمِنَ الصَّوَابِ وَهَا عِذَا رِى شَائِبٌ خَلْعُ العِذَارِ

وَلَهُ أَيْضاً :

تَعْرِفُ فِى وَجْهِهِ إِذَا مَا رَأَيْتَهُ نَضْرَةَ النَّعِيمِ
كَأَنَّمَا خَدُّهُ حَبَابٌ بِتُّ بِهِ لَيْلَةَ السَّلِيمِ
وَلِى غَرِيمٌ لَوَى دُيُونِى لَيْتَ غَرَامِى عَلَى غَرِيمِى (١)

﴿ ٢٢ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الآمِدِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

علی بن الحسین الآمدی

أَبُو الحَسَنِ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ ،

---

(١) يريد أن يقول : إن غريمه المدين يلوى ويمطل فى أداء الدين فيتمنى أن يكون غرامه دينا فيقاضى صاحبه إذا مطله فينال حقه

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٦

وَذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ فَأَقَامَ بِهَا مُنْقَطِعًا إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حِنْزَابَةَ الْوَزِيرِ ، وَخَطُّهُ صَحِيحٌ مَلِيحٌ ، وَلَمْ يُثْبِتْ لَهُ مُصَنَّفًا . قُلْتُ أَنَا : وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ ، وَجَدْتُ بِخَطِّهِ وَقَدْ أَنْشَدَ عَنْهُ بَيْتًا لِأَبِي الْهَيْذَامِ كِلَابِ بْنِ حَمْزَةَ الْعُقَيْلِيِّ « وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ » وَقَالَ : أَنْشَدَنَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَايِخِنَا مِنْهُمْ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآمِدِيُّ .

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمُبْدِعُ وَكُنْتُ أَعْرِفُهُ قَدِيمًا ، وَدَخَلَ إِلَى بَغْدَادَ خَضِيبًا فَأَنْكَرْتُهُ ثُمَّ عَرَفْتُهُ ، فَجَرَى ذِكْرُ شُعَرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ فَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ لَهُمْ شَيْئًا نَاصِعًا فَقَالَ لِي : كَانَ الْآمِدِيُّ يَتَوَلَّى أَرْزَاقَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَعَطِّلِينَ وَالْأَشْرَافِ وَالْكُتَّابِ وَكَانَ خَضِيبًا ، وَلَمْ يُسَمِّهِ لِي وَلَا كَنَاهُ ، وَلَا أَعْلَمُ هَلْ هُوَ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ أَوْ غَيْرُهُ ؟ إِلَّا أَنِّي أَذْكُرُ مَا حَكَاهُ قَالَ : مَنَعَ

الْحُسَيْنَ بْنَ بِشْرٍ الْكَاتِبَ الْمِصْرِيَّ أَرْزَاقَهُ فَعَمِلَ فِيهِ قِطْعَةً أَوَّلُهَا :

إِنْ طَغَى الْآمِدِيُّ طُغْيَانَ مُثْرٍ
رَاشَهُ(١) الدَّهْرُ فَالْمَرِيشُ يُحَصُّ
أَيُّهَا الْآمِدِيُّ عَقْلُكَ قَدْ دَلْ
لَ عَلَى أَنَّ آمِدَ الْيَوْمَ حِمْصُ(٢)
إِنَّ حِرْصاً يَدْعُو إِلَى قَطْعِكَ الْأَرْ
زَاقَ فِينَا عَلَى هَلَاكِكَ حِرْصُ(٣)
بِسَوَادِ السُّمَادِ تَخْضِبُ يَا شَيْ
خُ فَمَنْ ذَا سَوَادُهُ مَا يَبِصُّ(٤)

(١) راشه : أنبت فيه الريش كناية عن الثروة . ويحص : يتطاير شعره ويحلق ، يريد إن فعل ما فعل فالدهر له بالمرصاد (٢) يريد أنك لا تفرق بين العمل المجدى والذى لا يجدى ، وضرب له بالذى لا يميز آمد من حمص ، فهو يحسب الناس كلهم آمديين يتحكم فيهم لحقارتهم وفيه تعريض به ، ولو علم أنهم ليسوا آمديين لما فعل (٣) إن حرصك على قطع الأرزاق إنما هو حرص منك على هلاكك لنفسك فان فى عمله مقت الناس له . (٤) بص : لمع ، أى إنك مهما خضبت فان السواد سيتميز من غيره ويلمع ويعلم ماوراءه من شيب

« عبد الخالق »

أَلْقِ فِيهِ عفصاً فإنك تحتا

جُ إلى العفص حين يُعكسُ عفصُ(١)

فقلتُ : تُنشِدُ هذا وأنتَ خضيبٌ ؟ فقالَ : الجيّدُ يُرْوَى وإنْ كانَ على الرّاوِى فيهِ دقُّ البابِ .

﴿ ٢٣ — عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الضَّرِيرُ ﴾
﴿ الْأَصْفَهَانِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

أَبُو الْحَسَنِ الْبَاقُولِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْجَامِعِ ، ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ — على بن الحسين الأصفهانى

(١) عكس العفص : صفع

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ص ٥٤٧ بما يأتى قال :

هو المعروف بجامع العلوم ، سجع له بعض الفضلاء فقال فى وصفه : هو فى النحو والاعراب كعبة لها أفاضل العصر سدنة ، وللفضل فيه بعد خفائه أسوة حسنة . قال لى عمر بن قشام الحلبي : أخبرنى الصفى الحنفى الأصبهانى نزيل همذان وصاحب الطريقين : أنه والده يعنى جامع العلوم ولا عجب أن يكون نهل الصفى من ذلك المنهل الروى ؟ وكان جامع العلوم هذا قد سير إلى خراسان يسأل عن معنى بيت شعر من شعر الفرزدق وقد ذكره ياقوت

فلم يبق فاضل من فضلاء خراسان إلا وكتب لهذا البيت شرحا وكان تسيير هذا البيت إلى خراسان من جهة جامع العلوم فى شهور سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وهذا البيت قد اختلف النحاة فى معناه وإعرابه ، فذكره ابن جنى فى خصائصه ، وابن فضال المجاشعي فى السيرة .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٣٣٥

الْبَيْهَقِىُّ فِى كِتَابِ الْوِشَاحِ فَقَالَ : هُوَ فِى النَّحْوِ وَالْإِعْرَابِ كَعْبَةٌ لَهَا أَفَاضِلُ الْعَصْرِ سَدَنَةٌ ، وَلِلْفَضْلِ فِيهِ بَعْدَ خَفَائِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَى خُرَاسَانَ بَيْتَ الْفَرَزْدَقِ (١) الْمَشْهُورَ فِى شُهُورِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ :

فَلَيْسَتْ خُرَاسَانُ الَّتِى كَانَ خَالِدٌ
بِهَا أَسَدًا إِذْ كَانَ سَيْفًا أَمِيرُهَا

وَكَتَبَ كُلُّ فَاضِلٍ مِنْ فُضَلَاءِ خُرَاسَانَ لِهَذَا الْبَيْتِ شَرْحًا (٢) ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا الْإِمَامُ اسْتَدْرَكَ عَلَى أَبِى عَلِىٍّ الْفَسَوِىِّ

---

(١) ما أعشق الفرزدق لمثل هذا النوع من الأساليب الشعرية فهو صاحب البيت :

وما مثله فى الناس إلا مملكا ... أبو أمه حى أبوه يقاربه

وصاحب الآخر :

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كليب تصاهره

(٢) ترجم صاحب أنباء الرواة للجامع وذكر البيت وقال : إنه سيكتب ما كتبه كل فاضل من فضلاء خراسان فى هذا البيت ثم أغفل ماقال فلم يكتب شيئا — وذكر بعضهم أن ابن جنى أوضح البيت ولكن لم يبين الموضع . والذى طبع من الخصائص لم يكن فيه البيت — كذلك راجعت ديوان الفرزدق ضمن الدواوين الخمسة ، وراجعت الأغانى فلم أعثر على القصيدة التى فيها البيت ، وقد اعتمدت على الله ورأيت أن البيت يمكن نثره كما —

وَعَبْدِ الْقَاهِرِ وَلَهُ هذِهِ الرُّتْبَةُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي تَصَانِيفِهِ عَلِمَ أَنَّهُ لَاحِقٌ سَبَقَ السَّابِقِينَ ، وَقِيلَ مِنْ مَنْظُومِهِ :

أَحْبِبِ النَّحْوَ مِنَ الْعِلْمِ فَقَدْ
يُدْرِكُ الْمَرْءُ بِهِ أَعْلَى الشَّرَفْ
إِنَّمَا النَّحْوِيُّ فِي مَجْلِسِهِ
كَشِهَابٍ ثَاقِبٍ بَيْنَ السَّدَفْ
يَخْرُجُ الْقُرْآنُ مِنْ فِيهِ كَمَا
تَخْرُجُ الدُّرَّةُ مِنْ جَوْفِ الصَّدَفْ

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحَقَّقَ أَنَّ هذِهِ الْأَبْيَاتَ مِنْ إِنْشَادِهِ لَا مِنْ إِنْشَائِهِ . لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ ، وَكِتَابُ كَشْفِ الْمُشْكِلَاتِ وَإِيضَاحِ

— يأتى : ولعل الله يكون قد وفقنى ، وليست خرسان إذ كان أميرها أسدا . بالتى كان خالد بها سيفا ، فاذ ظرف راجع إلى جملة ليست خراسان فصل بينهما بفاصل طويل وبالتى خبر ليس إما على التشبيه وحذف الأداة ، أو الخبرية من غير ملاحظة تشبيه ، وسيفا إما حال من خالد وبها خبر لكان ، أو سيفا خبر وبها حال منه ، وكان خالد سيفا من حيث ضبط الأمور ، وخالد وأسد هما ابنا عبد الله القسرى وكان أسد ولى خراسان من قبل خالد وناوأه قوم عند ذهابه إليها « عبد الخالق »

المُعضِلاتِ فی عِلَلِ القُرْآنِ، قرأتُ فی خاتمةِ کتابِ المُشکِلاتِ لِلجامِعِ هذا ما صورتُهُ: وقد أملَلْتُهُ بعدَ تصنیفِ کتابِ الجَوْهَرِ، وکتابِ المُجْمَلِ، وکتابِ الاستدراکِ علی أبی علیّ، وکتابِ البیانِ فی شواهِدِ القُرْآنِ، وسأجمعُ لکَ کتاباً أذکرُ فیهِ الأقاویلَ فی معنَی الآیةِ دونَ الإعرابِ وما یتعلَّقُ بالصِّناعةِ مِنها .

﴿ ٢٤ — عَلِیُّ بْنُ حَمْزَةَ الکِسائِیُّ * ﴾

علی بن حمزة الکسائی

هُوَ أبو الحسنِ عَلِیُّ بنُ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُثمانَ مِنْ وَلَدِ بَهْمَنَ بنِ فیروزَ مَوْلَی بنی أسدٍ النَّحْوِیُّ. أحدُ الأئمةِ فی القِراءةِ والنحوِ واللُّغةِ، وأحدُ السبعةِ القُرَّاءِ المشهورینَ، وهُوَ مِنْ أهلِ الکوفةِ، استوطنَ بغدادَ وروی الحدیثَ وصنَّفَ الکُتُبَ، وماتَ بالرَّیِّ صُحْبَةَ الرَّشیدِ علی ما نذکرُهُ فیما بعدُ سنةَ اثنتینِ وثمانینَ ومائةٍ أو ثلاثٍ وثمانینَ ومائةٍ، وقیلَ بعدَ ذلکَ فی سنةِ تسعٍ وثمانینَ، وقالَ مهدیُّ بنُ سابقٍ:

(*) ترجم له فی طبقات المفسرین صفحة ١٦٩

فِى سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْفَقِيهُ صَاحِبُ أَبِى حَنِيفَةَ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: الْيَوْمَ ذَهَبَ الْفِقْهُ وَالْعَرَبِيَّةُ، قَالَ الْخَطِيبُ: إِنَّ عُمْرَ الْكِسَائِىِّ بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً.

وَكَانَ الْكِسَائِىُّ مُؤَدِّبًا لِوَلَدِ الرَّشِيدِ، وَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ طَبَقَةِ الْمُؤَدِّبِينَ إِلَى طَبَقَةِ الْجُلَسَاءِ وَالْمُؤَانِسِينَ، وَكَانَ الْكِسَائِىُّ قَدْ قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ ثُمَّ ٱخْتَارَ لِنَفْسِهِ قِرَاءَةً. وَسَمِعَ مِنْ سُلَيْمَانَ ٱبْنِ أَرْقَمَ وَأَبِى بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ. وَفِى الْقُرَّاءِ آخَرُ يُقَالُ لَهُ الْكِسَائِىُّ الصَّغِيرُ، وَٱسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، رَوَى عَنْهُ ٱبْنُ مُجَاهِدٍ عَنْ خَلَفِ بْنِ هِشَامٍ الْبَزَّازِ.

حَدَّثَ الْخَطِيبُ قَالَ: قَالَ الْفَرَّاءُ: إِنَّمَا تَعَلَّمَ الْكِسَائِىُّ النَّحْوَ عَلَى كِبَرٍ، وَسَبَبُهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْهَبَّارِيِّينَ وَقَدْ أَعْيَا فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ عَيَيْتُ. فَقَالُوا لَهُ: أَتُجَالِسُنَا وَأَنْتَ تَلْحَنُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ لَحَنْتُ؟ قَالُوا: إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنِ ٱنْقِطَاعِ الْحِيلَةِ وَالتَّحَيُّرِ فِى الْأَمْرِ فَقُلْ:

عَيِيتُ مُخَفَّفًا ، وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ التَّعَبِ فَقُلْ أَعْيَيْتُ ، فَأَنِفَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ فَسَأَلَ مَنْ يُعَلِّمُ النَّحْوَ ؟ فَأَرْشَدُوهُ إِلَى مُعَاذٍ الْهَرَّاءِ فَلَزِمَهُ حَتَّى أَنْفَدَ مَا عِنْدَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَلَقِيَ الْخَلِيلَ وَجَلَسَ فِي حَلْقَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ : تَرَكْتَ أَسَدَ الْكُوفَةِ وَتَمِيمَهَا وَعِنْدَهَا الْفَصَاحَةُ وَجِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لِلْخَلِيلِ : مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ بَوَادِي الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَتِهَامَةَ ، فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَدَ خَمْسَ عَشْرَةَ قِنِّينَةً حِبْرًا فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الْعَرَبِ سِوَى مَا حَفِظَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ الْبَصْرَةِ وَالْخَلِيلِ ، فَوَجَدَ الْخَلِيلَ قَدْ مَاتَ وَجَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ يُونُسُ النَّحْوِيُّ ، فَمَرَّتْ بَيْنَهُمَا مَسَائِلُ أَقَرَّ لَهُ يُونُسُ فِيهَا ، وَصَدَّرَهُ مَوْضِعَهُ .

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِ مُوسَى قَالَ : قُلْتُ لِلْكِسَائِيِّ : لِمَ سُمِّيتَ الْكِسَائِيَّ ؟

قَالَ : لِأَنِّی أَحْرَمْتُ فِی كِسَاءٍ . قَالَ : وَقِيلَ فِيهِ قَوْلٌ آخَرُ ، وَذَكَرَ إِسْنَاداً رَفَعَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْمَرْوَزِیِّ قَالَ : سَأَلْتُ خَلَفَ بْنَ هِشَامٍ لِمَ سُمِّیَ الْكِسَائِیُّ كِسَائِيًّا ؟ فَقَالَ : دَخَلَ الْكِسَائِیُّ الْكُوفَةَ فَجَاءَ إِلَى مَسْجِدِ السَّبِيعِ وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ الزَّيَّاتُ يُقْرِئُ فِيهِ ، فَتَقَدَّمَ الْكِسَائِیُّ مَعَ أَذَانِ الْفَجْرِ ، فَجَلَسَ وَهُوَ مُلْتَفٌّ بِكِسَاءٍ مِنَ الْبَرْدِ كَانَ أَسْوَدَ ، فَلَمَّا صَلَّى حَمْزَةُ قَالَ : مَنْ تَقَدَّمَ فِی الْوَقْتِ يَقْرَأُ ؟ قِيلَ لَهُ الْكِسَائِیُّ أَوَّلُ مَنْ تَقَدَّمَ يَعْنُونَ صَاحِبَ الْكِسَاءِ ، فَرَمَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ : إِنْ كَانَ حَائِكاً[1] فَسَيَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ ، وَإِنْ كَانَ مَلَّاحاً[2] فَسَيَقْرَأُ سُورَةَ طه ، فَسَمِعَهُمْ فَابْتَدَأَ بِسُورَةِ يُوسُفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قِصَّةِ الذِّئْبِ قَرَأَ فَأَكَلَهُ الذِّيبُ بِغَيْرِ هَمْزٍ ، فَقَالَ لَهُ الزَّيَّاتُ : بِالْهَمْزِ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِیُّ :

---

(١) إشارة إلى ذكر القميص فی عدة مواضع من السورة « عبد الخالق »

(٢) لأن فيه انفراق البحر وذكر إلقاء التابوت الذی كان فيه موسى فی اليم وذكر الغرق « عبد الخالق »

وَكَذَلِكَ أَهْمِزُ الْحُوتَ فِى قَوْلِهِ تعالَى: «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ» قالَ: لَا قالَ، فَلِمَ هَمَزْتَ الذِّئْبَ وَلَمْ تَهْمِزِ الْحُوتَ؟ وَهَذَا «فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ»، وَهَذَا «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ»، فرَفَعَ حَمْزَةُ بَصَرَهُ إِلَى خَلَّادٍ الْأَحْوَلِ وَكَانَ أَجْمَلَ غِلْمَانِهِ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَنَاظَرُوا فَلَمْ يُصِيبُوا شَيْئاً فَقَالَ: أَفِدْنَا — رَحِمَكَ اللهُ —، فَقَالَ لَهُمُ الْكِسَائِىُّ: تَفَهَّمُوا عَنِ الْحَائِكِ، تَقُولُ: إِذَا نَسَبْتَ الرَّجُلَ إِلَى الذِّئْبِ قَدِ اسْتَذْأَبَ الرَّجُلُ، وَلَوْ قُلْتَ: قَدِ اسْتَذَابَ بِغَيْرِ هَمْزٍ لَكُنْتَ إِنَّمَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْهُزَالِ، تَقُولُ: اسْتَذَابَ الرَّجُلُ: إِذَ اسْتَذَابَ شَحْمُهُ بِغَيْرِ هَمْزٍ. وَإِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْحُوتِ تَقُولُ: قَدِ اسْتَحَاتَ الرَّجُلُ أَىْ كَثُرَ أَكْلُهُ، لِأَنَّ الْحُوتَ يَأْكُلُ كَثِيراً وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْهَمْزُ، فَلِتِلْكَ الْعِلَّةِ هُمِزَ الذِّئْبُ وَلَمْ يُهْمَزِ الْحُوتُ، وَفِيهِ مَعْنًى آخَرُ لَا تَسْقُطُ الْهَمْزَةُ مِنْ مُفْرَدِهِ وَلَا مِنْ جَمْعِهِ، وَأَنْشَدَهُمْ:

أَيُّهَا الذِّئْبُ وَابْنُهُ وَأَبُوهُ

أَنتَ عِندِي مِنْ أَذْؤُبٍ ضَارِيَاتِ

قَالَ : فَسُمِّيَ الْكِسَائِيَّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ الأَعْرَابِيِّ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِيُّ أَعْلَمَ النَّاسِ عَلَى رَهَقٍ (١) فِيهِ ، كَانَ يُدِيمُ شُرْبَ النَّبِيذِ وَيُجَاهِرُ بِاتِّخَاذِ الْغِلْمَانِ الرُّوقَةِ (٢) إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ضَابِطاً قَارِئاً عَالِماً بِالْعَرَبِيَّةِ صَدُوقاً .

وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى الْكِسَائِيِّ قَالَ : أَحْضَرَنِي الرَّشِيدُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ خِلَافَتِهِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ مُحَمَّداً الأَمِينَ وَعَبْدَاللهِ الْمَأْمُونَ كَأَنَّهُمَا بَدْرَانِ فَقَالَ : إِمْتَحِنْهُمَا بِشَيْءٍ ، فَمَا سَأَلْتُهُمَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ فِيهِ ، فَقَالَ لِي كَيْفَ تَرَاهُمَا ؟ فَقُلْتُ :

---

(١) الرهق محركة إسم من الارهاق : أي حمل الانسان على ما لا يطيقه ، والتهمة ، والاثم . (٢) أي الذين على جانب عظيم من الجمال ، وخيارهم وحسانهم جمع رائق

أَرَى قَمَرَىْ أُفْقٍ وَفَرْعَىْ بَشَامَةٍ (١)
يَزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتِدُ (٢)
يَسُدَّانِ آفَاقَ السَّمَاءِ بِهِمَّةٍ
يُؤَيِّدُهَا حَزْمٌ وَرَأْيٌ وَسُؤْدُدُ
سَلِيلَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَائِزَىْ
مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
حَيَاةٌ وَخِصْبٌ لِلْوَلِيِّ وَرَحْمَةٌ
وَحَرْبٌ لِأَعْدَاءٍ وَسَيْفٌ مُهَنَّدُ

ثُمَّ قُلْتُ : فَرْعٌ زَكَا أَصْلُهُ ، وَطَابَ مَغْرِسُهُ ، وَتَمَكَّنَتْ فُرُوعُهُ ، وَعَذُبَتْ مَشَارِبُهُ ، آوَاهُمَا مَلِكٌ أَغَرُّ ، نَافِذُ الْأَمْرِ ، عَظِيمُ الْحِلْمِ ، أَعْلَاهُمَا فَعَلَوَا ، وَسَمَا بِهِمَا فَسَمَوَا ، فَهُمَا يَتَطَاوَلَانِ بِطَوْلِهِ ، وَيَسْتَضِيئَانِ بِنُورِهِ ، وَيَنْطِقَانِ بِلِسَانِهِ ، — فَأَمْتَعَ اللهُ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا ، وَبَلَّغَهُ الْأَمَلَ فِيهِمَا ، فَقَالَ : تَفَقَّدْهُمَا ، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا فِي الْأُسْبُوعِ طَرَفَيْ نَهَارِهِمَا .

---

(١) البشام : شجر طيب الرائحة يستاك بالقضيب منه ، مفرده بشامة
(٢) المحتد : الأصل

وَحدَّثَ الْخطِيبُ بإسْنادٍ رَفَعَهُ إلى سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ مُؤَدِّبٌ يُؤدِّبُ الرَّشِيدَ ، فَدَعَاهُ الْمَهْدِيُّ يَوْماً وَهُوَ يَسْتَاكُ فقَالَ لَهُ : كَيْفَ الأَمْرُ مِنَ السِّوَاكِ ؟ قَالَ : اُسْتَكْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ثُمَّ قَالَ : اُلْتَمِسُوا لَنَا مَنْ هُوَ أَفْهَمُ مِنْ ذَا ، فَقَالُوا : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، قَدِمَ مِنَ الْبَادِيَةِ قَرِيباً فَكَتَبَ بإزْعَاجِهِ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَسَاعَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَلِيُّ بْنَ حَمْزَةَ ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : كَيْفَ تَأْمُرُ مِنَ السِّوَاكِ ؟ قَالَ : سُكْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ .

وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ قَادِمٍ عَنِ الْكِسَائِيِّ قَالَ : حَجَجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ فَقُدِّمْتُ لِبَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَصَلَّيْتُ فقَرَأْتُ : « ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ » فَأَمَلْتُ ضِعَافاً ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ ضَرَبُونِي بِالنِّعَالِ وَالأَيْدِي وَغَيْرِ

ذَلِكَ حَتَّى غُشِيَ عَلَيَّ ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالرَّشِيدِ فَوَجَّهَ بِمَنِ اسْتَنْقَذَنِي ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ لِي : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قَرَأْتُ لَهُمْ بِبَعْضِ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ الرَّدِيئَةِ فَفَعَلُوا بِي مَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : بِئْسَ مَا صَنَعْتَ ، ثُمَّ تَرَكَ الْكِسَائِيُّ [1] كَثِيرًا مِنْ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ .

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ النَّحْوِيِّ قَالَ : دَخَلَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي – وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ – عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْكِسَائِيُّ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : قَدْ سَعِدَ بِكَ هَذَا الْكُوفِيُّ وَشَغَلَكَ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : النَّحْوُ يَسْتَفْرِغُنِي ، لِأَنِّي أَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالشِّعْرِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، أَوْ أَبُو يُوسُفَ :

---

(١) هذا هو الكسائي المقرىء وصاحب قراءة من القراءات السبعة ، أم الناس مرة وقرأ « قل يأيها الكافرون » فأرتج عليه ، فشهر به القراء وإذا بهذا يرتج عليه في قراءة الفاتحة فقال :

إحفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

« عبد الخالق »

إِنَّ عِلْمَ النَّحْوِ إِذَا بَلَغَ فِيهِ الرَّجُلُ الْغَايَةَ صَارَ مُعَلِّماً . وَالْفِقْهُ إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ مِنْهُ جُمْلَةً صَارَ قَاضِياً . فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : أَنَا أَفْضَلُ مِنْكَ ، لِأَنِّي أُحْسِنُ مَا تُحْسِنُ ، وَأُحْسِنُ مَا لَا تُحْسِنُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي جَوَابِي عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْفِقْهِ ، فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : أَبَلَغْتَ يَا كِسَائِيُّ إِلَى هَذَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَبِي يُوسُفَ : أَجِبْهُ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : مَا تَقُولُ لِرَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ دَخَلْتِ الدَّارَ ؟ فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ : إِنْ دَخَلَتِ الدَّارَ طَلُقَتْ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : خَطَأٌ ، إِذَا فُتِحَتْ أَنْ فَقَدْ وَجَبَ الْأَمْرُ ، وَإِذَا كُسِرَتْ فَإِنَّهُ لَمْ يَقَعِ الطَّلَاقُ بَعْدُ . فَنَظَرَ أَبُو يُوسُفَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّحْوِ (١) .

(١) يقول له إن كون الماضي شرطاً علق عليه الجواب يمنع التنجيز لأن المعلق عليه وهو الدخول لم يحصل بعد — وأما فتح أن فهي وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بلام محذوفة ، فكأن القول : أنت طالق بسبب دخولك الدار ، والدخول حصل ، والقول إخبار لا تعليق فيه

وَحَدَّثَ أَيْضاً عَمَّنْ سَمِعَ الْكِسَائِيَّ يَقُولُ : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَجَعَلَ أَبُو يُوسُفَ يَذُمُّ النَّحْوَ وَيَقُولُ : وَمَا النَّحْوُ ؟ فَقُلْتُ « وَأَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَهُ فَضْلَ النَّحْوِ » : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ لِرَجُلٍ : أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ ؟ وَقَالَ لَهُ آخَرُ : أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ ، أَيُّهُمَا كُنْتَ تَأْخُذُ بِهِ ؟ قَالَ آخُذُهُمَا جَمِيعاً ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ : أَخْطَأْتَ ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَاسْتَحْيَا وَقَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يُؤْخَذُ بِقَتْلِ الْغُلَامِ هُوَ الَّذِي قَالَ : أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ بِالْإِضَافَةِ ، لِأَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ ، وَأَمَّا الَّذِي قَالَ : أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ بِالنَّصْبِ فَلَا يُؤْخَذُ ، لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ » فَلَوْلَا أَنَّ التَّنْوِينَ مُسْتَقْبَلٌ مَا جَازَ فِيهِ غَداً ، فَكَانَ أَبُو يُوسُفَ بَعْدَ ذَلِكَ يَمْدَحُ الْعَرَبِيَّةَ وَالنَّحْوَ .

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكَاتِبِ قَالَ : سَأَلَ الْيَزِيدِيُّ الْكِسَائِيَّ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ قَالَ : اُنْظُرْ ، فِي هَذَا الشِّعْرِ عَيْبٌ ؟ وَأَنْشَدَهُ :

مَا رَأَيْنَا خَرَبًا(١) نَقْـ ... ـقَرَ عَنْهُ الْبَيْضَ صَقْرٌ

لَا يَكُونُ الْعَيْرُ مُهْرًا ... لَا يَكُونُ ، الْمُهْرُ مُهْرٌ

فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : قَدْ أَقْوَى الشَّاعِرُ ، فَقَالَ لَهُ الْيَزِيدِيُّ اُنْظُرْ فِيهِ ، فَقَالَ : أَقْوَى لَا بُدَّ يَنْصِبُ الْمُهْرَ الثَّانِيَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، قَالَ : فَضَرَبَ الْيَزِيدِيُّ بِقَلَنْسُوَتِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الشِّعْرُ صَوَابٌ ، وَإِنَّمَا ابْتَدَأَ فَقَالَ : الْمُهْرُ مُهْرٌ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : أَتَكْتَنِي بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْشِفُ رَأْسَكَ ؟ وَاللهِ لَخَطَأُ الْكِسَائِيِّ مَعَ أَدَبِهِ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَوَابِكَ مَعَ سُوءِ فِعْلِكَ ،

(١) الخرب: ذكر الحبارى ، وقيل للذكر والأنثى . ونقر الطائر البيض : نقب البيض ليخرج الفرخ ، إذا فهو يقول : ما علمنا أن الصقر ينقب عن بيض الحبارى ، يريد ليخرج صقراً فهو ينكر مثل هذا ويتبعه بمثال يوضحه فيقول : لا يكون العير مهراً ، ثم أكده تأكيدا لفظيا ، فقال : لا يكون ثانية ، وأكد أن الشيء لا يخرج عن طبعه ومعدنه بقوله : فالمهر مهر لا يتحول «عبد الخالق»

فَقَالَ : لَذَّةُ الْغَلَبَةِ أَنْسَتْنِي مِنْ هَذَا مَا أُحْسِنُ .

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ ، حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ الْوَرَّاقُ ، حَدَّثَنَا النُّعْمَانُ بْنُ هَارُونَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو نُوَاسٍ يَخْتَلِفُ (١) إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْدَةَ ، وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يُعَلِّمُهُ النَّحْوَ فَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُقَبِّلَ مُحَمَّداً قُبْلَةً ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : إِنَّ عَلَيَّ فِي هَذَا وَصْمَةً (٢) ، وَأَكْرَهُ (٣) أَنْ يَبْلُغَ هَذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ : إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَنِي أُقَبِّلْهُ وَإِلَّا قُلْتُ فِيكَ أَبْيَاتاً أَرْفَعُهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَبَى عَلَيْهِ الْكِسَائِيُّ وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ، فَكَتَبَ أَبُو نُوَاسٍ رُقْعَةً :

قُلْ لِلْإِمَامِ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً
لَا يَجْمَعِ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ (٤) وَالذِّيبِ

---

(١) أى يتردد (٢) الوصمة : العيب والعار (٣) كلمة خفيفة فى هذا المقام ، لأن هذا لو بلغ الخليفة ، كانت حياتهما قليلة فى جانب العمل ، ولو أن اللفظ أخاف لكان مناسبا نوع مناسبة ، ثم إن الخبر فاتر ضعيف

(٤) السخل بفتح السين جمع سخلة : وهى ولد الشاة كيفما كان « عبد الخالق »

فَالسَّخْلُ غِرٌّ وَهَمُّ الذِّئْبِ غَفْلَتُهُ
وَالذِّئْبُ يَعْلَمُ مَا بِالسَّخْلِ مِنْ طِيبِ

وَدَفَعَهَا إِلَى بَعْضِ الْخَدَمِ لِيُوصِلَهَا إِلَى الرَّشِيدِ، فَجَاءَ بِهَا الْخَادِمُ إِلَى الْكِسَائِيِّ، فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلِمَ أَنَّهُ شِعْرُ أَبِي نُوَاسٍ فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ سَأَتَلَطَّفُ لَكَ، فَغِبْ أَيَّامًا ثُمَّ احْضُرْ وَسَلِّمْ عَلَيَّ وَعَلَى مُحَمَّدٍ فَسَتَبْلُغُ حَاجَتَكَ، فَغَابَ وَتَحَدَّثَ الْكِسَائِيُّ أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ غَائِبٌ ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ إِلَيْهِ الْكِسَائِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَانَقَهُ، وَسَلَّمَ أَبُو نُوَاسٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَقَبَّلَهُ، وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ:

قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ ظَرْفًا يَزْهُو عَلَى كُلِّ ظَرْفِ
كَانُوا إِذَا مَا تَلَاقَوْا تَصَافَحُوا بِالْأَكُفِّ
فَأَظْهَرُوا الْيَوْمَ رَشْفَ الْـ ـخُدُودِ وَالرَّشْفُ يَشْفِي
فَصِرْتَ تَلْثِمُ مَنْ شِئْـ ـتَ مِنْ طَرِيقِ التَّخَفِّي

قَالَ: وَقَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي

بَاطِلٌ مَصْنُوعٌ[١] مِنْ قِبَلِ مَنْ حَدَّثَ بِهِ ابْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْهُ لَا مِنْهُ ، لِأَنَّ أَبْنَاءَ الْخُلَفَاءِ كَانُوا فِي مِثْلِ حَالِ الْمَمْنُوعِ[٢] أَجَلُّ مَكَانًا مِنْ أَنْ يُعَانِقُوا أَحَدًا مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَمِنْ قِبَلِ أَنَّ هَذَا الشِّعْرَ الْأَخِيرَ أَنْشَدَنِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ لِعَبْدِ الصَّمَدِ ابْنِ الْمُعَذَّلِ حَتَّى خَبَّرَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ يُوسُفَ الْمَعْرُوفُ بِالْبَصِيرِ أَنَّهُ لَهُ ، وَأَنَّهُ قَالَهُ بِالْكُوفَةِ فِي حَدَاثَةٍ مِنْ سِنِّهِ ، وَكَانَ بَعِيدًا مِنَ الْكَذِبِ فِي ادِّعَاءِ مِثْلِ هَذَا مِنَ الشِّعْرِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

حَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْمَازِنِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِيُّ يَأْخُذُ اللُّغَةَ مِنْ أَعْرَابٍ مِنْ أَعْرَابِ الْحُطَمِيَّةِ[٣] يَنْزِلُونَ بِقُطْرُبُّلَ وَغَيْرِهَا مِنْ قُرَى

---

(١) أقول: وما كان أجدر ياقوتاً أن يترفع عن ذكر مثل هذا الخبر ولكنه تعود أن يذكر كل شيء بل ما هو أفحش من هذا ، شأنه شأن غيره من القدامى فى ذكر الأخبار (٢) كانت فى الاصل « المخلوع » ولا معنى له ، فأصلحناها إلى ما ذكر ، أى هم أرفع شأنا وأعلى قدرا ، وأجل مكانا الخ (٣) الحطمية : قرية على فرسخ من بغداد من الجانب الشرقى منسوبة إلى السرى ابن الحطم أحد القواد ، وقطربل قرية بين بغداد وعكبرا اهـ . من معجم ياقوت

سَوَادِ بَغْدَادَ ، فَلَمَّا نَاظَرَ الْكِسَائِيُّ سِيبَوَيْهِ اُسْتَشْهَدَ بِكَلَامِهِمْ ، وَاُحْتَجَّ بِهِمْ وَبِلُغَتِهِمْ عَلَى سِيبَوَيْهِ ، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ : كُنَّا نَقِيسُ النَّحْوَ فِيمَا مَضَى — الْأَبْيَاتَ —

وَالْأَبْيَاتُ فِي أَخْبَارِ الْيَزِيدِيِّ . وَلِلْيَزِيدِيِّ أَشْعَارٌ فِي الْكِسَائِيِّ ذُكِرَتْ فِي أَخْبَارِهِ ، وَمِنْ قَوْلِ الْيَزِيدِيِّ فِيهِ(١) :

أَفْسَدَ النَّحْوَ الْكِسَائِيُّ وَثَنَّى ابْنُ غَزَالَهْ
وَأَرَى الْأَحْمَرَ تَيْساً فَاعْلِفُوا التَّيْسَ النُّخَالَهْ

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْمَازِنِيِّ وَالرِّيَاشِيِّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ : لَمَّا وَرَدَ نَعْيُ الْكِسَائِيِّ مِنَ الرَّيِّ قَالَ أَبُو زَيْدٍ : لَقَدْ دُفِنَ بِهَا عِلْمٌ كَثِيرٌ بِالْكِسَائِيِّ ثُمَّ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الْكِسَائِيُّ الْبَصْرَةَ فَلَقِيَ عِيسَى وَالْخَلِيلَ وَغَيْرَهُمَا ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ نَحْواً كَثِيراً ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَلَقِيَ أَعْرَابَ الْحُطَمِيَّةِ فَأَخَذَ

(١) تقدم الشعر فى ترجمة الأحمر غلام الكسائى «عبد الخالق»

عَنْهُمُ الفَسَادَ مِنَ الخَطَإِ وَاللَّحْنِ ، فَأَفْسَدَ بِذَلِكَ مَا كَانَ أَخَذَهُ بِالبَصْرَةِ كُلَّهُ[1] .

قَالَ عَبْدُ اللهِ : وَذَلِكَ أَنَّ الكِسَائِيَّ كَانَ يَسْمَعُ الشَّاذَّ الَّذِي لَا يَجُوزُ مِنَ الخَطَإِ وَاللَّحْنِ وَشِعْرِ غَيْرِ أَهْلِ الفَصَاحَةِ وَالضَّرُورَاتِ ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ أَصْلًا وَيَقِيسُ عَلَيْهِ حَتَّى أَفْسَدَ النَّحْوَ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُقْلَةَ : حَدَّثَنِي أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنُ يَحْيَى قَالَ : اجْتَمَعَ الكِسَائِيُّ وَالأَصْمَعِيُّ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَكَانَا مَعَهُ يُقِيمَانِ بِمُقَامِهِ ، وَيَظْعَنَانِ بِظَعْنِهِ ، فَأَنْشَدَ الكِسَائِيُّ[2] :

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي العَلُوقُ بِهِ
رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَ مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ ؟

---

(١) أقول : إن الفساد الذى ينسب إلى الكسائى ربما كان واقعاً ، فان القرى التى يسكنها هؤلاء كانت مرتعاً للبطالين والخمارين وهى خليط من قوم لا يصح الاعتماد عليهم فى اللغة وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان مثل هذه الصفات « عبد الخالق »

(٢) البيت من قصيدة لأفنون التغلبى أولها :

أبلغ حبيبا وخلل فى سراتهم أن الفؤاد انطوى منهم على حزن

ثم جاء قبل البيت :

فَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : رِئمَانُ بِالرَّفعِ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : اُسْكُتْ مَا أَنْتَ وَهذَا ؟ يَجُوزُ رِئمَانًا وَرِئمَانُ وَرِئمَانٍ ، وَلَمْ يَكُنِ الأَصْمَعِيُّ بِصَاحِبِ عَرَبِيَّةٍ(١) ، فَسَأَلْتُ أَبَا العَبَّاسِ كَيْفَ جَازَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِذَا رُفِعَ رُفِعَ بِيَنْفَعُ ، أَيْ أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ رِئمَانُ أَنْفٍ ، وَإِذَا نُصِبَ نُصِبَ بِيُعْطِي ، وَإِذَا خُفِضَ رَدَّهُ عَلَى الْهَاءِ فِي بِهِ . قَالَ : وَالْمَعْنَى وَمَا يَنْفَعُنِي إِذَا وَعَدْتَنِي بِلِسَانِكَ ثُمَّ لَمْ تُصَدِّقْهُ بِفِعْلِكَ ، يُقَالُ ذَلِكَ لِلَّذِي يَبَرُّ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ نَفْعٌ كَهَذِهِ النَّاقَةِ الَّتِي تَشُمُّ بِأَنْفِهَا مَعَ تَمَنُّعٍ

— أنى جزوا عامرا سوءا بفعلهم أم كيف يجزونني السوءى من الحسن

أم كيف ينفع البيت وقد أشبع القول فيه البغدادي في خزانة الأدب أنقل منه ما يأتي ملخصا واختيارا لي من الأقوال التي جاءت فيه :

العلوق : التي ترأم البو ولم تدر عليه. والبو : ما يفعله القوم من حشو جلد الولد وإيهامها أنه ولدها . ثم قال : رفع رئمان على أنه بدل من ما أو خبر لمبتدأ محذوف والنصب على الحال أي حال كون ما تعطيه رئمان أنف وعطفها بالأنف وذلك بتضمين تعطى معنى تعطف ، والجر على أنه بدل من الهاء في به بدل كل من كل حتى لا نحتاج إلى تقدير ضمير إن جعلناه بدل اشتمال ، وعلى كل حال فالمعنى كيف ينفع ما تقدمه العلوق من إظهار العطف بالأنف واللبن مضنون به . والرئمان : العطف مصدر رئمت الناقة ولدها كفرح إذا أحبته وعطفت عليه

(١) يريد صاحب علم وميزان في النحو «عبد الخالق»

دَرَّهَا ، وَالعَلُوقُ : الَّتِي قَدْ عَلِقَ قَلبُهَا بِوَلَدِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نُحِرَ عَنْهَا ثُمَّ حُشِيَ جِلْدُهُ تِبناً أَوْ حَشِيشاً وَجُعِلَ بَيْنَ يَدَيْهَا حَتَّى تَشُمَّهُ وَتَدِرَّ عَلَيْهِ ، فَهِيَ تَسْكُنُ إِلَيْهِ مَرَّةً ثُمَّ تَنفِرُ عَنْهُ ثَانِيَةً تَشُمُّهُ بِأَنْفِهَا ثُمَّ تَأْبَاهُ مُقْلَتُهَا فَيَقُولُ : فَمَا يَنفَعُ مِنْ هَذَا البَوِّ إِذَا تَشَمَّمَتْهُ ثُمَّ مَنَعَتْ دَرَّهَا ؟

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : حَدَّثَنِي سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ الفَرَّاءُ : مَاتَ الكِسَائِيُّ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ حَدَّ نِعْمَ وَبِئْسَ ، وَلَا حَدَّ أَنِ المَفْتُوحَةِ ، وَلَا حَدَّ الحِكَايَةِ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِسَلَمَةَ فَكَيْفَ لَمْ يُنَاظِرْهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتُهُ ذَلِكَ فَقَالَ : أَشْفَقْتُ أَنْ أُحَادِثَهُ فَيَقُولَ فِيَّ كَلِمَةً تُسْقِطُنِي فَأَمْسَكْتُ . قَالَ الفَرَّاءُ : وَلَمْ يَكُنِ الخَلِيلُ يُحْسِنُ النِّدَاءَ ، وَلَا كَانَ سِيبَوَيْهِ يَدْرِي حَدَّ التَّعَجُّبِ .

وَحَدَّثَ المَرْزُبَانِيُّ فِي مَا رَفَعَهُ إِلَى الفَرَّاءِ قَالَ : قَدِمَ سِيبَوَيْهِ عَلَى البَرَامِكَةِ فَعَزَمَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكِسَائِيِّ وَجَعَلَ لِذَلِكَ يَوْماً ، فَلَمَّا حَضَرَ تَقَدَّمْتُ وَالأَحْمَرُ (١)

(١) الأرجح والأحمر بالنصب ليكون مفعولا معه ، لأن العطف يحسن إذا عطفه على ضمير بعد توكيده

فَدَخَلَ فَإِذَا بِمِثَالٍ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ يَحْيَ وَقَعَدَ إِلَى جَانِبِ الْمِثَالِ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَمَنْ حَضَرَ بِحُضُورِهِمْ ، وَحَضَرَ سِيبَوَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْأَحْمَرُ (١) فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا سِيبَوَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ ثَانِيَةٍ فَأَجَابَ فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ ثَالِثَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، فَقَالَ لَهُ سِيبَوَيْهِ : هَذَا سُوءُ أَدَبٍ .
قَالَ الْفَرَّاءُ : فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : إِنَّ فِي هَذَا الرَّجُلِ حِدَّةً وَعَجَلَةً ، وَلَكِنْ مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَبُونَ ، وَمَرَرْتُ بِأَبِينَ ، كَيْفَ تَقُولُ عَلَى مِثَالِ ذَلِكَ ، وَأَيْتُ أَوْ أَوَيْتُ ؟ قَالَ : فَقَدَّرَ فَأَخْطَأَ فَقُلْتُ لَهُ : أَعِدِ النَّظَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تُجِيبُ وَلَا تُصِيبُ ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ قَالَ : لَسْتُ أُكَلِّمُكُمَا أَوْ يَحْضُرَ صَاحِبُكُمَا حَتَّى أُنَاظِرَهُ ، قَالَ : فَحَضَرَ الْكِسَائِيُّ فَأَقْبَلَ عَلَى سِيبَوَيْهِ فَقَالَ : أَتَسْأَلُنِي أَمْ أَسْأَلُكَ ؟ فَقَالَ : بَلْ سَلْنِي أَنْتَ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : كَيْفَ تَقُولُ : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً مِنَ الزُّنْبُورِ فَإِذَا

(١) الأحمر هذا غلام الكسائي الذي تقدمت ترجمته .

هُوَ هِيَ ، أَوْ فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا ؟ فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : فَإِذَا هُوَ هِيَ وَلَا يَجُوزُ النَّصْبُ ، فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : لَحَنْتَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ « خَرَجْتُ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ الْقَائِمَ » أَوِ « الْقَائِمُ » فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِالرَّفْعِ دُونَ النَّصْبِ ، فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، الْعَرَبُ تَرْفَعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَنْصِبُ ، فَدَفَعَ سِيبَوَيْهِ قَوْلَهُ ، فَقَالَ يَحْيَ بْنُ خَالِدٍ : قَدِ اخْتَلَفْتُمَا وَأَنْتُمَا رَئِيسَا بَلَدَيْكُمَا ، فَمَنْ ذَا يَحْكُمُ بَيْنَكُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ : هَذِهِ الْعَرَبُ فِي بَابِكَ قَدْ جَمَعْتَهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَوَفَدَتْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ ، وَهُمْ فُصَحَاءُ النَّاسِ وَقَدْ قَنِعَ بِهِمْ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ ، وَسَمِعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ مِنْهُمْ فَيَحْضُرُونَ وَيُسْأَلُونَ ، فَقَالَ يَحْيَ وَجَعْفَرٌ : قَدْ أَنْصَفْتَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ فَدَخَلُوا ، فَهُمْ : أَبُو فَقْعَسٍ ، وَأَبُو دِثَارٍ ، وَأَبُو الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو ثَرْوَانَ ، فَسُئِلُوا عَنِ الْمَسَائِلِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الْكِسَائِيِّ وَسِيبَوَيْهِ ، فَتَابَعُوا الْكِسَائِيَّ وَقَالُوا بِقَوْلِهِ . قَالَ : فَأَقْبَلَ يَحْيَ عَلَى

سِيبَوَيْهِ فقَالَ : قَدْ تَسمَعُ أَيُّهَا الرَّجلُ ؟ فَاسْتَكَانَ سِيبَوَيْهِ وَأقبَلَ الْكِسَائِيُّ عَلَى يَحْيَ فقَالَ : ـ أَصْلَحَ اللهُ الْوَزِيرَ ـ ، إِنَّهُ قَدْ وَفَدَ عَلَيْكَ مِنْ بَلَدِهِ مُؤَمِّلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَرُدَّهُ خَائِبًا ، فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَخَرَجَ وَصَيَّرَ وَجْهَهُ نَحْوَ فَارِسَ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَصْرَةِ .

قَالَ ثَعْلَبٌ : وَإِنَّمَا أَدْخَلَ الْفَاءَ [١] فِي قَوْلِهِ : فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا ، لِأَنَّ فَإِذَا مُفَاجَأَةٌ ، أَيْ « فَوَجَدْتُهُ وَرَأَيْتُهُ » وَوَجَدْتُ وَرَأَيْتُ يَنْصِبُ شَيْئَيْنِ وَيَكُونُ مَعَهُ خَبَرٌ ، فَلِذَلِكَ نَصَبَتِ الْعَرَبُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْخَبَرَ فِي بَابِ سِيبَوَيْهِ بِرِوَايَةٍ أُخْرَى ، وَذَكَرْنَا الِاحْتِجَاجَ لِلْبَصْرِيِّينَ عَلَى تَصْوِيبِ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ .

رَوَى الزُّبَيْرُ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا مَنْسُوبًا إِلَى الْعِلْمِ أَجْهَلَ بِالشِّعْرِ مِنَ الْكِسَائِيِّ .

---

(١) يريد أنه نصب الضمير في إياها والقائم في قوله : فاذا زيد القائم على تقدير النصب بفعل محذوف ولم أرد بيان وجهة كل منهما حتى تأتى ترجمة سيبويه « عبد الخالق »

وَبِالْإِسْنَادِ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِيُّ مِنْ أَشَدِّ خَلْقِ اللهِ تَسَكُّعاً فِي تَفْسِيرِ شِعْرٍ ، وَمَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِالنَّحْوِ قَطُّ مِنْهُ ، وَلَا أَحْسَنَ تَفْسِيراً ، وَلَا أَحْذَقَ بِالْمَسَائِلِ ، الْمَسْأَلَةُ تُشَقُّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَالْمَسْأَلَةُ تَدْخُلُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ .

وَقَرَأْتُ فِي نَوَادِرِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الَّتِي كَتَبَهَا عَنْهُ ثَعْلَبٌ سَمِعْتُ الْكِسَائِيَّ يَقُولُ : قُلْتُ لِأَبِي زَيْدٍ وَآذَانِي بِاللُّزُومِ يَاهَذَا ، قَدْ أَمْلَلْتَنِي ، كَمْ تُلَازِمُنِي ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ : إِنَّمَا أَلْزَمُكَ لِأُعَلِّمَكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ فَاجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى آتِيكَ . قَالَ : وَمَا جَرَّبْتُ عَلَى الْكِسَائِيِّ كِذْبَةً قَطُّ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ : وَلَئِنْ كَانَ أَبُو زَيْدٍ قَالَ هَذَا ، مَا فِي[1] الْأَرْضِ أَحَدٌ قَطُّ أَخَلُّ عَقْلًا مِنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ الْكِسَائِيُّ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي زَيْدٍ بِكَثِيرٍ بِالْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَاتِ وَالنَّوَادِرِ ، وَلَوْ كَانَ نَظَرَ فِي الْأَشْعَارِ مَا سَبَقَهُ أَحَدٌ وَلَا أَدْرَكَهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ . وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ :

---

(١) جواب القسم فى ولئن هو قوله : مافى الأرض الخ .

لَمْ يَكُنْ لِجَمِيعِ الْكُوفِيِّينَ عَالِمٌ بِالْقُرْآنِ وَلَا كَلَامِ الْعَرَبِ(١) ، وَلَوْلَا أَنَّ الْكِسَائِيَّ دَنَا مِنَ الْخُلَفَاءِ فَرَفَعُوا ذِكْرَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا ، وَعِلْمُهُ مُخْتَلِطٌ بِلَا حُجَجٍ وَلَا عِلَلٍ إِلَّا حِكَايَاتِ الْأَعْرَابِ مَطْرُوحَةً ، لِأَنَّهُ كَانَ يُلَقِّنُهُمْ مَا يُرِيدُ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ أَعْلَمُ الْكُوفِيِّينَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ ، وَهُوَ قُدْوَتُهُمْ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِهِ قَالَ : كَتَبَ الْكِسَائِيُّ إِلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ يُؤَدِّبُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مَا تَقُولُ لِمَنْ ... أَمْسَى إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ يُدْلِي؟
مَازِلْتُ مُذْ صَارَ الْأَمِينُ مَعِي ... عَبْدِي يَدِي(٢) وَمَطِيَّتِي رِجْلِي
وَعَلَى فِرَاشِي مَا يُنَبِّهُنِي ... مِنْ نَوْمَتِي بِقِيَامِهِ قَبْلِي
أَسْعَى بِرِجْلٍ مِنْهُ ثَالِثَةٍ ... نَقَصَتْ زِيَادَتُهَا عَنِ الرِّجْلِ
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِمَا يُسَكِّنُهُ ... عَنِّي وَأَهْدِ الْغِمْدَ لِلنَّصْلِ

قَالَ : فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ لَهُ بِبِرْذَوْنٍ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ

(١) يريد أنهم لا فقه لهم ولا علم بالقرآن وما يتعلق به ، ولا باللغة

(٢) عبدى يدى كناية عن أنه يعمل أموره ويقوم بشئونه بنفسه ، فلا خادم عنده ولا زوج كما تعلم مما يأتى ولا شىء يركبه ، لهذا أمر الرشيد بما يتلافى به كل هذا من برذون وخادم وجارية « عبد الخالق »

وَبِجَارِيَةٍ حَسْنَاءَ بِآلَتِهَا وَخَادِمٍ وَعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . قِيلَ لِلْكِسَائِيِّ : قَدْ أَبْحَتْ عِلْمَكَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ يُعِينُ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالنِّسْيَانِ .

مِنْ مُجَالَسَاتِ ثَعْلَبٍ : وَصَفَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ الْكِسَائِيَّ فَقَالَ : كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ عَلَى رَهَقٍ فِيهِ ، يُرِيدُ إِتْيَانَ مَا يُكْرَهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَأْتِي الْغِلْمَانَ . قَالَ : وَمِنْ شِعْرِ الْكِسَائِيِّ :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ
وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ
فَإِذَا مَا نَصَرَ النَّحْوُ الْفَتَى
مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ
فَاتَّقَاهُ جُلُّ مَنْ جَالَسَهُ
مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يَنْصُرِ النَّحْوُ الْفَتَى
هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَطَعْ
فَتَرَاهُ يَرْفَعُ النَّصْبَ وَمَا
كَانَ مِنْ خَفْضٍ وَمِنْ نَصْبٍ رَفَعْ

يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ مَا
صَرَّفَ الْإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعْ
وَالَّذِى يَعْرِفُهُ يَقْرَؤُهُ
فَإِذَا مَا شَكَّ فِى حَرْفٍ رَجَعْ
نَاظِرًا فِيهِ وَفِى إِعْرَابِهِ
فَإِذَا مَا عَرَفَ اللَّحْنَ صَدَعْ(١)
كَمْ وَضِيعٍ(٢) رَفَعَ النَّحْوُ وَكَمْ
مِنْ شَرِيفٍ قَدْ رَأَيْنَاهُ وَضَعْ
فَهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ
لَيْسَتِ السُّنَّةُ فِينَا كَالْبِدَعْ

وَحَدَّثَ هَارُونُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُنَجِّمِ فِى أَمَالِيهِ عَنْ أَبِى تَوْبَةَ قَالَ : سَمِعْتُ الْفَرَّاءَ يَقُولُ : مَدَحَنِى رَجُلٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ فَقَالَ لِى : مَا اخْتِلَافُكَ إِلَى الْكِسَائِيِّ وَأَنْتَ مِثْلُهُ فِى النَّحْوِ ؟ فَأَعْجَبَتْنِى نَفْسِى فَأَتَيْتُهُ فَنَاظَرْتُهُ مُنَاظَرَةَ الْأَكْفَاءِ ، فَكَأَنِّى كُنْتُ طَائِرًا يَغْرِفُ مِنَ الْبَحْرِ بِمِنْقَارِهِ .

---

(١) صدع الأمر : كشفه وبينه (٢) كانت فى الأصل « رضيع »

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الطَّيِّبِ ابْنِ أَخِي الشَّافِعِيِّ قَالَ: أَشْرَفَ الرَّشِيدُ عَلَى الْكِسَائِيِّ وَهُوَ لَا يَرَاهُ، فَقَامَ الْكِسَائِيُّ لِيَلْبَسَ نَعْلَهُ لِحَاجَةٍ يُرِيدُهَا فَابْتَدَرَهَا [1] الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ، وَكَانَ مُؤَدِّبَهُمَا فَوَضَعَاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَبَّلَ رُءُوسَهُمَا وَأَيْدِيَهُمَا ثُمَّ أَقْسَمَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يُعَاوِدَا، فَلَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ مَجْلِسَهُ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ خَدَماً؟ قَالَ: [2] أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ـ أَعَزَّهُ اللهُ ـ قَالَ: بَلِ الْكِسَائِيُّ يَخْدُمُهُ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ، وَحَدَّثَهُمُ الْحَدِيثَ.

حَدَّثَ السَّلَامِيُّ قَالَ: حَضَرَ مَجْلِسَ الْكِسَائِيِّ أَعْرَابِيٌّ وَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّحْوِ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنَاظَرُوا فِي التَّصْرِيفِ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَا يَقُولُونَ، فَفَارَقَهُمْ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَازَالَ أَخْذُهُمْ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي
حَتَّى تَعَاطَوْا كَلَامَ الزِّنْجِ وَالرُّومِ

(١) ابتدرها: بادر كل منهما صاحبه يسبق إليها (٢) وفى بعض الكتب أن السؤال وجه للكسائى وأن الرشيد قال له: لو لم تقبل منهما هذه الكرامة كنت ملوماً إلى كلام هذا معناه «عبد الخالق»

بِمَفْعَلٍ فَعِلٍ (١) لَاطَابَ مِنْ كَلِمٍ
كَأَنَّهُ زَجَلُ الْغِرْبَانِ وَالْبُومِ

وَقَرَأَ بِخَطِّ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَزْدَادِيِّ اللُّغَوِيِّ الْكَاتِبِ فِي كِتَابِ جَلَاءِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ قِيلَ : اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ وَضِرَارٌ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ، فَتَنَاظَرَا فِي الْقَدَرِ حَتَّى دَقَّتْ مُنَاظَرَتُهُمَا فَلَمْ يَفْهَمْهُمَا، فَقَالَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ وَمَنْ يَثِقُ بِهِ وَيَرْضَى بِرَأْيِهِ : اذْهَبْ بِهَذَيْنِ إِلَى الْكِسَائِيِّ حَتَّى يَتَنَاظَرَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ يُخْبِرَكَ لِمَنِ الْفَلَحُ (٢) مِنْهُمَا، فَلَمَّا صَارَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ لِضِرَارٍ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْكِسَائِيَّ لَايُحْسِنُ شَيْئًا مِنَ النَّظَرِ، وَإِنَّمَا مُعَوَّلُهُ عَلَى النَّحْوِ وَالْحِسَابِ، وَلَكِنْ تَهَيِّئْ لَهُ مَسْأَلَةَ نَحْوٍ، وَأُهَيِّئْ لَهُ مَسْأَلَةَ حِسَابٍ فَنَشْغَلُهُ بِهِمَا، لِأَنَّا لَانَأْمَنُ إِنْ يَسْمَعْ مِنَّا مَالَمْ يَسْمَعْهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ فَهْمُهُ أَنْ يَنْسُبَنَا إِلَى الزَّنْدَقَةِ، فَلَمَّا صَارَا إِلَيْهِ

(١) يريد بمثل هذه الألفاظ من الموزون بأحرف الميزان العرفى
(٢) الفلح : الفوز . أقول : وربما كانت الفلج أى النصر .

سَلَّمَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ بَدَأَ ضِرَارٌ فَقَالَ : أَسْأَلُكَ ـ أَصْلَحَكَ اللهُ ـ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ النَّحْوِ ؟ قَالَ : هَاتِهَا ، قَالَ : مَا حَدُّ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ ؟ قَالَ الْكِسَائِيُّ : حَدُّ الْفَاعِلِ الرَّفْعُ أَبَدًا ، وَحَدُّ الْمَفْعُولِ بِهِ النَّصْبُ أَبَدًا ، قَالَ : فَكَيْفَ تَقُولُ ضُرِبَ زَيْدٌ ؟ فَقَالَ : ضُرِبَ زَيْدٌ . قَالَ : فَلِمَ رَفَعْتَ زَيْدًا وَقَدْ شَرَطْتَ أَنَّ الْمَفْعُولَ بِهِ مَنْصُوبٌ أَبَدًا ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ، قَالَ لَهُ : فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي الْعِبَارَةِ ، إِذْ لَمْ تَقُلْ إِنَّ مِنَ الْمَفْعُولِينَ مَنْ إِذَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ كَانَ مَرْفُوعًا ، وَمَنْ جَعَلَ لَكَ الْحُكْمَ بِأَنْ تَجْعَلَ الرَّفْعَ لِمَنْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ؟ قَالَ : لِأَنَّا إِذَا لَمْ نَذْكُرِ الْفَاعِلَ أَقَمْنَا الْمَفْعُولَ بِهِ مُقَامَهُ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْوَاقِعَ عَلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَحْكِمِ النَّقْصِ ، وَعَدَمُ النَّقْصِ مُطَابِقٌ لِلرَّفْعِ ، فَإِذَا ذَكَرْنَا مَنْ فَعَلَ بِهِ وَأَفْصَحْنَا بِذَلِكَ نَصَبْنَاهُ (١) . قَالَ لَهُ : فَإِنْ كَانَ النَّصْبُ مُطَابِقًا لِلنَّقْصِ فَمَنْ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ أَوْلَى بِهِ ، لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا : ضُرِبَ زَيْدٌ فَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ضَرَبَهُ مِائَةُ رَجُلٍ ، وَإِذَا قُلْنَا ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا فَلَمْ يَضْرِبْهُ إِلَّا رَجُلٌ

---

(١) يريد أن الحدث حصل وذكر من وقع عليه، فالفائدة بالاخبار موجودة وإذاً فنقص الفائدة معدوم ، وذلك يطابقه رفع من وقع عليه الفعل « عبد الخالق »

وَاحِدٌ، فَالَّذِي أَمْكَنَ أَنْ يَضْرِبَهُ مِائَةُ رَجُلٍ أَوْلَى بِالنَّصْبِ وَالنَّقْصِ مِمَّنْ لَمْ يَضْرِبْهُ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ[١]، فَوَقَفَ الْكِسَائِيُّ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ[٢]. ثُمَّ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَسْأَلُكَ — أَصْلَحَكَ اللهُ — عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْحِسَابِ؟ قَالَ: قُلْ. قَالَ: كَمْ جِذْرُ عَشَرَةٍ. قَالَ: أَجْتَمَعَ الْحُسَّابُ عَلَى أَنَّهُ لَا جِذْرَ لِعَشَرَةٍ. قَالَ: فَهَلْ عَلِمَ اللهُ جِذْرَهَا؟ قَالَ: اللهُ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ: فَمَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِذْ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ أَلْقَاهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ؟ ثُمَّ أَلْقَاهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ إِلَى صَفِيٍّ مِنْ أَصْفِيَائِهِ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الْعِلْمُ يَنْمِي حَتَّى صَارَ عِلْمُ جِذْرِ عَشَرَةٍ عِنْدِي، وَأَكُونُ أَعْلَمَ جِذْرَهَا وَلَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَتَكُونُ مُخْطِئًا فِيمَا قُلْتَ، فَالْتَفَتَ الْكِسَائِيُّ إِلَى الْغُلَامِ وَقَالَ: اذْهَبْ بِهَذَيْنِ إِلَى أَمِيرِ

(١) هذه مغالطة فان الكسائى يعتبر النقص ضياع الفائدة، وضرار يعتبره بالكم، ألا تراه يقول: إن الذى بنى للمجهول أزيد عدداً من الذى لم يبن له.

(٢) ذكر ناشر الكتاب فى طبعته الثانية أن السيوطى وضح المسألة فى كتابه الأشباه والنظائر، وقد راجعته فما رأيت شيئا سوى أنه ينقل عن ياقوت ما دون فى هذا الكتاب لا غير «عبد الخالق»

المُؤْمِنِينَ فقُلْ : إِنَّهُمَا زِنْدِيقَانِ كَافِرَانِ بِاللهِ الْعَظِيمِ . قَالَ . وَكَانَ الْخَادِمُ لَبِيباً حَصِيفاً[١] فَأَحْسَنَ الْعِبَارَةَ عَنْهُمَا وَحَسَّنَ أُمُورَهُمَا ، فَأَمَرَ لَهُمَا بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ وَصَرَفَهُمَا .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ عِنْدِي مَصْنُوعَةٌ بَارِدَةٌ ، وَإِنَّمَا كَتَبْتُهَا لِكَوْنِي وَجَدْتُهَا بِخَطِّ رَجُلٍ عَالِمٍ .

وَحَدَّثَ سَلَمَةُ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ : قَالَ الْكِسَائِيُّ : حَلَفْتُ أَلَّا أُكَلِّمَ عَامِّيًّا إِلَّا بِمَا يُوَافِقُهُ وَيُشْبِهُ كَلَامَهُ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى نَجَّارٍ فَقُلْتُ لَهُ : بِكَمْ ذَانِكَ[٢] الْبَابَانِ ؟ فَقَالَ : بِسَلْحتَانِ[٣] . فَحَلَفْتُ أَلَّا أُكَلِّمَ عَامِّيًّا إِلَّا بِمَا يَصْلُحُهُ[٤] .

وَحَدَّثَ الْحَزَنْبَلُ قَالَ : أَنْشَدَنَا يَعْقُوبُ بْنُ السِّكِّيتِ لِأَبِي الْجَرَّاحِ الْعُقَيْلِيِّ يَمْدَحُ الْكِسَائِيَّ :

ضَحُوكٌ إِذَا زَفَّ الْخِوَانُ وَزَوْرُهُ
يُحَيَّا بِأَهْلاً مَرْحَباً ثُمَّ يَجْلِسُ
أَبَا حَسَنٍ مَاجِئْتُكُمْ قَطُّ مُطْفِئاً
لَظَى الشَّوْقِ إِلَّا وَالزُّجَاجَةُ تَقْلِسُ[٥]

(١) حصيفاً : أى جيد الرأى محكم العقل (٢) كانت فى الأصل « ذلك » وأصلحت (٣) السلح : البراز (٤) الموافق للغة يصلح له ، تقول : هذا يصلح لك أى من بابتك (٥) تقلس من باب ضرب « عبد الخالق »

قَالَ يَعْقُوبُ : يُرِيدُ تَمْتَلِئُ حَتَّى تَفِيضَ ، وَنَصَبَ قَوْلَهُ يُحَيَّا بِأَهْلًا عَلَى الْحِكَايَةِ .

وَحَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ قَالَ : كَانَ الْكِسَائِيُّ مِمَّنْ وُسِمَ بِالتَّعْلِيمِ ، وَكَانَ كَسَبَ بِهِ مَالًا إِلَّا أَنَّهُ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ أَقَامَ غُلَامًا مِمَّنْ عِنْدَهُ فِي الْكُتَّابِ وَقَامَ يَفْسُقُ بِهِ وَجَاءَ بَعْضُ الْكُتَّابِ لِيُسَلِّمَ عَلَيْهِ فَرَآهُ الْكِسَائِيُّ وَلَمْ يَرَهُ الْغُلَامُ ، فَجَلَسَ الْكِسَائِيُّ فِي مَكَانِهِ وَبَقِيَ الْغُلَامُ قَائِمًا مَبْهُوتًا ، فَلَمَّا دَخَلَ الْكَاتِبُ قَالَ لِلْكِسَائِيِّ : مَا شَأْنُ هَذَا الْغُلَامِ قَائِمًا ؟ قَالَ وَقَعَ الْفِعْلُ عَلَيْهِ فَانْتَصَبَ (١) . وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى سَعْدُونَ الْقَارِئِ قَالَ : رَأَيْتُ الْكِسَائِيَّ وَهُوَ يَسْأَلُ أَبَا الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيَّ وَقَدْ أَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَخْتَلِفُ إِلَى الْكِسَائِيِّ وَالْمَرْوَزِيُّ يَقُولُ : كَيْفَ تَقُولُ مَرَرْتُ بِدَجَاجَةٍ تَنْقُرُكَ أَوْ تَنْقُرُكِ أَوْ

(١) كل ما يروى من هذا الضرب عن الكسائى لا أخاله إلا موضوعاً ، فإن عظيماً كهذا يبعد بل يستحيل أن يكون من هذا الصنف الممقوت ، ولا سيما ثقة العظماء به فى تعليم أبنائهم وكونه من القراء السبعة « عبد الخالق »

تَنْقُرِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ ؟ أَسْتَحْيَيْتُ لَكَ ، بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا تَعْرِفُ حُرُوفَ النَّعْتِ ؟ إِنَّهَا تَتْبَعُ الْأَسْمَاءَ ، قُلْ تَنْقُرُكَ مِنْ نَعْتِ الدَّجَاجَةِ . قَالَ : وَالْكِسَائِيُّ يَهْزَأُ بِهِ (١) وَيَعْبَثُ وَيَنْقُرُ أَنْفَهُ .

وَحَدَّثَ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى نُصَيْرٍ الرَّازِيِّ النَّحْوِيِّ رَجُلٍ كَانَ بِالرَّيِّ قَالَ : قَدِمَ الْكِسَائِيُّ مَعَ هَارُونَ فَاعْتَلَّ عِلَّةً مُنْكَرَةً فَأَتَاهُ هَارُونُ مَاشِيًا مُتَفَزِّعًا (٢) فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مَغْمُومٌ جِدًّا فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَا أَظُنُّ الْكِسَائِيَّ إِلَّا مَيِّتًا وَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يُعَزُّونَهُ وَيُطَيِّبُونَ نَفْسَهُ وَهُوَ يُظْهِرُ حُزْنًا فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : وَمَا لَهُ قَضَيْتَ عَلَيْهِ بِهَذَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ عَالِمًا غَزِيرَ الْعِلْمِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ذُو النُّخَيْلَةِ ، قَالَ الْكِسَائِيُّ : فَكُنْتُ أَغْدُو عَلَيْهِ وَأَرُوحُ أَمْتَاحُ (٣) مَا عِنْدَهُ ، فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدْوَةً مِنْ تِلْكَ الْغَدَوَاتِ فَإِذَا هُوَ ثَقِيلٌ

(١) لهذا يقول له : تنقرك بكسر الراء إذا قلت الدجاجة بكسر التاء

(٢) في الأصل « بالراء » (٣) أمتاح : يريد التلقي عنه فأمتاح مجاز

وَرَأَيْتُ بِهِ عِلَّةً مُنْكَرَةً قَالَ : فَأَلْقَى نَفْسَهُ وَجَعَلَ يَتَنَفَّسُ وَيَقُولُ :

قَدَرٌ أَحَلَّكَ ذَا النُّخَيْلِ وَقَدْ تُرَى
وَأَبِيَ(١) مَالَكَ ذُو النُّخَيْلِ بِدَارِ

أَلَّا(٢) كَدَارِكُمُ بِذِي بَقَرِ الْحِمَى
هَيْهَاتَ ذُو بَقَرٍ مِنَ الْمُزْدَارِ

قَالَ الْكِسَائِيُّ : فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ صَبَاحاً فَإِذَا هُوَ لِمَابِهِ قَالَ : فَدَخَلْتُ السَّاعَةَ عَلَى الْكِسَائِيِّ فَإِذَا هُوَ يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَغَمَّنِي ذَلِكَ غَمًّا شَدِيداً ، فَكَانَ كَمَا قَالَ : مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ وَدُفِنَ بِمَنْزِلِهِ فِي سِكَّةِ حَنْظَلَةَ ابْنِ نَصْرٍ بِالرَّيِّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ زِيَادَةٌ فِي الشِّعْرِ :

قَالَتْ جَمَالُ وَكُلُّهُنَّ جَمِيلَةٌ
مَا تَأْمُرُونَ بِهَؤُلَا السُّفَّارِ ؟

(١) ويروى وأبيك ويروى والله « حاشية » وأبي مضاف إلى الياء بعد ردلامه المحذوفة وهو قسم (٢) ألا أداة تحضيض يريد ألا حلت داراً كداركم وذو بقر والمزدار مكانان

قَالُوا بَنُو سَفَرٍ وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِمْ   وَهُمُ الَّذِينَ نُرِيدُ غَيْرَ تَمَارِى

لَمَّا اتَّكَأْتُ عَلَى الْحَشَايَا مَضْمَضَتْ (١)

بِالنَّوْمِ أَعْيُنُهُنَّ بَعْدَ غِرَارِ (٢)

سَقَطَ النَّدَى بِجُنُوبِهِنَّ كَأَنَّمَا   سَقَطَ النَّدَى بِلَطَائِمِ الْعَطَّارِ (٣)

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِرَنْبُويَهْ ، كُورَةٍ (٤) مِنْ كُوَرِ الرَّىِّ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْفَقِيهُ فِى وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَا خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَيْهَا . فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَفَنْتُ الْفِقْهَ وَالنَّحْوَ بِرَنْبُويَهْ ، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِىُّ يَرْثِيهِمَا :

تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ

وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةٍ سَيَبِيدُ

سَيُفْنِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِى مَضَتْ

فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْفَنَاءُ عَتِيدُ

أَسِيتُ عَلَى قَاضِى الْقُضَاةِ مُحَمَّدٍ

فَأَذْرَيْتُ دَمْعِى وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ (٥)

---

(١) مضمضت عينه : دب إليها النوم (٢) الغرار : القليل من النوم وسواه

(٣) لطائم العطار : أوعية العطر ، يريد أن الندى لما سقط ومسحن جنوبهن فاحت الروائح الشذية (٤) الكورة : البقعة التى تجتمع فيها المساكن والقرى

(٥) أى محزون

وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنَا
بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ؟
وَأَوْجَعَنِي مَوْتُ الْكِسَائِيِّ بَعْدَهُ
وَكَادَتْ بِيَ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ
وَأَرَّقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانَا أَوْدَيَا وَتُخُرِّمَا [1]
وَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ [2]

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ وَفَاةَ الْكِسَائِيِّ كَانَتْ بِطُوس لَا الرَّيِّ. وَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِلَى الرَّشِيدِ قَالَ يَا يَزِيدِيُّ: لَئِنْ كُنْتَ تُسِيءُ الْكِسَائِيَّ فِي حَيَاتِهِ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقِيلَ بَلْ قَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا بَصْرِيُّ، لَئِنْ كُنْتَ تَظْلِمُهُ فِي حَيَاتِهِ، لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَمَاتَ الْكِسَائِيُّ وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ. كِتَابُ الْعَدَدِ. كِتَابُ النَّوَادِرِ

(١) تخرما: انقصما واقتطعا وأخذتهما المنية (٢) أي نظير

الْكَبِيرُ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ الْأَوْسَطُ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ الْأَصْغَرُ ، كِتَابُ اخْتِلَافِ الْعَدَدِ ، كِتَابُ الْهِجَاءِ ، كِتَابُ مَقْطُوعِ الْقُرْآنِ وَمَوْصُولِهِ ، كِتَابُ الْمَصَادِرِ ، كِتَابُ الْحُرُوفِ ، كِتَابُ أَشْعَارِ الْمُعَايَاةِ وَطَرَائِقِهَا ، كِتَابُ الْهَاءَاتِ الْمَكْنِيِّ بِهَا فِي الْقُرْآنِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ الْأَزْهَرِيِّ فِي كِتَابِ نَظْمِ الْقُرْآنِ لِلْمُنْذِرِيِّ : أَسْمَعَنِي أَبُو بَكْرٍ عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِهِ أَنَّ الْكِسَائِيَّ كَانَ يَقُومُ فِي الْمِحْرَابِ يَؤُمُّ فَتَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ حَتَّى لَا يَقُومَ بِقِرَاءَةِ « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثُمَّ يَتَحَرَّفُ فَيُقْبِلُ عَلَيْهِمْ فَيُمْلِي الْقُرْآنَ حِفْظًا وَيُفَسِّرُهُ بِمَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ .

« ٢٥ — عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ * »

علی بن حمزة الأصبهانی

ابْنِ يَسَارِ بْنِ عُثْمَانَ الْأَصْبَهَانِيُّ أَبُو الْحَسَنِ ، وَعُثْمَانُ هَذَا الَّذِي انْتَهَتْ نِسْبَةُ هَذَا إِلَيْهِ : هُوَ وَالِدُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَيَسَارٌ أَخُوهُ ، قَالَ ذَلِكَ حَمْزَةُ وَقَالَ : كَانَ اسْمُ أَبِيهِ قَبْلَ

(*) راجع الوافی بالوفيات ص ٢٦٦ ج ثان

أَنْ يُسلِمَ « بِنْدَادَ هُرْمُزَ » فَلَمَّا أَسْلَمَ تَسَمَّى بِعُثْمَانَ ، قَالَ : وَأَبُو مُسْلِمٍ اسْمُهُ « بِهْزَادَانُ بْنُ بِنْدَادَ هُرْمُزَ » ، وَعَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ هَذَا مِنْ أَوْلَادِ أَخِيهِ يَسَارٍ ، وَكَانَ أَحَدَ أُدَبَاءِ أَصْبَهَانَ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالْفَضْلِ وَالتَّصْنِيفِ ، شَائِعٌ ذِكْرُهُ ذَائِعٌ عَنْهُ ، وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ الشِّعْرِ ، وَكِتَابُ فِقَرِ الْبُلَغَاءِ يَشْتَمِلُ عَلَى الِاخْتِيَارِ مِنْ شِعْرِ عَامَّةِ الشُّعَرَاءِ ، وَكِتَابُ قَلَائِدِ الشَّرَفِ فِي مَفَاخِرِ أَصْبَهَانَ وَأَخْبَارِهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ .

قَالَ حَمْزَةُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ : وَقَدْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْأَدَبِ بِبَلَدِنَا تَعَاطَى عَمَلَ كِتَابٍ فِي هَذَا الْفَنِّ ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عِمَارَةَ ، وَسَمَّاهُ قَلَائِدَ الشَّرَفِ ، فَشَحَنَهُ بِأَخْبَارِ الْفُرْسِ فِي السِّيَرِ وَالْأَبْيَاتِ ، نَبَذَ بَيْنَهُمَا جُمَلًا مِنْ أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ تَنْقُصُ عَنِ السُّدُسِ مِنْ كِتَابِهِ ، وَحَجْمُهَا يَكُونُ دُونَ ثَلَاثِينَ وَرَقَةً ، وَرَوَى فِيمَا بَيْنَهَا أَخْبَاراً كَأَنَّهَا مِنْ أَحَادِيثِ الْحُكْمِ .

وَمِنْ شِعْرِ عَلِيّ بْنِ حَمْزَةَ يَرْثِي أَبَا مُسْلِمٍ مُحَمَّدَ ابْنَ بَحْرٍ :

وَقَالُوا أَلَا تَرْثِي ابْنَ بَحْرٍ مُحَمَّدًا
فَقُلْتُ لَهُمْ : رُدُّوا فُؤَادِيَ وَاسْمَعُوا
فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْقَوْلَ مَنْ طَارَ قَلْبُهُ
جَرِيحًا طَرِيحًا بِالْمَصَائِبِ يُقْرَعُ
وَمَنْ بَانَ عَنْهُ (١) إِلْفُهُ وَخَلِيلُهُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى الْبَعْثِ مَرْجِعُ
وَمَنْ كَانَ أَوْفَى الْأَوْفِيَاءِ لِمُخْلِصٍ
وَمَنْ حِيزَ فِي سِرْبَالِهِ الْفَضْلُ أَجْمَعُ
سَجَايَا كَمَاءِ الْمُزْنِ (٢) شِيبَ بِهِ الْجَنَى
جَنَى الشَّهْدِ فِي صَفْوِ الْمُدَامِ يُشَعْشَعُ
وَغَرْبُ ذَكَاءٍ وَاقِدٍ مِثْلُ جَمْرَةٍ
وَطَبْعٌ بِهِ الْعَضْبُ الْمُهَنَّدُ يُطْبَعُ

---

(١) بان عنه : انقطع وفارقه ، والالف : الأليف والصديق
(٢) المزن : السحاب ، وشيب : مزج

وَمَنْ كَانَ مِنْ بَيْتِ الْكِتَابَةِ فِي الذُّرَى
وَذَا مَنْطِقٍ فِي الْحَفْلِ لَا يَتَتَعْتَعُ

وَلَهُ وَكَتَبَهُ إِلَى أَبِي نَجِيحٍ أَخِي أَبِي سَعْدٍ الشَّاعِرِ :

قَدْ عَزَمْنَا عَلَى الصَّبُوحِ (١) فَبَادِرْ
قَبْلَ أَنْ تُضْحِيَ السَّمَاءُ الْمُخِيلَهْ (٢)

فَلِذَا الدَّجْنِ (٣) يَا خَلِيلِي ذِمَامٌ
لَمْ أَزَلْ مُذْ عَقَلْتُ أَمْرِي خَلِيلَهْ

وَهُوَ يَوْمٌ أَغَرُّ أَبْلَجُ يَهْمِي (٤)
بِحَيًا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ سُيُولَهْ

وَدَعَانِي إِلَيْهِ (٥) أَدْهَمُ دَاجٍ
قَدْ رَحِمْنَا بُكَاءَهُ وَعَوِيلَهْ

شِبْهُ لَيْلٍ مَتَى أَسْتَضِيفَ بِلَيْلٍ
لَمْ يُسَكِّنْ إِلَى الصَّبَاحِ صَهِيلَهْ (٦)

---

(١) الصبوح : خمر الصباح (٢) المخيلة : السحابة التي تخالها ماطرة

(٣) الدجن : الغيم (٤) يهمي الماء أو الدمع : يسيل ، والحيا : المطر

(٥) الهاء في إليه للصبوح ووصف السحاب بالدهمة والظلمة والبكاء يراد به المطر والعويل المراد به الرعد (٦) يريد استمر رعده فالمراد بالصهيل : الرعد

مُطْفِحٌ (١) مُهْمِرٌ بَلُوعٌ بِهِ يُسْـ
ـتَلَبُ الْمُدْقِعُ الضَّنِينُ صَلِيلَهْ (٢)
رَاكِبٌ نَازِلٌ يُغَطْمِطُ (٣) وَأْبٌ
قَدْ سَئِمْنَا رُكُوبَهُ وَنُزُولَهْ
يَطْرُدُ الْجَذْبَ كُلَّمَا جَاشَ أَعْطَى
سَائِلِيهِ بُضَيْعَةً وَنَشِيلَهْ (٤)
وَلَدَيْنَا مِنَ الْمُعَسَّلِ شَيْءٌ
يَفْثَأُ (٥) الدَّهْرَ مِنْ فُؤَادِي غَلِيلَهْ
فَتَفَضَّلْ بِمَا سَأَلْتُ فَقِدْمًا
بُؤْتَ لِلْخِلِّ بِالْأَيَادِي الْجَلِيلَهْ
وَلَكَ الْحُكْمُ أَنْ تَحَكَّمَ فِي الشُّرْ
بِ فَلَا تُخْفِ عَنْ قُلُوبٍ عَلِيلَهْ
وَفُتُوٍّ (٦) كَأَنَّهُمْ قُضُبُ الْهِنْـ ـدِ لَهُمْ أَلْسُنٌ سِلَاطٌ طَوِيلَهْ

---

(١) من أطفح الاناء : ملأه ، ومهمر : منسكب (٢) الصليل : الذهب على سبيل التجوز إذا جعل الصليل دليلا على الذهب (٣) أى راكب الجبال نازل فى السهول : من غطمط السيل : صات حين انحداره ، والوأب : الضخم (٤) البضيعة تصغير بضعة : القطعة من اللحم وكذلك النشيلة ، والمراد أنه يكون منه ما نصل به إلى البضعة والنشيلة . (٥) يفثأ : يمنع ويكف (٦) فتو جمع فتى

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَلِعَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ هٰذَا مُفَاوَضَاتٌ طِوَالٌ وَجَوَابَاتٌ لِجَمَاعَةٍ مِنْ شُعَرَاءِ أَصْبَهَانَ ، مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ طَبَاطَبَا الْعَلَوِيُّ وَغَيْرُهُ ، لَمْ أَذْكُرْ مِنْهَا شَيْئًا لِطُولِهَا وَلِقِلَّةِ فَائِدَتِهَا عِنْدِى ، فَشِعْرُهُ عَلَى هٰذَا النَّمَطِ لَا طَائِلَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ أَهْلِ أَصْبَهَانَ جَلِيلٌ نَبِيلٌ .

﴿ ٢٦ — عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ اللُّغَوِيُّ * ﴾

على بن حمزة البصرى

يُكْنَى أَبَا النَّعِيمِ (١) . كَانَ أَحَدَ أَعْيَانِ أَهْلِ اللُّغَةِ الْفُضَلَاءِ الْمُتَحَقِّقِينَ الْعَارِفِينَ بِصَحِيحِهَا مِنْ سَقِيمِهَا ، وَلَهُ رُدُودٌ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ اللُّغَةِ كَابْنِ دُرَيْدٍ وَالْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَغَيْرِهِمْ . وَلَمَّا وَرَدَ الْمُتَنَبِّي إِلَى بَغْدَادَ كَانَ بِهَا ، وَفِي دَارِهِ نَزَلَ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْفَقِيهُ الصِّقِلِّيُّ يَعْرِفُ

(١) فى الأصل : القاسم

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ٢٢٧ بترجمة لم تزد على معجم الأدباء شيئا سوى تاريخ وفاته ، فقد أورد صاحب البغية أنه مات فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

بِابْنِ الخَزَّازِ (١) فِي تَارِيخِ صِقِلِّيَّةَ مِنْ تَصْنِيفِهِ: وَفِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ اللُّغَوِيُّ البَصْرِيُّ رَاوِيَةُ (٢) المُتَنَبِّيءِ بِصِقِلِّيَةَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ القَاضِي إِبْرَاهِيمُ ابْنُ مَالِكٍ قَاضِي صِقِلِّيَّةَ وَكَبَّرَ خَمْساً فِي الجَامِعِ. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي زِيَادٍ الكِلَابِيِّ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ فِي نَوَادِرِهِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيِّ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ القَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فِي المُصَنَّفِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ السِّكِّيتِ فِي إِصْلَاحِ المَنْطِقِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ وَلَّادٍ فِي المَقْصُورِ وَالمَمْدُودِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الجَاحِظِ فِي الحَيَوَانِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي الفَصِيحِ. وَرَأَيْتُ هَذِهِ كُلَّهَا بِمِصْرَ (٣)

« تَرْجَمَةٌ ثَانِيَةٌ »

عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ البَصْرِيُّ اللُّغَوِيُّ أَحَدُ الأَعْلَامِ الأَئِمَّةِ

(١) في الأصل: الحواز (٢) كانت في الأصل « رواية » ولا معنى لهذا فأصلحت إلى ما ترى (٣) وله كتاب الآباء والأمهات وهو كتاب جليل

فِی الْأَدَبِ، وَلَهُ تصانیفُ وَرُدُودٌ عَلَى أَهْلِ الْأَدَبِ وُفِّقَ فِيهَا. وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ جِنِّيّ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الْمُتَنَبِّي وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ الْمُتَنَبِّيءَ لَمَّا وَرَدَ بَغْدَادَ نَزَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ ضَيْفَهُ إِلَى أَنْ رَحَلَ عَنْهَا. حَدَّثَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْحَمِيدِيُّ فِي كِتَابِ جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ فِي تَرْجَمَةِ ثَابِتِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ ثَابِتِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ مُضِيفُ الْمُتَنَبِّيءِ قَالَ: — وَعِنْدَهُ نَزَلَ الْمُتَنَبِّيءُ بِبَغْدَادَ — إِنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أَوَّلُهَا:

هَذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا [1]

قَالَهَا فِي مُحَمَّدِ بْنِ رُزَيْقٍ النَّاظِرِ فِي زَوَامِيلِ [2] ابْنِ الزَّيَّاتِ صَاحِبِ طَرَسُوسَ، وَأَنَّهُ وَصَلَهُ عَلَيْهَا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ شِعْرَهُ حَسَنٌ فَقَالَ: مَا أَدْرِي أَحَسَنٌ هُوَ أَمْ قَبِيحٌ؟

---

(١) الرسيس: أوائل الحمى (٢) جمع زاملة: ما يحمل عليه من الابل والعير

وَلَكِنْ أَزِيدُهُ لِقَوْلِكَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ، فَكَانَتْ صِلَتُهُ عَلَيْهَا عِشْرِينَ دِرْهَماً .

﴿ ٢٧ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْأَدِيبُ * ﴾

علي بن حمزة الأديب

أَبُو الْحَسَنِ مُصَنِّفُ الرِّسَالَةِ الْحِمَارِيَّةِ (١) ، قَدِمَ دِمَشْقَ وَمَدَحَ بِهَا أَبَا الْفَتْحِ صَالِحَ بْنَ أَسَدٍ الْكَاتِبَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . رَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الصُّورِيُّ ، وَمَاتَ بِأَطْرَابُلُسَ ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ هَكَذَا .

﴿ ٢٨ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ * ﴾

علي بن حمزة البغدادي

ابْنِ عَلِيٍّ الرَّازِيُّ الْأَصْلِ الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ وَالدَّارِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ بَقْشَلَانَ مَاتَ بِمِصْرَ ، أَخْبَرَنِي الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحِبُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ النَّجَّارِ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حَمْزَةَ بْنِ طَلْحَةَ مَاتَ فِي غُرَّةِ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ

---

(١) بحثت عن هذه الرسالة في كشف الظنون في باب الرسالات فلم أجد لها ذكرا ، والذي بعثني على البحث : غرابة التأليف « عبد الخالق »

(*) راجع تاريخ دمشق ص ٢٤١ مجلد ١٢

(*) راجع تاريخ دمشق ص ١٢ م ١٢

خَمسَ عشْرَةَ وَخَمْسِمائةٍ ، وَيُكْنَى أبا الْحُسينِ ، وَتلقب بِعلمِ الدِّينِ ، وَلِيَ حجبَةَ الْبَابِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَضِيءِ بِاللهِ ثُمَّ نِيابَةَ الْمَقامِ بِبَغْدَادَ ، فَسافَرَ إِلَى الشَّامِ وَتَنَقَّلَ إِلَى أَنْ حصَلَ بِمِصْرَ فَماتَ بِهَا ، وَعلَمُ الدِّينِ هٰذا : هُوَ صاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ الْغايَةِ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ خُصُوصاً قَلَمَ الْمَصاحِفِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكْتُبْهُ أَحَدٌ مِثْلَهُ فِيمَنْ تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ ، وَلِذَلِكَ ذَكَرْنَاهُ فِي هٰذا الْكِتَابِ ، وَلَمَّا وَلِيَ حجبَةَ الْبَابِ كانَ يَتَقَعَّرُ فِي كَلَامِهِ وَيَسْتَعْمِلُ السَّجْعَ وَحُوشِيَّ اللُّغَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ جَماعَةُ أَهْلِ بَغْدَادَ إِلَّا أَنِّي كَتَبْتُهُ مِنْ لَفْظِ الصَّدْرِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَرَوِيِّ الشَّاعِرِ قَالَ :

لَمَّا وَلِيَ عَلَمُ الدِّينِ حجبَةَ بَابِ النُّوبِيِّ حظَرَ عَلَى الْعامَّةِ سَماعَ الْمَلَاهِي وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَارْتِكابَ الفَوَاحِشِ ، وَتَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ تَشَدُّداً عظِيماً ، وَأَرَادَ بَعْضُ الْعامَّةِ الْمُثْرِينَ خِتانَ وَلَدٍ لَهُ فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهِ بِمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ فِي أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ إِحْضارِ بَعْضِ الْمَلَاهِي لِذَلِكَ ، فَأَذِنَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ : جِيئُونِي

بِهِ أَشْرِطْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : قَدْ أُذِنَ لَكَ فِي خِتَانِ وَلَدِكَ عَلَى أَلَّا يَكُونَ عِنْدَكَ مِزْهَرٌ(١) وَلَا مِزْمَرٌ(٢) وَلَا بَرْبَطٌ(٣) وَلَا دُفٌّ(٤) وَلَا طُنْبُورٌ(٥) وَلَا عُودٌ وَلَا مَحْظُورٌ وَلَا الشَّيْءُ الْمُلَقَّبُ بِالشُّنْكِ(٦)، وَلَا مَنْ يَجُولُ الْغِنَاءُ لَهُ بِبَالٍ وَلَا يَخْطُرُ فِي خَيَالٍ . فَقَالَ لَهُ الْعَامِّيُّ : فَيَأْذَنُ لِي مَوْلَانَا أَنْ أُحْضِرَ وُرَيْدَةَ الْمُخَنَّثَ يَلْطِمُ عِنْدِي دَوْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً . قَالَ : فَغَضِبَ ابْنُ طَلْحَةَ وَقَالَ لَهُ : كَأَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ تَشْرَئِبُّ(٧) نُفُوسُهُمْ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ ، أَيُّهَا الْعَوَامُّ الْجَهَلَةُ ، وَالْوُضَعَاءُ السَّفَلَةُ ، يَا أَهَالِي الْجَهْلِ وَالْغَوَايَةِ . وَيَا أَصْحَابَ الضَّلَالَةِ وَالْعَمَايَةِ : أَمَا فِيكُمْ مَنْ لَهُ عَقْلٌ يَرُدُّهُ ؟ وَلَا دِينٌ يَصُدُّهُ ، فَيَنْبِذَ الْآثَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَيَسْعَى إِلَى الْخَيْرِ بِانْشِرَاحِ صَدْرِهِ ، تَتَهَافَتُونَ عَلَى الْفَوَاحِشِ وَالْمَآثِمِ ،

(١) المزهر : العود وهو آلة من آلات الطرب (٢) المزمر : آلة من آلات الطرب أيضا وهى القصبة التى يزمر فيها (٣) البربط : كالعود (٤) كانت فى الأصل « دق » بالقاف (٥) الطنبور : آلة من آلات الطرب لها عنق طويل وأوتارها من نحاس (٦) آلة من آلات الطرب أيضا وأصل الشين جيم فارسية كما تقول فى جلبي : « شلبي » (٧) تشرئب : تتطلع وتنظر

وَلا تأخُذُكُمْ فِي المَعْصِيَةِ لَوْمَةُ لائِمٍ ، بَدَّلَنِي اللهُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَكَفَانِي شَرَّكُمْ وَخَيْرَكُمْ . فَقَالَ الرَّجُلُ : « اللهُ أَكْبَرُ » يُرِيدُ تَكْبِيرَةَ الصَّلاةِ . فَقَالَ ابْنُ طَلْحَةَ : وَهذَا أَيْضاً مِنْ جَهْلِكَ وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِكَ وَعَقْلِكَ ، ارْجِعْ إِلَى اللهِ بِقَلْبِكَ ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

وَكَانَ أَبُو حَمْزَةَ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ المُلَقَّبُ بِكَمَالِ الدِّينِ وَيُكْنَى أَبَا الفُتُوحِ ، مِنَ الأَعْيَانِ الأَمَاثِلِ ، وَلِيَ حِجْبَةَ البَابِ لِلْمُسْتَرْشِدِ ، وَوَكَّلَهُ وَكَالَةً مُطْلَقَةً ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ المُقْتَفِي لِأَمْرِ اللهِ وَلَّاهُ صَدْرِيَّةَ المَخْزَنِ ، وَأَكْثَرَ الحَجَّ وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ الَّذِي عَمَرَ المَدْرَسَةَ الَّتِي بِبَابِ العَامَّةِ لِأَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، تُعْرَفُ إِلَى الآنِ بِالكَمَالِيَّةِ ، وَوَقَفَ عَلَى المُتَفَقِّهِينَ بِهَا ثُلُثَ مِلْكِهِ ، وَمَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِالحَرْبِيَّةِ .

﴿ ٢٩ – عَلِيُّ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ * ﴾

يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُنَقِّي أَبُو الْحَسَنِ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ، كَانَ إِمَامًا فَاضِلًا تَأَدَّبَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ عَصْرِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَمَاتَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ يَجْلِسُ بِالْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَوْصِلِ، وَصَنَّفَ مُقَدِّمَةً فِي النَّحْوِ سَمَّاهَا الْمَعُونَةَ، وَكَانَ زَاهِدًا وَرِعًا مِقْدَامًا ذَا سَوْرَةٍ وَغَضَبٍ. أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَمِيسٍ الْمَغْرِبِيُّ الْوَكِيلُ بِبَابِ الْقَاضِي بِحَلَبَ، وَهُوَ مَوْصِلِيُّ الْمَوْلِدِ – مَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ – قَالَ: أَنْشَدَنِي ابْنُ الْمُنَقِّي النَّحْوِيُّ الْمَوْصِلِيُّ لِنَفْسِهِ وَدَخَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ فَقَالَ لَهُ: مِنْ عِنْدِ عَلَّامَةِ الدُّنْيَا، يَعْنِي سَعِيدَ بْنَ الدَّهَّانِ. فَقَالَ ارْتِجَالًا:

علي بن خليفة النحوي

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٣٣٧ بترجمة لم تختلف عن معجم الأدباء إلا فى تاريخ وفاته فقد قال: إنه مات فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وَقَالُوا: الْأَعْوَرُ الدَّهَّانُ حَبْرٌ
يَفُوقُ النَّاسَ فِى أَدَبٍ وَكَيْسِ
فَقُلْتُ: بُحَيْسُ خَيْرٌ مِنْهُ عِلْماً
وَإِنَّ الْكَلْبَ خَيْرٌ مِنْ بُحَيْسِ

وَأَنْشَدَنِى قَالَ: أَنْشَدَنِى ابْنُ الْمُنَقِّ لِنَفْسِهِ وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ مَلِكُ النُّحَاةِ حَلَاوَةً بَعْدَ كَلَامٍ جَرَى بَيْنَهُمَا فِى مَجْلِسِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ الشَّهْرَزُورِىِّ:

عِنْدِىَ لِلشَّيْخِ مَلِيكِ النُّحَاةِ
رِيحُ شُنَاجٍ (١) سَكَنَتْ فِى خُصَاهْ
لَا عَسَلٌ عِنْدِى وَلَا سُكَّرٌ
فَلْيَعْذِرِ الشَّيْخُ وَيَأْكُلْ خَرَاهْ

وَأَنْشَدَنِى بَزَّانُ بْنُ سُنْقُرَ الْمَوْصِلِىُّ قَالَ: أَنْشَدَنِى شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ خَلِيفَةَ النَّحْوِىُّ الْأَدِيبُ. وَمَاتَ بِبَاشَزَّى مِنْ قُرَى الْبَقْعَاءِ فِى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ: أَنْشَدَنِى وَالِدِى عَلِىُّ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ الْمُنَقِّ

(١) الشناج: إسم مرض يجعل الأعصاب منكمشة

— رَحِمَهُ اللهُ — لِنفسِهِ وَقَدْ عتَبَ عليهِ جَمَالُ الدِّينِ الأَصفهانيُّ الوَزِيرُ فِي تَرْكِ التَّرَدُّدِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قصدَهُ بَعْدَ ذلكَ فمنعهُ البوَّابُ مِنْ غيرِ أَنْ يعْرِفَهُ :

إِنِّى أَتيتُكَ زَائِرًا وَمُسَلِّمًا
كَيْمَا أَقُومَ بِبَعْضِ حَقِّ الْوَاجِبِ
فإِذَا بِبَابِكَ حَاجِبٌ مُتَبَظْرِمٌ
فَعَمُودُ دَارِكَ فِي حِرِامِّ الْحَاجِبِ
وَلَئِنْ رَأَيْتُكَ رَاضِيًا بِفِعَالِهِ
فَجَمِيعُ ذَلِكَ فِي حِرِامِّ الصَّاحِبِ

وَأَنْشَدَنِى بَزَّانُ قَالَ : أَنْشَدَنِى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : أَنْشَدَنِى وَالِدِى لِنفسِهِ فِى بَعْضِ الشُّعَرَاءِ وَقَدْ هَجَاهُ :

هَجَوْتَ يَا ٱبْنَ اللِّئَامِ فَاسْتَمِعِ الْـ
ـهَجْوَ بِلَا خِيفَةٍ وَلَا مَلَلِ
فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا لَحَظُوا
تُنْخَسُ(١) مِنْهُمْ مَحَاجِرُ الْمُقَلِ

---

(١) من نخس الدابة : إذا غرز مؤخرها أو جنبها بعود ونحوه

﴿ ٣٠ — عَلِيُّ بْنُ دَبِيسٍ النَّحْوِيُّ الْمَوْصِلِيُّ * ﴾

علي بن دبيس الموصلي

أَبُو الْحُسَيْنِ، قَرَأَ النَّحْوَ عَلَى ابْنِ وَحْشِيٍّ صَاحِبِ ابْنِ جِنِّيٍّ، وَأَخَذَ عَنْهُ زَيْدُ بْنُ مَرْزَكَةَ الْمَوْصِلِيُّ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ.

وَلِعَلِيِّ بْنِ دَبِيسٍ أَشْعَارٌ حِسَانٌ مِنْهَا فِي وَصْفِ قَوَّادٍ:

يُسَهِّلُ كُلَّ مُمْتَنِعٍ شَدِيدٍ
وَيَأْتِي بِالْمُرَادِ عَلَى اقْتِصَادِ
فَلَوْ كَلَّفْتَهُ تَحْصِيلَ طَيْفِ الْـ
ـخَيَالِ ضُحًى لَزَارَ بِلَا رُقَادِ

﴿ ٣١ — عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْقَاشَانِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن زيد القاشاني

أَحَدُ أَصْحَابِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ جِنِّيٍّ. وَجَدْتُ بِخَطِّهِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ٥٧٢ بما يأتى قال:

هو الشيخ أبو الحسن قرأ على ابن وحشى وابن وحشى قرأ على أبى الفتح ابن جنى تصدر ببلده للافادة فى هذا الشأن وله شعر منه:

ما ساعفتك بطيفها هند إلا لكى يتضعف الوجد

ومنها فى مدح سعد الدولة، أخى شرف الدولة مسلم بن قريش

والوجد ينمى فى الفؤاد كما ينمى لسعد الدولة السعد

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

ما كتبه في سنة إحدى عشرة وأربعمائة . وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقد ، سلك فيه طريقة شيخه أبي الفتح .

٣٢ — عليُّ بنُ زيدٍ *

علي بن زيد البيهقي

أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي . مات سنة خمس وستين وخمسمائة ، قال هو في كتاب مشارب التجارب : أنا أبو الحسن عليُّ بنُ الإمام أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك ، محمد بن الحاكم أبي عليّ الحسين بن أبي سليمان الإمام فندق بن الإمام أيوب بن الحسن بن أحمد ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عمر بن الحسن بن عثمان ابن أيوب بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن ثابت بن ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر ابن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس ، ورفع نسبه إلى آدم وذلك يسير كما ذكرناه في عدة مواضع من كتبنا .

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٨

قَالَ: وَمَوْلِدِى يَوْمَ السَّبْتِ سَابِعَ عِشْرِينَ[1] شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ، فِى قَصَبَةِ السَّابْزَوَارَ مِنْ نَاحِيَةِ بَيْهَقَ وَهِىَ بَلْدَةٌ بَنَاهَا سَاسَانُ بْنُ سَاسَانَ بْنِ بَابَكَ ابْنِ سَاسَانَ فَأَسْلَمَنِى أَبِى بِهَا إِلَى الْكُتَّابِ، ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى نَاحِيَةِ شِشْتِمْذَ مِنْ قُرَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَلِوَالِدِى بِهَا ضِيَاعٌ، حَفِظْتُ فِى عَهْدِ الصِّبَا كِتَابَ الْهَادِى لِلشَّادِى تَصْنِيفُ الْمَيْدَانِىِّ، وَكِتَابَ السَّامِى فِى الْأَسَامِى لَهُ، وَكِتَابَ الْمَصَادِرِ لِلْقَاضِى الزَّوْزَنِىِّ، وَكِتَابَ غَرِيبِ الْقُرْآنِ لِلْعَزِيزِىِّ، وَكِتَابَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ، وَكِتَابَ الْمُنْتَحَلِ لِلْمِيكَالِىِّ، وَأَشْعَارَ الْمُتَنَبِّى، وَالْحَمَاسَةَ، وَالسَّبْعِيَّاتِ، وَكِتَابَ التَّلْخِيصِ فِى النَّحْوِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِظْتُ كِتَابَ الْمُجْمَلِ فِى اللُّغَةِ، وَحَضَرْتُ فِى شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ كُتَّابَ أَبِى جَعْفَرٍ الْمُقْرِىءِ إِمَامِ الْجَامِعِ الْقَدِيمِ بِنَيْسَابُورَ مُصَنِّفِ كِتَابِ يَنَابِيعِ اللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَحَفِظْتُ فِى كُتَّابِهِ

(١) لم يركب العرب العدد من البضع والعقد وفى مثل هذا يقولون السابع والعشرين وقد تكلم النحاة فى ذلك ونبهوا عليه، على أنى أظنها سابع عشر «عبد الخالق»

كِتَابَ تَاجِ الْمَصَادِرِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ نَحْوَ ابْنِ فَضَالٍ ، وَفَصْلاً مِنْ كِتَابِ الْمُقْتَصِدِ، وَالْأَمْثَالِ لِأَبِي عُبَيْدٍ ، وَالْأَمْثَالِ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ ، ثُمَّ حَضَرْتُ دَرْسَ الْإِمَامِ صَدْرِ الْأَفَاضِلِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَيْدَانِيِّ فِي مُحَرَّمِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَصَحَّحْتُ عَلَيْهِ كِتَابَ السَّامِي فِي الْأَسَامِي مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَكِتَابَ الْمَصَادِرِ لِلْقَاضِي، وَكِتَابَ الْمُنْتَحَلِ ، وَكِتَابَ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِأَبِي عُبَيْدٍ ، وَكِتَابَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ وَمَجْمَعَ الْأَمْثَالِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَكِتَابَ صِحَاحِ اللُّغَةِ لِلْجَوْهَرِيِّ . وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى الْإِمَامِ إِبْرَاهِيمَ الْخَرَّازِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَقْتَبِسُ مِنْهُ أَنْوَارَ عُلُومِ الْكَلَامِ ، وَإِلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيِّ وَسَمِعْتُ مِنْهُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لِلْخَطَّابِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ مَاتَ وَالِدِي فِي سَلْخِ[1] جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَانْتَقَلْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ إِلَى مَرْوَ ، فَقَرَأْتُ عَلَى تَاجِ الْقُضَاةِ أَبِي سَعْدٍ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ

(١) سلخ الشهر : آخره

صاعِدٍ ، وكانَ مَلَكًا فِي صُورَةِ إِنسانٍ ، وَعلَّقتُ مِنْ لفظِهِ كِتابَ الزَّكاةِ ، والْمَسائِلَ الخِلافيةِ ، ثُمَّ سائرَ المَسائِلِ على غيرِ التَّرتيبِ ، وخُضتُ فِي المُناظرةِ والمُجادلةِ سَنةً جَرِدَةً (١) حَتَّى رَضِيتُ عَنْ نفسِي فِيهِ وَرَضِيَ عَنِّي أُستاذِي ، وَكُنتُ أَعقِدُ مجلِسَ الوَعظِ فِي تِلكَ المَدرسةِ وَفِي الجامِعِ ، ثُمَّ انْصَرَفتُ عَنْ مَروَ فِي رَبيعٍ الأَوَّلِ سَنةَ إِحدَى وَعِشرِينَ وَخَمسِمائةٍ ، وَاشتَغَلتُ بِمَروَ بِتَزويجٍ صَدَّنِي عَنِ التَّحصيلِ صَدًّا ، وَعُدتُ إِلَى نَيسابُورَ ثُمَّ عُدتُ إِلَى مَسقَطِ الرَّأسِ وَزِيارةِ الوالِدةِ بِبَيهَقَ ، وَأَقَمتُ بِها ثَلاثةَ أَشهُرٍ وَذَلِكَ فِي سَنةِ إِحدَى وَعِشرِينَ ، وَرَجَعتُ إِلَى نَيسابُورَ ثُمَّ رَجَعتُ إِلَى بَيهَقَ ، وَاتَّفَقَتْ بَينِي وَبَينَ الأَجلِّ شِهابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابنِ مَسعُودٍ المُختارِ وَالِي الرَّيِّ ثُمَّ مُشرِفِ المَملَكةِ مُصاهَرَةٌ ، وَصِرتُ مَشدُودًا بِوَثاقِ الأَهلِ وَالأَولادِ سِنِينَ ، وَفَوَّضَ إِلَيَّ قَضاءَ بَيهَقَ فِي جُمادَى الأُولَى سَنةَ سِتٍّ وَعِشرِينَ وَخَمسِمائةٍ ، فَبَخِلتُ بِزَمانِي وَعُمُرِي عَلَى إِنفاقِهِ فِي مِثلِ هَذِهِ

---

(١) يقال سنة جردة : خالية من النبات ، فكأنه يقول : لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة « عبد الخالق »

الْأُمُورِ الَّتِي قَصَارَاهَا مَاقَالَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي : « أَصْبَحْتُ وَنِصْفُ النَّاسِ عَلَيَّ غَضْبَانُ » ، فَضِقْتُ ذَرْعًا وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الِانْتِقَالِ حَتَّى يَتَقَلَّصَ عَنِّي ظِلُّ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، فَقَصَدْتُ كُورَةَ الرَّيِّ لَيْلَةَ الْعِيدِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَالْوَالِي بِهَا شِهَابُ الدِّينِ صِهْرِي ، فَتَلَقَّانِي أَكَابِرُهَا وَقُضَاتُهَا وَسَائِرُ الْأَجِلَّاءِ ، وَأَقَمْتُ بِهَا إِلَى السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكُنْتُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ أَنْظُرُ فِي الْحِسَابِ وَالْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ وَطَرَفًا مِنَ الْأَحْكَامِ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى خُرَاسَانَ أَتْمَمْتُ تِلْكَ الصِّنَاعَةَ عَلَى الْحَكِيمِ أُسْتَاذِ خُرَاسَانَ عُثْمَانَ بْنِ جَاذُوكَارَ ، وَحَصَّلْتُ كُتُبًا مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَصِرْتُ فِي تِلْكَ الصِّنَاعَةِ مُشَارًا إِلَيَّ . وَانْتَقَلْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي غُرَّةِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ عِلْمُ الْحِكْمَةِ عِنْدِي غَيْرَ نَضِيجٍ ، وَعُدْتُ إِلَى بَيْهَقَ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى مِنْ نُقْصَانِ الصِّنَاعَةِ ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ قَائِلًا يَقُولُ : عَلَيْكَ بِقُطْبِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيِّ الْمُلَقَّبِ بِالطَّبَسِيِّ النُّصَيْرِيِّ ، فَمَضَيْتُ إِلَى

سَرْخَسَ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ وَأَنْفَقْتُ مَاعِنْدِي مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ ، وَعَالَجْتُ جُرُوحَ الْحِرْصِ بِتِلْكَ الْمَرَاهِمِ ، وَعُدْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ بِنَيْسَابُورَ حَتَّى أَصَابَهُ الْفَالِجُ وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، فَعُدْتُ إِلَى بَيْهَقَ فِي شَعْبَانِهَا فَأَزْعَجَنِي[1] عَنْهَا حَسَدُ الْأَقَارِبِ ، نَخَرَجْتُ مِنْهَا خَائِفًا أَتَرَقَّبُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَأَكْرَمَنِي أَكَابِرُهَا ، فَكُنْتُ أَعْقِدُ الْمَجْلِسَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ نَيْسَابُورَ الْقَدِيمِ ، وَيَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ فِي مَسْجِدِ الْمُرَبَّعِ ، وَيَوْمِ الِاثْنَيْنِ فِي مَسْجِدِ الْحَاجِّ ، وَتَفِدُ عَلَيَّ وُفُودُ إِكْرَامِ الْوَزِيرِ مَلِكِ الْوُزَرَاءِ طَاهِرِ بْنِ فَخْرِ الْمُلْكِ ، وَإِكْرَامِ أَكَابِرِ الْحَضْرَةِ ، فَأَلْقَيْتُ الْعَصَا بِنَيْسَابُورَ وَأَقَمْتُ بِهَا إِلَى غُرَّةِ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ ارْتَحَلْتُ عَنْهَا لِزِيَارَةِ وَالِدَتِي ، وَمَاتَ وَلَدِي أَحْمَدُ وَوَالِدَتِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَتْ حَافِظَةً لِلْقُرْآنِ عَالِمَةً بِوُجُوهِ تَفَاسِيرِهِ .

---

(١) أي جعلني لا أقيم فيها

وَهَأَنا أَذْكُرُ تصانيفي فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ : كِتَابُ أَسئِلَةِ القُرْآنِ مَعَ الأَجْوِبَةِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ إِعْجازِ القُرْآنِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الإِفادَةِ فِي كَلِمَةِ الشَّهادَةِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الفَرَائِضِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الفَرَائِضِ بِالْجَدْوَلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أُصُولِ الْفِقْهِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ قَرائِنِ آياتِ الْقُرْآنِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مَعارِجِ نَهْجِ الْبَلاغَةِ وَهُوَ شَرْحُ الْكِتَابِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ نَهْجِ الرَّشَادِ فِي الْأُصُولِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ كَنْزِ الْحُجَجِ فِي الْأُصُولِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ جَلاء صَدَإِ الشَّكِّ فِي الْأُصُولِ ، كِتَابُ إِيضاحِ الْبَراهِينِ فِي الْأُصُولِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الإِفادَةِ فِي إِثْباتِ الْحَشْرِ وَالْإِعادَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ تُحْفَةِ السَّادَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ التَّحْرِيرِ فِي التَّذْكِيرِ مُجَلَّدانِ ، كِتَابُ الْوَقِيعَةِ فِي مُنْكِرِ الشَّرِيعَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ تَنْبِيهِ الْعُلَماءِ عَلَى تَمْوِيهِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالْعُلَماءِ ، كِتَابُ أَزاهِيرِ الرِّيَاضِ الْمَرِيعَةِ وَتَفْسِيرِ أَلْفاظِ الْمُحاوَرَةِ وَالشَّرِيعَةِ مُجَلَّدٌ ،

كِتَابُ[1] أَشْعَارِهِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ دُرَرِ السَّحَابِ[2] وَدِرَرِ السَّحَابِ فِي الرَّسَائِلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مُلَحِ الْبَلَاغَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْبَلَاغَةِ الْخَفِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ طَرَائِقِ الْوَسَائِلِ إِلَى حَدَائِقِ الرَّسَائِلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الرَّسَائِلِ بِالْفَارِسِيِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ الْمُتَفَرِّقَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ عُقُودِ اللَّآلِيءِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ غُرَرِ الْأَمْثَالِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ الِانْتِصَارِ مِنَ الْأَشْرَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الِاعْتِبَارِ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ وِشَاحِ دُمْيَةِ الْقَصْرِ مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ ، كِتَابُ أَسْرَارِ الِاعْتِذَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ مُشْكِلَاتِ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ دُرَّةِ الْوِشَاحِ وَهُوَ تَتِمَّةُ كِتَابِ الْوِشَاحِ مُجَلَّدٌ خَفِيفٌ ، كِتَابُ الْعُرُوضِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَزْهَارِ أَشْجَارِ الْأَشْعَارِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ عُقُودِ الْمَضَاحِكِ بِالْفَارِسِيِّ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ نَصَائِحِ الْكُبَرَاءِ بِالْفَارِسِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ آدَابِ السَّفَرِ

---

(١) يلاحظ أن الذى يحدث هو نفس البيهق فلم لم يقل أشعارى أو أشعار ؟ ومثل هذا قوله بعد : كتاب رسائله «عبد الخالق»

(٢) السخاب : بالخاء المعجمة : قلادة من القرنفل ونحوه ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ مَجَامِعِ الْأَمْثَالِ وَبَدَائِعِ الْأَقْوَالِ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ مَشَارِبِ التَّجَارِبِ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ ذَخَائِرِ الْحِكَمِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُوجَزِ الْمُعْجِزِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَسْرَارِ الْحِكَمِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ عَرَائِسِ النَّفَائِسِ مُجَلَّدَةٌ ، كِتَابُ أَطْعِمَةِ الْمَرْضَى مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْمُعَالَجَاتِ الِاعْتِبَارِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ تَتِمَّةِ صِوَانِ الْحِكْمَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ السُّمُومِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابٌ فِي الْحِسَابِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ خُلَاصَةِ الزِّيجَةِ[1] مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَسَامِي الْأَدْوِيَةِ وَخَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا مُجَلَّدٌ وَهُوَ مُعَنْوَنٌ بِتَفَاسِيرِ الْعَقَاقِيرِ مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ ، كِتَابُ جَوَامِعِ الْأَحْكَامِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ أَمْثِلَةِ الْأَعْمَالِ النُّجُومِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مُؤَامَرَاتِ الْأَعْمَالِ النُّجُومِيَّةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ غُرَرِ الْأَقْيِسَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ ذَاتِ الْحَلْقِ وَالْكُرَةِ وَالْأَصْطَرْلَابِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رَبِيعِ الْعَارِفِينَ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رَيَاحِينِ الْعُقُولِ

(١) الزيجة : فى علم الهيئة : جدول يستدل به على حركة السيارات « الكواكب »

مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْإِرَاحَةِ عَنْ شَدَائِدِ الْمِسَاحَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ حِصَصِ الْأَصْفِيَاءِ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْبُلَغَاءِ بِالْفَارِسِيَّةِ مُجَلَّدَانِ ، كِتَابُ الْمُشْتَهَرِ فِي نَقْضِ الْمُعْتَبَرِ الَّذِي صَنَّفَهُ الْحَكِيمُ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ بَسَاتِينِ الْأُنْسِ وَدَسَاتِينِ الْحَدْسِ فِي بَرَاهِينِ النَّفْسِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ مَنَاهِجِ الدَّرَجَاتِ فِي شَرْحِ كِتَابِ النَّجَاةِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ الْأَمَانَاتِ فِي شَرْحِ الْإِشَارَاتِ ، كِتَابُ رُقْيَاتِ[1] التَّشْبِيهَاتِ عَلَى خَفَايَا الْمُخْتَلِطَاتِ بِالْجَدَاوِلِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ رِسَالَةِ الطَّيْرِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ رِسَالَةِ الْعَطَّارَةِ فِي مَدْحِ بَنِي الزُّنَّارَةِ ، كِتَابُ تَعْلِيقَاتِ فُصُولِ بُقْرَاطَ ، كِتَابُ شَرْحِ شِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ وَأَبِي تَمَّامٍ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ شِهَابِ الْأَخْبَارِ مُجَلَّدٌ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ مَشَارِبِ

(١) في الأصل : قضايا

التَّجَارِبِ ، وَوَجَدْتُ لَهُ كِتَابَ تَارِيخِ بَيْهَقَ بِالْفَارِسِيَّةِ ، وَكِتَابَ لُبَابِ الْأَنْسَابِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَفْتُ بِنَيْسَابُورَ عِنْدَ أَوَّلِ وُرُودِي إِلَيْهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ عَلَى كِتَابِ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ فَقَالَ فِيهِ : إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ الْبَاخَرْزِيَّ فَرَغَ مِنْ تَصْنِيفِ كِتَابِ دُمْيَةِ الْقَصْرِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَإِنَّهُ هُوَ بَدَأَ بِتَصْنِيفِ الْوِشَاحِ فِي غُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَفَرَغَ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ .

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ أَشْعَاراً مِنْهَا فِي مُخْلِصِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ فِي دِيوَانِ السُّلْطَانِ سِنْجَرَ قَالَ : وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الطُّغْرَائِيِّ :

كَرِيمٌ عَلَا أَوْجَ النُّجُومِ عُلَاهُ
وَأَيْقَظَ نُوَّامَ الْمَدِيحِ نَدَاهُ

سَرَى وَاُهتَدَى طَبْعِي بِنَجْمِ كَمَالِهِ
وَأَحْمَدَ فِي وَقتِ الصَّبَاحِ سُرَاهُ (١)

لَهُ رَوْضَةٌ أَبْدَتْ مِنَ الْفَضْلِ نَرْجِساً
وَغُصْناً مِنَ الإِقْبَالِ طَابَ جَنَاهُ

أَعَادَ رِسَاغَ (٢) الْقَلْبِ فِي حَبْلِ وُدِّهِ
وَغَادَرَ قَلْبِي فِي صِرَاعِ هَوَاهُ

يُفَرِّقُ أَشْجَانَ الأَفَاضِلِ يُمْنُهُ (٣)
وَيَجْمَعُ كُلَّ الصَّيْدِ جَوْفُ فَرَاهُ

لَقَدْ زُرْتُ أَشْرَافَ الزَّمَانِ وَإِنَّمَا
أَبَى الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ أَزُورَ فَنَاهُ

(١) في البيت إشارة إلى المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » (٢) في طبعة الكتاب الأولى : أعاد رضاع القلب في حل ورده ، وقال الناشر في ذيل الطبعة الثانية : لعل البيت أعاد رصاغ القلب في رحل وده ولم يبين لهذا الاصلاح من سبب ، والرصاغ والرساغ : الحبل يشد به الشيء ، ورأيي أن البيت كما أصلحته ، هذا — وصراع إما مصدر صارع بمعنى أن القلب يعاني هواه ، أو أنه جمع صريع بمعنى أن عمله جعل القلب من صرعى هواه (٣) في الأصل يمنة وأصلحتها . يريد أنه لايترك فاضلا إلا رفه عليه حياته ، وضرب له المثل مع تعديل في اللفظ « وهو كل الصيد في جوف الفرا » والفرا : حمار الوحش ، اصطاد زيد أرنبا ، وعمرو غزالا ، ومحمد حمار وحش ، وكان هذا أوفر ما اصطيد فضرب المثل « عبد الخالق »

وَذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْخَرِيدَةِ وَوَصَفَهُ بِالرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ وَقَالَ : حَدَّثَنِي وَالِدِي أَنَّهُ لَمَّا مَضَى إِلَى الرَّيِّ عَقِيبَ النَّكْبَةِ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَشَرَفُ الدِّينِ الْبَيْهَقِيُّ قَدْ قَصَدَهُ فِي مَرْكَبِهِ وَهُوَ حِينَئِذٍ وَالِي الرَّيِّ وَنَقَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَتَكَفَّلَ بِتَسْدِيدِ خَلَلِهِ ، وَكَانَ حِينَئِذٍ يَتَرَشَّحُ لِوَزَارَةِ السُّلْطَانِ وَهُوَ كَبِيرُ الشَّانِ ، وَمَا زَالَا بِالرَّيِّ مُقِيمَيْنِ مُتَوَانِسَيْنِ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مَحْتُومُ الْبَيْنِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

قَالَ : وَأَظُنُّهُ نُكِبَ فِي وَقْعَةِ السُّلْطَانِ سِنْجَرَ مَعَ الْكُفَّارِ الْخَطَائِيَّةِ ، وَكَانَ وَالِدِي يُثْنِي عَلَيْهِ أَبَدًا وَيَقُولُ : إِنَّهُ مَا نَظَرَ إِلَى نَظِيرِهِ ، وَلَا مَثَلَتْ لِعَيْنِهِ عَيْنُ مِثْلِهِ ، صَنَّفَ كِتَابَ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ ، ذَيَّلَهُ عَلَى كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيِّ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِخُرَاسَانَ ، وَأَوْرَدَ فِيهِ لِنَفْسِهِ :

تَرَاجَعَتِ الْأُمُورُ عَلَى قَفَاهَا كَمَا يَتَرَاجَعُ الْبَغْلُ الرَّمُوحُ
وَتَسْتَبِقُ الْحَوَادِثُ مُقْدِمَاتٍ كَمَا يَتَقَدَّمُ الْكَبْشُ النَّطُوحُ

وَقَوْلُهُ :

يُشِيرُ بِأَطْرَافٍ لِطَافٍ كَأَنَّهَا
أَنَابِيبُ مِسْكٍ أَوْ أَسَارِيعُ إِسْحِلِ (١)

وَتَرمِى بِلَحْظٍ فَاتِرِ الطَّرْفِ فَاتِنٍ
بِمِزْوَدِ سِحْرٍ بَابِلِيٍّ مُكَحِّلِ

يَنِمُّ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ تَجَاذُبٍ
نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ (٢)

وَلَهُ :

يَا خَالِقَ الْعَرْشِ حَمَلْتَ الْوَرَى لَمَّا طَغَى الْمَاءُ عَلَى جَارِيَهْ (٣)
وَعَبْدُكَ الْآنَ طَغَى مَاؤُهُ فِى صُلْبِهِ فَاحْمِلْ عَلَى جَارِيَهْ (٤)

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَكَذَا ذَكَرَ الْعِمَادُ فِى كِتَابِهِ ، وَإِذَا عَارَضْتَ (٥) قَوْلَهُ بِمَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِىُّ عَنْ نَفْسِهِ فِى كِتَابِهِ الَّذِى نَقَلْتُ لَفْظَهُ مِنْهُ مِنْ خَطِّهِ ، وَجَدْتَ فِيهِ اخْتِلَافًا فِى التَّارِيخِ وَغَيْرِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

(١) الاسحل : شجر يستاك به يكون معتدلا . والأساريع : خطوط وطرائق
(٢) شعر مجموع من هنا وهناك لا قيمة له ، وإذا ما شئت أن تحصل منه على شيء فرمن بين ثنايا الذهن إلى حيث لا يوجد (٣) أى سفينة : فهى صفة لموصوف محذوف يشير إلى قوله تعالى : « إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية »
(٤) جارية : امرأة مملوكة (٥) عارضت : قارنت

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيِّ الَّذِي أَوْرَدَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ فِي عَزِيزِ الدِّينِ أَبِي الْفُتُوحِ عَلِيِّ بْنِ فَضْلِ اللهِ الْمُسْتَوْفِي الطُّغْرَائِيِّ وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ :

شُمُوسِي فِي أُفْقِ الْحَيَاةِ هِلَالُ
وَأَمْنِي مِنْ صَرْفِ(١) الزَّمَانِ مُحَالُ
وَأَطْلُبُ وَالْمَطْلُوبُ عَزَّ وُجُودُهُ
وَأَرْجُو وَتَحْقِيقُ الرَّجَاءِ مُحَالُ
إِلَى كَمْ أُرَجِّي مِنْ زَمَانِي مَسَرَّةً
وَقَدْ شَابَ مِنْ رَأْسِ الزَّمَانِ قَذَالُ(٢)
وَبَالٌ عَلَى الطَّاوُوسِ أَلْوَانُ رِيشِهِ وَعِلْمُ الْفَتَى حَقًّا عَلَيْهِ وَبَالُ
وَلِلدَّهْرِ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ عَادَةٌ(٣)
وَلِلْجَهْلِ دَاءٌ فِي الطِّبَاعِ عُضَالُ
لَقَدْ سَادَ بِالْمَالِ الْمَصُونِ مَعَاشِرٌ
وَأَخْلَاقُهُمْ لِلْمُخْزِيَاتِ عِيَالُ(٤)

(١) صرف الزمان وصروفه : نوائبه وحوادثه (٢) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس (٣) صوغ البيت هكذا :

* وتفريق الأحبة عادة للدهر *

(٤) من عال يعول بمعنى تكفل

وَبَيْنَهُمْ ذُلُّ الْمَطَامِعِ عِزَّةٌ وَعِنْدَهُمْ كَسْبُ الْحَرَامِ حَلَالُ

وَلَهُ :

ضَجِيعِيَ فِي لَيْلِي جَوًى وَنَحِيبٌ[(١)]

وَإِلْفِي فِي نَوْمِي ضَنًى وَلُغُوبُ[(٢)]

دَجَا[(٣)] لَيْلُ آمَالِي وَأَبْطَأَ صُبْحُهُ

وَلِلْمُنْذِرَاتِ السُّودِ فِيهِ نَعِيبُ[(٤)]

وَتَلْسَعُنِي الْأَيَّامُ فَهِيَ أَرَاقِمٌ

وَتَخْدَعُنِي الْآمَالُ فَهِيَ كَذُوبُ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً

وَبَاعِي فِي ظِلِّ الْوِصَالِ رَحِيبُ ؟

خَلِيلِيَ لَا تَرْكَنْ إِلَى الدَّهْرِ آمِنًا

فَإِحْسَانُهُ بِالسَّيِّئَاتِ مَشُوبُ

وَكَمْ جَاهِلٍ قَدْ قَالَ لِي أَنْتَ نَاقِصٌ

فَهَيَّجَ لَيْثَ الْحِقْدِ وَهُوَ غَضُوبُ

---

(١) الضجيع : المضاجع ، الجوى : شدة الوجد من عشق أو حزن . النحيب : رفع الصوت في البكاء (٢) الضنى : المرض والهزال والضعف . ولغوب . تعب وإعياء (٣) دجا الليل : أظلم (٤) النعيب : صوت الغراب

وَعَيَّرَنِي بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنُّهَى
قَبَائِلُ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَشُعُوبُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا تَعْذُلُونِي فَإِنَّنِي
لِصَفْوِ زُجَاجَاتِ الْعُلُومِ شَرُوبُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي عَلِيمٌ بِمُشْكِلٍ
وَقَدْ مَسَّ أَهْلَ الدَّهْرِ مِنْهُ لُغُوبُ
لَئِنْ عُدَّ عِلْمُ الْمَرْءِ جُرْمًا لَدَيْكُمُ
فَذَلِكَ جُرْمٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي مُقِيمٌ بِبَلْدَةٍ
بِهَا صَاحِبُ الْعِلْمِ الرَّصِينِ غَرِيبُ

وَذَكَرَ أَيْضًا فِي هَذَا الْكِتَابِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْأَمِيرِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُظَفَّرِ بْنِ نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَأَكْرَمَنِي وَقَابَلَنِي بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ فَقُلْتُ بَدِيهَةً :

يَعْقُوبُ يُظْهِرُ دَائِمًا فِي لَفْظِهِ
عَسَلًا لَدَيْهِ يُطِمُّهُ (١) يَعْسُوبُهُ

(١) في الأصل « نظمه » واليعسوب : ملكة النحل .

وَغدَا بِحَمْدِ اللهِ صَدْراً مُكَرَّماً
يَعْلُو نِطَاقَ الْمُشْتَرِي عُرْقُوبُهُ (١)

فَسَقَى أَنَامِلُهُ حَدَائِقَ لَفْظِهِ
وَجَرَى عَلَى نَهْجِ الْعُلا يَعْبُوبُهُ (٢)

قَدْ غابَ يُوسُفُ خَاطِرِي عَنْ مِصْرِهِ
وَيَشُمُّ رِيحَ قَمِيصِهِ يَعْقُوبُهُ

فَأَشَارَ إِلَيَّ وَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَنْسِجَ عَلَى مِنْوَالِي فِيمَا قُلْتُ ؟ فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَعَاذِلُ مَهْلاً لَيْسَ عَذْلُكَ يَنْفَعُ
وَقَوْلُكَ فِينَا دَائِمًا لَيْسَ يَنْجَعُ

وَهَلْ يَصْبِرُ الصَّبُّ الْمَشُوقُ عَلَى الْجَوَى
وَفِي الْوَصْلِ مُشْتَاقٌ وَفِي الْهَجْرِ مُجْزَعُ ؟

يَقُولُونَ : إِنَّ الْهَجْرَ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى
وَإِنَّ فُؤَادَ الصَّبِّ فِي الْقُرْبِ أَجْزَعُ

---

(١) العرقوب : جاء فى القاموس أن العراقيب : عصاويد الأمور ، والعصواد على زنة فعلال يكسر الفاء : العظيم من الأمر ، وبعد فما هذا التعسف ؟ .

(٢) اليعبوب : السحاب

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا
عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ أَجْدَى وَأَنْفَعُ

نَحِنُّ إِلَى ظِلٍّ مِنَ الْعَيْشِ وَارِفٍ[1]
وَعَهْدٍ مَضَى مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبَعُ

فَقُلْتُ أَيُّهَا الصَّدْرُ : لَيْسَ لِلْخَلِّ حَلَاوَةُ الْعَسَلِ ، وَلِلتَّكَحُّلِ طَلَاوَةُ الْكَحَلِ ، وَمِنْ أَيْنَ لِلسِّرَاجِ نُورُ الشَّمْسِ ؟ وَلِلْكَوْدَنِ[2] سَبْقُ الْخَيْلِ الشُّمْسِ[3] ؟ وَمِنْ أَيْنَ لِلضَّبَابِ مَنْفَعَةُ السَّحَابِ ؟ فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَجَمَعْتُ الْعُجَالَةَ وَالْبَدَاهَةَ هُنَالِكَ ، وَقُلْتُ فِي الْحَالِ فِي مَقَامِ الِارْتِجَالِ ، وَكَتَبْتُ بِقَلَمِ الِارْتِجَالِ عَلَى قِرْطَاسِ الِاسْتِعْجَالِ :

سَرَى طَيْفُهُ وَهْنًا وَلِي فِيهِ مَطْمَعُ
وَبَرْقُ الْأَمَانِي فِي دُجَى الْهَجْرِ يَلْمَعُ

(١) يقال : ورف الظل : امتد واتسع (٢) الكودن : البرذون
(٣) الشمس من الخيل جمع أشمس : الذي يمنع ظهره ولا يكاد يستقر

وَيَأْبَى حَقِينُ[1] الْهَجْرِ عِذْرَةَ طَيْفِهِ
فَلَمْ أَدْرِ فِي مَهْوَى الْهَوَى كَيْفَ أَصْنَعُ؟

لَقَدْ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى فِي صَبَاحِهِمْ
زَمَانَ تَلَاقٍ عِنْدَهُ الشَّمْلُ يُجْمَعُ

وَهَا أَنَا أَسْرِي فِي ظَلَامِي وَإِنَّنِي
أَذُمُّ صَبَاحِي وَالْخَلَائِقُ هُجَّعُ

أَقُولُ لِصَبْرِي أَنْتَ ذُخْرِي لَدَى النَّوَى
وَذُخْرُ الْفَتَى حَقًّا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ

وَأُسْكِنُ مَاءَ الْعَيْنِ نَارِي وَإِنَّمَا
هَوَاءُ الْهَوَى مِنْ تُرْبَةِ الطَّيْفِ أَنْقَعُ

رَأَيْتُ مُعَيْذِيَّ الْخَيَالِ فَقَالَ مِنْ
جُهَيْنَةَ[2] أَخْبَارَ الْمُعَيْذِيِّ تَسْمَعُ

دَعَوْتُ إِلَى جَيْشِ الْهَوَى جُنْدَبَ الْهَوَى
فَوَلَّى وَطَرْفُ الْعَيْنِ فِي النَّوْمِ يَرْتَعُ

(١) الحقين والمحقون : المحبوس ، فكأنه يريد الهجر الذى حبس فيه يأبى قبول عذر الطيف (٢) عند جهينة الخبر اليقين : مثل يضرب للصادق فى الحديث

وَقَالَ لِنَفْسِي : لَا تَمُوتِي صَبَابَةً
لَعَلَّ زَمَانًا قَدْ مَضَى لَكِ يَرْجِعُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ مَا قُلْتُ مُنْشِدًا
حُشَاشَةُ(١) نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا
فَلَاذَ بِشَمْسِ الدِّينِ يَعْقُوبَ مَنْ لَهُ
نُجُومٌ لَهَا فِي مَشْرِقِ الْمَجْدِ مَطْلَعُ
أُجِلُّكَ يَا يَعْقُوبُ عَنْ كُنْهِ مِدْحَتِي
لِأَنَّكَ عَنْ مَدْحِي أَجَلُّ وَأَرْفَعُ(٢)

قَالَ : ثُمَّ شَرَّفَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

أَلَا أَبْلِغْ إِلَى سَلْمَى السَّلَامَا

فَأَجَبْتُ وَقُلْتُ بَعْدَ الْجَوَابِ عِلَاوَةً لِلتَّصْدِيعِ(٣) وَالْإِبْرَامِ، عَلَى طَرِيقِ أَدَاءِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ اللَّائِقِ بِأَحْوَالِ الْخَدَمِ :

---

(١) الحشاشة : ما بقى من الروح (٢) ما كان أجدر البيهقى بالوقوف عند التأليف فان هذا الشعر أغلبه مفكك ومتونه واهية ، وكل بيت أو الأكثر فى حاجة إلى إصلاح ، وما أشبه تدخله فى الشعر بتدخل بعض الأطباء الذين يتهافتون على موائد الشعر ، مع أنهم لو عملوا لفنهم لأفادوا أمتهم وكان لهم الصيت الذائع . (٣) أى إطاعة الأمر ، من قولهم : صدع بالأمر أطاعه وجهر به .

« عبد الخالق »

يَا صَاحِبِي كَسَدَتْ أَسْوَاقُ أَشْوَاقِي
وَالْتَفَّتِ السَّاقُ يَوْمَ الْهَجْرِ بِالسَّاقِ

يَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ سَعْدٌ يُسَاعِدُنِى
أَمْ هَلْ لِدَاءِ الْهَوَى فِى النَّاسِ مِنْ رَاقِ ؟؟

أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى سُلْوَانِ مُكْتَئِبٍ
أَمْ هَلْ طَرِيقٌ إِلَى إِينَاسِ مُشْتَاقِ ؟؟

يَا نَجْلَ إِسْحَاقَ يَامَنْ ثَوْبُ سُودَدِهِ
قَدْ جَلّ[٣] فِى الدَّهْرِ عَنْ وَهْيِ ابْنِ إِسْحَاقِ [١]

فَمَا تَمَهَّلْتَ فِى يَوْمَىْ وَغًى وَنَدًى
إِلَّا قَضَيْتَ بِآجَالٍ وَأَرْزَاقِ

وَكُلُّ ذِكْرٍ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَانٍ وَذِكْرُكَ فِى نَادِى النَّدَى بَاقِ

---

(١) البيت قاصر فى أداء المراد ، فانه يريد أن يقول : إن ثوب سوددك أجل من أن يناله وهى كما نال قميص يوسف لما قد ، وكان فى الأصل « عن وهى إسحاق » فزدنا لفظة ابن ، وقد بان لك أن إسحاق الأول هو ابن نظام الملك ، والثانى جد سيدنا يوسف الصديق. « عبد الخالق »

﴿ ٣٣ – عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَدِيبُ الْبَغْدَادِيُّ ﴾

على بن سليمان البغدادى

أَبُو الْحَسَنِ ، أَحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمُبَرِّزِينَ وَالظُّرَافِ الْمَشْهُورِينَ قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : ذَكَرَ أَبُو الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيُّ فِي كِتَابِ تَعِلَّةِ الْمُشْتَاقِ مِنْ تَصْنِيفِهِ قَالَ فِيهِ : وَقَدْ صَمَّمْتُ الْعَزْمَ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْحَضْرَةِ الرَّضَوِيَّةِ بِخُرَاسَانَ لِأُنْهِيَ (١) إِلَيْهَا مَا قَاسَيْتُهُ فِي التَّأَخُّرِ عَنِ الْخِدْمَةِ ، وَعَلِمَ الْأَدِيبُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ صِرِّيَّ (٢) عَزْمِي ، فَجَشِمَ (٣) إِلَى قَدَمِهِ ، وَجَرَى عَلَى عَادَتِهِ الرَّضِيَّةِ فِي رِعَايَةِ جَانِبِي تَمْهِيدًا لِمَا اسْتَمَرَّ بَيْنَنَا مِنْ أَوَاصِرِ (٤) الْمَوَدَّةِ ، وَلَعَمْرُ الْفَضْلِ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِي غُرْبَتِي هَذِهِ فَاضِلًا يُبَارِيهِ ، وَلَا ظَرِيفًا يُجَارِيهِ ، وَمَنْ وَصَفَ الْبَغْدَادِيَّ بِالْفَضْلِ وَالظَّرْفِ فَقَدْ كَسَاهُ الثَّنَاءَ الْمُخْتَصَرَ ، وَحَمَلَ التَّمْرَ إِلَى هَجَرَ ، وَمِنْ مَلِيحِ مَا أَسْمَعَنِيهِ أَنَّهُ

(١) أنهى : أبلغ (٢) صرى عزمي : توثيق عزمي وتوكيده تقول هو مني صِرِّي وصِرَّى : أى عزيمه (٣) جشم الأمر : تكلفه على مشقة

(٤) الأواصر : ما يعطفك على الرجل من قرابة أو معروف

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٨

قَالَ: سَأَلْنَا أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ نَاقِيَا الْبَغْدَادِيَّ « قُلْتُ هَكَذَا، قَالَ عَبْدَ الْعَزِيزِ، وَصَوَابُهُ عَبْدُ اللهِ ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ » عَنِ الْمُتَنَبِّيءِ وَابْنِ نُبَاتَةَ وَالرَّضِيِّ فَقَالَ: إِنَّ مَثَلَهُمْ عِنْدِي مَثَلُ رَجُلٍ بَنَى أَبْنِيَةً شَاهِقَةً وَقُصُورًا عَالِيَةً وَهُوَ الْمُتَنَبِّى، فَجَاءَ آخَرُ وَضَرَبَ حَوْلَهَا سُرَادِقَاتٍ وَخِيَماً، وَهُوَ ابْنُ نُبَاتَةَ، ثُمَّ جَاءَ الرَّضِيُّ يَنْزِلُ تَارَةً عِنْدَ هَذَا، وَتَارَةً عِنْدَ ذَاكَ، قُلْتُ فَأَنْشِدْنِي قَالَ: أَنْشَدَنِي أَسْبَهْدُوسْتُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْفَارٍ الدَّيْلَمِيُّ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَرَجِ الْبَبَّغَاءُ لِنَفْسِهِ:

أَشْقَيْتَنِي فَرَضِيتُ أَنْ أَشْقَى
وَمَلَكْتَنِي فَقَتَلْتَنِي عِشْقَا
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تُكَلِّمُنِي
عَشْرًا فَمَنْ لَكَ أَنَّنِي أَبْقَى؟
لَيْسَ الَّذِي تَبْغِيهِ مِنْ تَلَفِي
مُتَعَذِّرًا فَاسْتَعْمِلِ الرِّفْقَا

قَالَ الْأَبِيوَرْدِيُّ : وَبِهٰذَا الْإِسْنَادِ قَالَ : أَنْشَدَنِى ابْنُ الْحَجَّاجِ لِنَفْسِهِ (١) :

يَا صُرُوفَ الدَّهْرِ حَسْبِي أَىَّ ذَنْبٍ كَانَ ذَنْبِي ؟
عِلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ لِحَبِيبٍ وَمُحِبِّ
أَنَا أَشْكُو حَرَّ حُبٍّ وَهُوَ يَشْكُو بَرْدَ حُبِّي (٢)

قَالَ الْأَبِيوَرْدِيُّ : فَقُلْ فِي مَحْبُوبٍ حَرِبٍ (٣) ، وَعَاشِقٍ طَرِبٍ .

﴿ ٣٤ — عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ * ﴾

على بن سليمان اليمنى

يُلَقَّبُ حَيْدَرَةَ (٤) الْيَمَنِيُّ النَّحْوِيُّ التَّمِيمِيُّ ، كَانَ مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَعْيَانِهِمْ عِلْماً وَنَحْواً وَشِعْراً ،

---

(١) شرح هذه الأبيات فى الجملة يقول ابن الحجاج : كفى ياصروف الدهر ما تقدمينه إلى فلا أدرى ما ذنبي . ثم قال فى البيت الثانى : إن الشكوى من الدهر عامة عند الناس وهي خاصة بين المحب والمحبوب وضرب لذلك مثلا شكواه من حرارة مايلقاه من الحب ، بينما المحبوب يشكو من أن حبه برد لهذا يقول الأبيوردى : فقل فى محبوب حرب وعاشق طرب (٢) برد حبي : أى فتوره على حد قوله : برد حبه : أى فترت حرارته (٣) حرب صفة من حرب كفرح : اشتد غضبه (٤) هذا كما فى معجم البلدان وكانت فى الأصل « حيدة » « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٨

وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابٌ فِي النَّحْوِ سَمَّاهُ كَشْفَ الْمُشْكِلِ فِي مُجَلَّدَيْنِ ، وَقَالَ فِيهِ يَمْدَحُهُ :

صَنَّفْتُ لِلْمُتَأَدِّبِينَ مُصَنَّفاً
سَمَّيْتُهُ بِكِتَابِ كَشْفِ الْمُشْكِلِ
سَبَقَ الْأَوَائِلَ مَعْ تَأَخُّرِ عَصْرِهِ
كَمْ آخِرٍ أَزْرَى بِفَضْلِ الْأَوَّلِ
قَيَّدْتُ فِيهِ كُلَّ مَا قَدْ أَرْسَلُوا
لَيْسَ الْمُقَيَّدُ كَالْكَلَامِ الْمُرْسَلِ

وَمَوْلِدُهُ بِبِلَادِ بَكِيلٍ[1] مِنْ أَعْمَالِ ذِمَارَ ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِهِ يَحْصُرُ جَمْعَ التَّكْسِيرِ :

---

(١) بكيل : مخلاف من مخاليف اليمن سمى باسم بكيل بن جشم ، وذمار ككتاب على مرحلتين من صنعاء ، وينطقون به مبنياً على الكسر تشبيهاً له بنزال ، ومثله وبار ، وقد يمنعون هذا من الصرف للعدل والعلمية والحق أن كلا من البناء ومنع الصرف ليس حتما ، قال الشاعر :

ومر دهر على وبار فهلكت جهرة وبار

فوبار الأولى معربة مصروفة ، ووبار الثانية إما اسم القبيلة ، وإما أن تكون فعلا من البوار بمعنى الهلاك ، وتكون فى الشعر وباروا فعلا ماضياً أسند إلى واو الجماعة . « عبد الخالق »

سَأَلْتَ عَنِ التَّكْسِيرِ فَاعْلَمْ بِأَنَّهَا
ثَمَانِيَةٌ أَوْزَانُ جَمْعِ الْمُكَسَّرِ
فَأَرْبَعَةٌ أَوْزَانُ كُلِّ مُقَلَّلٍ .
وَأَرْبَعَةٌ أَوْزَانُ كُلِّ مُكَثَّرِ
فِعَالٌ وَأَفْعَالٌ وَفُعْلٌ وَأَفْعُلٌ
وَأَفْعِلَةٌ مِنْهَا وَفِعْلَانُ فَانْظُرِ
وَمِنْهَا فُعُولٌ يَا أُخَيَّ وَفِعْلَةٌ
وَتَمْثِيلُهَا إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَصَوَّرِ
جِمَالٌ وَأَفْرَاسٌ وَأُسْدٌ وَأَكْبُشٌ
وَأَكْسِيَةٌ حُمْرٌ لِفِتْيَانِ حِمْيَرِ
أَتَوْنَا عِشَاءً فِي رُبُوعٍ لِفِتْيَةٍ
مِنَ التَّغْلِبِيِّينَ الْكِرَامِ وَيَشْكُرِ
وَكُلُّ خُمَاسِيٍّ إِذَا مَا جَمَعْتَهُ
فَآخِرَهُ فَاحْذِفْ وَلَا تَتَعَثَّرِ
فَتَجْمَعُ قِرْطَعْبًا قَرَاطِعَ سَالِكًا
بِهِ مَسْلَكَ الْجَمْعِ الرُّبَاعِيِّ الْمُكَثَّرِ

قُلْتُ أَنَا : هٰذَا عَجَبٌ مِمَّنْ صَنَّفَ كِتَابًا كَبِيرًا فِي النَّحْوِ يَقُولُ : جَمْعُ الْمُكَسَّرِ أَرْبَعَةُ أَوْزَانٍ وَهِيَ عَلَى نَحْوٍ مِنْ خَمْسِينَ وَزْنًا (١) .

﴿ ٣٥ – عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْفَضْلِ الْأَخْفَشُ * ﴾

علی بن سلیمان الأخفش

أَبُو الْحَسَنِ ، وَهُوَ الْأَخْفَشُ الصَّغِيرُ ، وَهُنَاكَ الْأَخْفَشُ الْأَكْبَرُ ، وَهُوَ أَبُو الْخَطَّابِ عَبْدُ الْحَمِيدِ وَقَدْ ذُكِرَ ، وَالْأَوْسَطُ وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ وَقَدْ مَرَّ فِي بَابِهِ ، وَهُنَاكَ أَخْفَشُ آخَرُ ، وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَغْرِبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ أَيْضًا وَغَيْرُهُمْ . وَمَاتَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ هٰذَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ قَنْطَرَةِ الْبَرَدَانِ (٢) ، ذَكَرَ ذٰلِكَ الْمَرْزُبَانِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمُقْتَبَسِ : ذِكْرُ

---

(١) قد كنت أود أن أرد على حيدرة ولكن ياقوتا كفانا ذلك ، على أنى لا أميل إلى مثل هذا الطريق فى إفهام القواعد (٢) البردان : إسم لأنهار كثيرة ومياه كذلك ، وأطلق على قرية من قرى بغداد ، ولعل هذا هو المقصود .

جَمَاعَةٍ لَقِينَاهُمْ مِنَ النَّحْوِيِّينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ . مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْفَضْلِ الْأَخْفَشِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُتَّسِعِ فِي الرِّوَايَةِ لِلْأَخْبَارِ وَالْعِلْمِ بِالنَّحْوِ ، وَمَا عَلِمْتُهُ صَنَّفَ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ وَلَا قَالَ شِعْرًا ، وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسَائِلِ النَّحْوِ ضَجِرَ وَانْتَهَرَ كَثِيرًا مَنْ يُوَاصِلُ مُسَاءَلَتَهُ وَيُتَابِعُهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ قَالَ : وَشَهِدْتُهُ يَوْمًا وَصَارَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ حُلْوَانَ كَانَ يَلْزَمُهُ فَحِينَ رَآهُ قَالَ لَهُ :

حَيَّاكَ رَبُّكَ أَيُّهَا الْحُلْوَانِي
وَوَقَاكَ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَزْمَانِ

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ : مَا نَحْنُ مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا هَذَا وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ . هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ تِلْمِيذُهُ وَصَاحِبُهُ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْأَجْلَعُ : الَّذِي لَا تَنْضَمُّ شَفَتَاهُ عَلَى أَسْنَانِهِ ، وَكَانَ الْأَخْفَشُ الْأَصْغَرُ النَّحْوِيُّ أَجْلَعَ . وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ فِهْرِسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهِ ،

وَذَكَرَ الْأَخْفَشَ هذا فقَالَ : لَهُ مِنَ التَّصانِيفِ : كِتَابُ الْأَنْواءِ ، وَكِتَابُ التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ ، وَكِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ [1] .

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ جَلَالُ الدِّينِ الْقَاضِي الْأَكْرَمُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ الْقِفْطِيُّ — أَدَامَ اللهُ أَيَّامَهُ — أَنَّهُ مَلَكَهُ فِي خَمْسَةِ أَجْلَادٍ . وَكِتَابُ تَفْسِيرِ رِسَالَةِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ رَأَيْتُهُ فِي نَحْوِ خَمْسِ كَرَارِيسَ ، وَكِتَابُ الْحُذَاءِ [2] ، وَوَجَدْتُ أَهْلَ مِصْرَ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِي النَّحْوِ هَذَّبَهُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الدِّينَوَرِيُّ وَسَمَّاهُ الْمُهَذَّبَ. وَحَدَّثَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ : حَضَرْتُ يَوْمًا أَبَا الْحَسَنِ الْأَخْفَشَ وَدَفَعَ كِتَابًا إِلَى بَعْضِ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ لِيَكْتُبَ عَلَيْهِ اسْمَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : خَفِّشْ خَفِّشْ يُرِيدُ اكْتُبِ الْأَخْفَشَ ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ :

---

(١) في الفهرست صفحة ٨٣ : ذكر له كتاب « الجراد » ولم يذكر له شرح كتاب سيبويه ولا كتاب التفسير (٢) في الأصل : الحداد

لَا تَـكْرَهَنَّ لَقَباً شُهِرْتَ بِهِ
فَلَرُبَّ مَحْظُوظٍ مِنَ اللَّقَبِ
قَدْ كَانَ لُقِّبَ مَرَّةً رَجُلٌ
بِالْوَائِلِيِّ فَعُدَّ فِي الْعَرَبِ

قَالَ الْأَخْفَشُ : دَعَانِي سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ وَكَتَبَ إِلَيَّ :

مَضَى النُّورُ وَاسْتَبْهَمَ الْأَغْطَشُ (١)
وَأَخْلَفَنِي وَعْدَهُ الْأَخْفَشُ (٢)
وَحَالَ وَحَالَتْ بِهِ شِيمَةٌ
كَمَا حَالَ عَنْ لَوْنِهِ الْبِرْقِشُ (٣)
أَبَا حَسَنٍ كُنْتَ لِي مَأْلَفاً
فَمَالَكَ عَنْ دَعْوَتِي تَطْرَشُ .
وَكُنْتُ لِأَعْدَائِكَ الشَّانِئِيكَ
سِمَاماً كَمَا نَفَثَ الْأَرْقَشُ (٤)

---

(١) الأغطش : الليل المظلم (٢) الأخفش : الذى يبصر فى الليل دون النهار والمراد صاحب الترجمة (٣) البرقش : طائر يسمى الشرشور كعصفور مختلط اللون فهو متحول عن لونه الذى كان له ، وحال وحالت فى البيت بمعنى تغير .

(٤) الأرقش : ضرب من الحيات المنقطة بسواد وبياض

وَكُنْتُ بِقُرْبِكَ فِي رَوْضَةٍ
فَهَا أَنَا وَالْبَلَدُ الْمُعْطَشُ

إِذَا قُلْتُ قَرْطَسْتُ (١) فِي صَاحِبٍ
نَزَعْتُ كَمَا يَنْزِعُ الْمُرْعَشُ

وَسِيَّانِ عِنْدِي مَنْ عَقَّنِي (٢)
عُقُوقَكَ وَالْحَيَّةُ الْحِرْبِشُ (٣)

أَقُولُ وَمَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِهِ
رَأَيْتُكَ كَالنَّاسِ إِذْ فُتِّشُوا

وَحَدَّثَ « أُخْلِيَ فِي الْأَصْلِ » قَالَ: كَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ كَثِيرَ الْهِجَاءِ لِلْأَخْفَشِ، وَذَاكَ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ كَانَ كَثِيرَ الطِّيَرَةِ (٤). وَكَانَ الْأَخْفَشُ كَثِيرَ الْمِزَاحِ، وَكَانَ يُبَاكِرُهُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ فَيَطْرُقُ الْبَابَ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ فَيَقُولُ: مَنْ

---

(١) قرطست : حبرت القراطيس ، ونزعت : عدلت عن القول كما ينزع المرعش عن الاستمرار فى العمل ، فجملة قرطست حال ، ونزعت جواب إذا

(٢) عقنى : عصانى وترك الشفقة على (٣) الحربش : الكبيرة من الأفاعى

(٤) الطيرة : التشاؤم « عبد الخالق »

بِالْبَابِ؟ فيَقُولُ الْأَخْفَشُ: «حَرْبُ بْنُ مُقَاتِلٍ» وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فقَالَ ابْنُ الرُّومِيّ يَهْجُوهُ وَيَتَهَدَّدُهُ:

قُلْ لِنَحْوِيِّنَا أَبِي حَسَنٍ
إِنِّي حُسَامٌ مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
لَا تَحْسَبَنَّ الْهِجَاءَ يَحْفِلُ بِالرْ
رَفْعِ وَلَا خَفْضِ خَافِضٍ خَفَضَا
كَأَنَّنِي بِالشَّقِيِّ مُعْتَذِراً
إِذَا الْقَوَافِي أَذَقْنَهُ مَضَضَا
يَنْشُدُنِي الْعَهْدَ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا
عَهْدَ خِضَابٌ أَزَالَهُ فَنَضَا (١)

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: حَدَّثَنِي الْمُظَفَّرُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ أَنَّ الْأَخْفَشَ قَالَ يَوْماً لِابْنِ الرُّومِيّ:

---

(١) الخضاب: ما يخضب به كالحناء، والنفى: ما يسقط من الحناء من العضو الذى كانت عليه، يريد أنه تعدى عليه فنقض عهده، فالعهد كالخضاب إن لم يتعهد نضا الشيب وظهر «عبد الخالق»

إِنَّمَا كُنْتَ تَدَّعِي هِجَاءَ مِنْقَالٍ (١) ، فَلَمَّا مَاتَ مِنْقَالٌ اُنْقَطَعَ هِجَاؤُكَ. قَالَ : فَاخْتَرْ عَلَيَّ قَافِيَةً . قَالَ : عَلَى رَوِيِّ قَصِيدَةِ دِعْبِلٍ الشِّينِيَّةِ ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَهْجُوهُ فِيهَا وَيُجَوِّدُ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَيُفْحِشُ حَتَّى يُفْرِطَ أَوَّلُهَا :

أَلَا قُلْ لِنَحْوِيِّكَ الْأَخْفَشِ
أَنِسْتَ فَأَقْصِرْ وَلَا تُوحِشِ
وَمَا كُنْتَ عَنْ غَيَّةٍ مُقْصِراً
وَأَشْلَاءُ أُمِّكَ لَمْ تُنْبَشِ (٢)

قَالَ فِيهَا :

أَمَا وَالْقَرِيضِ وَنُقَّادِهِ
وَنَجْشِكَ فِيهِ مَعَ النُّجَّشِ (٣)
وَدَعْوَاكَ عِرْفَانَ نُقَّادِهِ
بِفَضْلِ النَّقِيِّ عَلَى الْأَنْمَشِ (٤)

(١) يريد تدعيه وتنسبه لنفسك ، لأنك لا تقدر على هذا النوع من الشعر

(٢) الغية : الغواية مصدر مرة ، يريد إنك غوى وما تعرضنا لأمك إلى الآن . وأشلاء أمك بعد البلى والتفرق لم نعرض لها

(٣) النجش : التزايد فى البيع ليغش من يسمع ، ومن معناه البحث وهو المراد هنا

(٤) الأنمش ذو النمش : وهي البقع التى تخالف لونه ، يريد دعواك معرفة الجيد من الردىء « عبد الخالق »

لَئِنْ جِئْتَ ذَا بَشَرٍ حَالِكٍ
لَقَدْ جِئْتَ ذَا نَسَبٍ أَبْرَشِ (١)

وَمَا وَاحِدٌ جَاءَ مِنْ أُمِّهِ
بِأَعْجَبَ مِنْ نَاقِدٍ أَخْفَشِ (٢)

كَأَنَّ سَنَا الشَّتْمِ فِى عِرْضِهِ
سَنَا الفَجْرِ فِى السَّحَرِ الْأَغْبَشِ (٣)

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَنِى أَنَّهُ (٤)
يَنُوشُ (٥) هِجَائِى مَعَ النُّوَّشِ

إِذَا عَكَسَ (٦) الدَّهْرُ أَحْكَامَهُ
سَطَا أَضْعَفُ القَوْمِ بِالْأَبْطَشِ

---

(١) أبرش : على جسمه نقط بيضاء تخالف جسمه ، فهو يريد ذا نسب ممقوت لأن البرش ممقوت لايرغب فى النظر إليه (٢) وبعد هذا البيت يقول :

أسود جاءت به قردة سويداء غاوية المفرش

(٣) السنا : الضوء ، والأغبش : المظلم ومن العجيب جعل سنا للشتم

(٤) فى الأصل « أمه » (٥) ينوش : يتناول (٦) فى الأصل « عطش » « عبد الخالق »

وَمَا كُلُّ مَنْ أَخْشَتْ أُمُّهُ

تَعَرَّضَ لِلْقَــــذَعِ(١) الْأَخْفَشِ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَلَمَّا سَارَ هِجَاؤُهُ فِي الْأَخْفَشِ ، جَمَعَ الْأَخْفَشُ جَمَاعَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدِيقِ فَسَأَلُوا ابْنَ الرُّومِيِّ أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَمْدَحَهُ بِمَا يُزِيلُ عَنْهُ عَارَ هِجَائِهِ فَقَالَ فِيهِ :

ذُكِرَ الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ فَقُلْنَا :

إِنَّ لِلْأَخْفَشِ الْحَدِيثِ لَفَضْلَا

فَإِذَا مَا حَكَمْتُ وَالرُّومُ قَوْمِي

فِي كَلَامٍ مُعَرَّبٍ كُنْتُ عَدْلَا

أَنَا بَيْنَ الْخُصُومِ فِيهِ غَرِيبٌ

لَا أَرَى الزُّورَ لِلْمُحَابَاةِ أَهْلَا

---

(١) هذا آخر بيت في القصيدة وقد ترك بين آخر بيت ذكره وبين هذا البيت اثنين وعشرين بيتا ، وفي الأصل « المقذع » بدل القذع ، يريد أن يقول : ليس كل ابن فاحشة يقدر على القذع .

وَمَتَى قُلْتُ بَاطِلًا لَمْ أُلَقَّبْ
فَيلسُوفًا وَلَمْ أُسَمَّ هِرَقْلَا(١)

وَذَكَرَ الزُّبَيْدِيُّ أَنَّ الْأَخْفَشَ كَانَ يَتَحَفَّظُ هِجَاءَ ابْنِ الرُّومِيِّ لَهُ وَيُمْلِيهِ فِي جُمْلَةِ مَا يُمْلِي، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ الرُّومِيِّ أَنَّهُ لَمْ يَأْلَمْ لِهِجَائِهِ تَرَكَ هَجْوَهُ. وَكَانَ الْأَخْفَشُ قَدْ قَرَأَ عَلَى ثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ وَأَبِي الْعَيْنَاءِ وَالْيَزِيدِيِّ.

وَحَدَّثَ الْأَخْفَشُ قَالَ: اسْتَهْدَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ الْمُبَرِّدَ جَلِيسًا يَجْمَعُ إِلَى تَأْدِيبِ وَلَدِهِ الِاسْتِمْتَاعَ بِإِينَاسِهِ وَمُفَاكَهَتِهِ، فَنَدَبَنِي إِلَيْهِ وَكَتَبَ مَعِي: قَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ — أَعَزَّكَ اللهُ — فُلَانًا وَجُمْلَةُ أَمْرِهِ:

إِذَا زُرْتُ الْمُلُوكَ فَإِنَّ حَسْبِي
شَفِيعًا عِنْدَهُمْ أَنْ يَخْبُرُونِي

وَقَدِمَ الْأَخْفَشُ هَذَا مِصْرَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ

---

(١) والقصيدة طويلة جاء فيها مدح كثير للأخفش ، هذا ويعجبنى منها قوله :

أيهذا السائلى بعلى   زادك الله بالمعالم جهلا
أنت كالمستنير شمساً بنار   ولعمرى الشمس للعين أجلى

« عبد الخالق »

وَمِائَتَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى حَلَبَ مَعَ عَلِيِّ ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ بِسْطَامَ صَاحِبِ الْخَرَاجِ فَلَمْ يَعُدْ إِلَى مِصْرَ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِئُ فِي كِتَابِهِ كِتَابِ الْوُزَرَاءِ قَالَ :

حَكَى لِي أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ مُوَاصِلَ الْمُقَامِ عِنْدَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ وَيُرَاعِيهِ أَبُو عَلِيٍّ وَيَبَرُّهُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ الْإِضَاقَةَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُكَلِّمَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرٌ فِي أَمْرِهِ ، وَسَأَلَهُ إِجْرَاءَ رِزْقٍ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ مَنْ يَرْتَزِقُ مِنْ أَمْثَالِهِ ، فَخَاطَبَهُ أَبُو عَلِيٍّ وَسَأَلَ أَنْ يُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقًا فِي جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ ، فَانْتَهَرَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى انْتِهَارًا شَدِيدًا وَأَجَابَهُ جَوَابًا غَلِيظًا ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَجْلِسٍ حَافِلٍ ، وَمَجْمَعٍ كَامِلٍ ، فَشَقَّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ مَا عَامَلَهُ بِهِ ، وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَدِ اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ ، وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ لَائِمًا لِنَفْسِهِ عَلَى سُؤَالِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى مَا سَأَلَهُ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ

يُجَرِّدُ فِي السَّعْيِ عَلَيْهِ ، وَوَقَفَ الْأَخْفَشُ عَلَى الصُّورَةِ ، وَاغْتَمَّ وَانْتَهَتْ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ أَكَلَ الشَّلْجَمَ (١) النِّيءَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ قُبِضَ عَلَى قَلْبِهِ فَمَاتَ فَجْأَةً ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

﴿ ٣٦ – عَلِيُّ بْنُ سَهْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ * ﴾

على بن سهل النيسابورى

أَبُو الْحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ الْمُفَسِّرُ الْعَالِمُ الْعَابِدُ الدَّيِّنُ ، ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ فِي السِّيَاقِ وَقَالَ : مَاتَ فِي ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَصَفَهُ فَقَالَ : نَشَأَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَبَحَّرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِذَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَاحِدِيِّ .

﴿ ٣٧ – عَلِيُّ بْنُ طَاهِرِ بْنِ جَعْفَرٍ * ﴾

على بن طاهر السلمى

أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ النَّحْوِيُّ . نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ ابْنِ اللَّبَّانِ قَالَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّمْعَانِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ

(١) الشلجم : نبات يعرف باللفت

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٧

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٩

عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ الْحَافِظُ الدِّمَشْقِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلْوَانَ وَغَيْرَهُ ، وَكَانَ ثِقَةً دَيِّنًا وَقَلَّمَا يَكُونُ النَّحْوِيُّ دَيِّنًا[1] ، ذَكَرَ ابْنُ الْأَكْفَانِيِّ أَنَّهُ مَاتَ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ طَاهِرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَيْسِيُّ السَّلَمِيُّ النَّحْوِيُّ ، سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللهِ ابْنَ سَلْوَانَ وَأَبَا الْقَاسِمِ بْنَ الشِّمْشَاطِيِّ ، وَأَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ ابْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْكُفُرْطَابِيِّ وَذَكَرَ جَمَاعَةً قَالَ : وَرَوَى عَنْهُ غَيْثُ بْنُ عَلِيٍّ .

وَحَدَّثَنَا عَنْهُ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ السَّلَمِيُّ ، وَخَالِي الْقَاضِي أَبُو الْمَعَالِي ، وَجَمِيلُ بْنُ تَمَّامٍ ، وَحِفَاظُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَكَانَ ثِقَةً وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ فِي الْجَامِعِ ، وَقَفَ فِيهَا خِزَانَةً فِيهَا كُتُبُهُ . ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَابِرٍ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَذَكَرَ ابْنُ

---

(١) جملة نافرة ولم هذا ؟ ألان قوماً منهم لوثوا أنفسهم يحكم هذا الحكم ؟ إن فيهم لذوى دين عظيم سوى أن نفراً منهم نبغوا فى النحو ولم يتفقهوا فى سر الشريعة « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » صدق الله العظيم « عبد الخالق »

الأَكْفَانِيُّ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ طَاهِرٍ النَّحْوِيَّ مَاتَ يَوْمَ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ .

﴿ ٣٨ – عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ كِرْدَانَ النَّحْوِيُّ * ﴾

علی بن طلحة النحوی

أَبُو الْقَاسِمِ . قَالَ أَبُو غَالِبِ بْنُ بِشْرَانَ : كَانَ ابْنُ كِرْدَانَ يُعْرَفُ بِابْنِ الصَّحْنَاتِيِّ وَلَمْ يَبِعْ قَطُّ الصَّحْنَاةَ[1]، وَإِنَّمَا كَانَ أَعْدَاؤُهُ يُلَقِّبُونَهُ بِذَلِكَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ قَالَ : وَهَذَا الشَّيْخُ أَوَّلُ الشُّيُوخِ الَّذِينَ قَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْأَدَبَ :

قَالَ السِّلَفِيُّ الْحَافِظُ : سَأَلْتُ خَمِيسَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَوْزِيَّ عَنِ ابْنِ كِرْدَانَ فَقَالَ : صَحِبَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ وَعَلِيَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، وَالْوَاسِطِيُّونَ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى ابْنِ جِنِّيٍّ وَالرَّبَعِيِّ ، صَنَّفَ كِتَابًا كَبِيرًا فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ، قَالَ لِي شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ : كَانَ يُقَارِبُ

---

(١) الصحنة والصحناة : نبه على هذا اللفظ فى القاموس وكأنه ما نسميه السردين وفى الأصل بالسين ولعله محرف فأصلحته إلى ما ترى « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٣٣٩

خَمْسَةَ عَشَرَ مُجلَّداً ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فِيهِ فَغَسَلَهُ قَبلَ مَوْتِهِ ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَكَانَ مُتَنَزِّهاً مُتَصَوِّناً ، رَكِبَ إِلَيْهِ فَخْرُ الْمُلْكِ أَبُو غَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ ابْنِ خَلَفٍ وَزِيرُ ابْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ سُلْطَانُ الْوَقْتِ، وَبَذَلَ لَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَكَانَ قَدْ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاضِي أَبِي تَغْلِبَ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعَاقُولِيِّ صَدِيقِ الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ وَخَلِيفَةِ السُّلْطَانِ وَالْحُكَّامِ عَلَى وَاسِطَ فِي وَقْتِهِ خُصُومَةٌ ، وَكَانَ مُعَظَّماً مُفَخَّماً ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ كِرْدَانَ : إِنْ صُلْتَ عَلَيْنَا بِمَالِكَ صُلْنَا عَلَيْكَ بِقَنَاعَتِنَا . وَآخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ شَانْدَةَ ، وَذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّبِيثِيُّ فِي نُحَاةِ وَاسِطَ فَقَالَ :

عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ كِرْدَانَ النَّحْوِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ الْوَاسِطِيُّ الْمَوْلِدِ وَالدَّارِ ، أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْجَرَّاحِ صَاحِبِ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، قَالَ ابْنُ بِشْرَانَ : هُوَ أَوَّلُ شَيْخٍ قَرَأْتُ عَلَيْهِ وَوَصَفَهُ بِالْفَضْلِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَعَنْهُ أَخَذَ النَّحْوَ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ

ابْنِ مُخْتَارٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْوَاسِطِيِّينَ وَكَانَ شَاعِراً ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَمِّ وَاسِطَ :

سَئِمَ الْأَدِيبُ مِنَ الْمُقَامِ بِوَاسِطٍ
إِنَّ الْأَدِيبَ بِوَاسِطٍ مَهْجُورُ
يَا بَلْدَةً فِيهَا الْغَنِيُّ مُكَرَّمٌ
وَالْعِلْمُ فِيهَا مَيِّتٌ مَقْبُورُ
لَاجَادَكِ الْغَيْثُ الْهَطُولُ وَلَا اجْتُلِي
فِيكِ الرَّبِيعُ وَلَا عَلَاكِ حُبُورُ
شَرَّ(١) الْبِلَادِ أَرَى فِعَالَكِ سَاتِراً
عَنِّي الْجَمِيلَ ، وَشَرُّكِ الْمَشْهُورُ

حَدَّثَ أَبُو الْجَوَائِزِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَارِي الْكَاتِبُ الْوَاسِطِيُّ قَالَ : اجْتَمَعَ مَعَنَا فِي حَلْقَةِ شَيْخِنَا أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ كُرْدَانَ النَّحْوِيِّ سِيدُوكُ الشَّاعِرُ وَنَحْنُ فِي الْجَامِعِ بِوَاسِطَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَجَرَى فِي عَرْضِ الْمُذَاكَرَاتِ ذِكْرُ مَنْ أَحَالَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْعِشْقِ ، وَمَنْ أَحَالَ عَلَى نَاظِرِهِ

(١) شر منادى ، ويصح أن ترفعها خبرا لمبتدإ محذوف « عبد الخالق »

بِهِ أَيْضاً وَمَضَتْ أَنَاشِيدُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو طَاهِرٍ سَيْذُوكُ : قَدْ حَضَرَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْءٌ وَأَنْشَدَنَا :

يَا قَلْبُ مِنْ هَذَا حَذِرْتُ عَلَيْكَا
ذُقْ مَا جَنَيْتَ فَكَمْ نَصَحْتُ إِلَيْكَا
إِنْضَجْ بِنَارِكَ لَا أَرَاحَكَ حَرُّهَا
فَلَطَالَمَا ضَاعَ الْعِتَابُ لَدَيْكَا
لَمَّا أَطَعْتَ الطَّرْفَ ثُمَّ عَصَيْتَنِي
عَلِقَ الْهَوَى يَا قَلْبُ مِنْ طَرَفَيْكَا

وَسَمِعْتُ أَذَانَ الْعَصْرِ فَقُلْتُ لِشَيْخِنَا : أَكْتُبُهَا قَبْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ إِذَا صَلَّيْنَا ؟ قَالَ : اُكْتُبْهَا وَلَوْ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ (١) ، وَأَنْشَدَنَا حِينَئِذٍ لِنَفْسِهِ :

أَبْصَرْتُ فِي الْمَأْتَمِ مَقْدُودَةً (٢)
تَقْضِي ذِمَاماً بِتَكَالِيفِهَا
تُشِيرُ بِاللَّطْمِ إِلَى وَجْنَةٍ
ضَرَّجَهَا (٣) مُبْدِعُ تَأْلِيفِهَا

---

(١) يريد ولو كانت الصلاة الجمعة والامام على المنبر (٢) مقدودة : حسنة التقطيع والمعتدلة القامة (٣) يقال : وجنة مضرجة : مشبعة بحمرة

إِذَا تبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ وَجْهِهَا
جَمَّشَهُ لَيْــــلُ تطَارِيفِهَا(١)

وَحدَّثَ أَبُو غَالِبِ بْنُ بُشْرَانَ النَّحْوِىُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو القَاسِمِ عَلِىُّ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ كِرْدَانَ النَّحْوِىُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى أَبُو طَاهِرٍ سِيْدُوكُ لِنَفْسِهِ وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَىَّ شِعْرَهُ ، وَقَدِ ٱبْتَـكَرَ مَعْنًى غَرِيباً وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ قَرِيباً :

إِنَّ دَائِى الْغَدَاةَ أَبْرَحُ دَاءِ
وَطَبِيبِى سَرِيرَةٌ مَا تبُوحُ
يَحْسَبُونِى إِذَا تَـكَلَّمْتُ حَيًّا
رُبَّمَا طَارَ طَائِرٌ مَذْبُوحُ

قَالَ ٱبْنُ كِرْدَانَ وَأَنْشَدَنِى سِيْدُوكُ أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

أَسْتَوْدِعُ اللهَ مَنْ بَانُوا فَلَا نَظَرِى(٢)
مِنِّى وَلَا أُذُنِى عِنْدِى وَلَا بَصَرِى

---

(١) جمشه : ستره . التطريف : خضاب الأصابع ، يقول : إذا تبدى وجهها المشبه للصبح سترته أطرافها المخضبة ، أو سترت بياضه . وجعل هذا تجميشاً من تجميش الشعر بمعنى إزالته (٢) فى الأصل : « فلا بصرى » وقد قال الناشر فى الهامش لعلها فلا نظرى وسواء كانت نظرى أم بصرى فهى قلقة

« عبد الخالق »

عَهْدِى بِنَا وَرِدَاءُ الْوَصْلِ يَشْمَلُنَا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُهُ كَاللَّمْحِ بِالْبَصَرِ
وَالْآنَ لَيْلِى مُذْ غَابُوا فَدَيْتُهُمُ
لَيْلُ الضَّرِيرِ وَصُبْحِى غَيْرُ مُنْتَظَرِ

﴿ ٣٩ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَزْدِيُّ * ﴾

على بن ظافر الأزدى

وَكُنْيَةُ ظَافِرٍ أَبُو الْمَنْصُورِ، وَهُوَ مِصْرِيٌّ وَزَرَ لِلْمَلِكِ

(*) ترجم له فى كتاب دائرة المعارف لمحمد فريد وجدى المجلد السادس ص ٦٧٠ هو ابن حسين الفقيه الوزير جمال الدين الأزدى المصرى ابن العلامة أبى منصور . ولد سنة سبع عشرة وخمسمائة وتفقه على والده ، وقرأ الأدب وبرع فيه ، وقرأ على والده الأصول ، وتفوق على غيره فى علم التاريخ وأخبار الملوك ، ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه ، وتوسل إلى الديوان العزيز وولى وكالة بيت المال مدة .

كان متوقد الخاطر طلق العبارة ، وكان مع علو منصبه ، وإقبال الدنيا عليه له نزوع إلى أهل الآخرة محبا لأهل الدين والصلاح ، أقبل فى آخر عمره على مطالعة الأحاديث وأنعم النظر فيها وله من المصنفات كتاب نفائس الذخيرة ولم يكمل ولو أكمل ما كان فى الأدب مثله .

ومن شعره قوله :

إنى لأعجب من حبي فأكتمه ... جهدى وجفنى بفيض الدمع يعلنه
وكون من أنا أهواه وأعشقه ... يخرب القلب عمدا وهو يسكنه
وأعجب الكل أمرا أن مبسمه ... من أصغر الدر جرما وهو أثمنه

وله أيضا

كم من دم يوم النوى مطلول ... بين رسوم الحى والطلول —

الْأَشْرَفِ مُوسَى بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَكَانَ نِعْمَ الرَّجُلُ ، لَهُ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَفَضَائِلُ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ تَرَكَ الْوِزَارَةَ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ فَتُوُفِّيَ بِهَا فِي مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً .

— بانوا فلا جسم ولا ربع لهم إلا رماه البين بالنحول
يا راحلين والفؤاد معهم مسابق فى أول الرعيل
ردوا فؤادى عندكم ما باعكم إياه إلا طرفى الفضولى
ورب ظبى منكم تخاف من سطوة عينيه أسود الغيل
أنار منه الوجه حتى كدت أن أقول لولا الدين بالحلول
ينقص بالعلة كل كامل فى الحسن غير لحظه العليل

وقال فى كتابه بدائع البدائه : اجتمعنا ليلة من ليالى رمضان بالجامع لجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث ، وقد أوقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين على الأديب أبى الحجاج يوسف بن على المنبوذ بالنعجة أن يصنع قطعة فى فانوس السحور ، وإنما طلب بذلك إظهار عجزه فصنع وأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجما قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من دون الجماعة وقلت له : هذا التعجب لا يصح لأنا قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ، ولا تحصى بالعد ، إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة فى تقريعه وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه ، فصنع أيضاً رحمه الله تعالى وأنشد :

هذا اللواء سحور يستضاء به وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعاً يهتدون به « كأنه علم فى رأسه نار »

فلما أصبح سمع من كان غائباً من أصحابنا فى ليلتنا ما جرى بيننا فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متالو — رحمه الله — وأنشدنيه : —

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ بَدَائِعِ الْبَدَائِهِ فِيمَنْ قَالَ شِعْرًا عَلَى الْبَدِيهَةِ ، وَكِتَابُ مَكْرُمَاتِ الْكُتَّابِ ، وَكِتَابُ أَخْبَارِ الشُّجْعَانِ ، وَكِتَابُ مَنْ أُصِيبَ بِمَنِ اسْمُهُ عَلِيٌّ

— أحبب بفانوس غدا صاعدا وضوءه دان من العين
يقفى بصوم وبفطر معا فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد القلعي — رحمه الله تعالى : —

وكوكب من ضرام الزند مطلعه تسرى النجوم ولا يسرى إذا رقبا —
يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه فان بدا طالعا فى أفقه غربا
كأنه عاشق وافى على شرف يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

ثم إنى صنعت بعد حين فقلت :

ألست ترى شخص المنار وعوده عليه بفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الأنابيب أسمر عليه سنان بالدماء خضيب
ترى بين زهر الزهر منه شقيقة لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد أحمر والدجى لمى بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن زنجى الدجى من لهيبه ومن خفقه قلب عراه وجيب
تراه يراعى الشهب ليلا فان دنا طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق ففر إذ درى أن رومي الصباح رقيب ؟

وقلت فى اختصار المعنى الأول من هذه القطعة

أنظر إلى المنار والـ ـفانوس فيه يرفع
كحامل رمحا سنا نه خضيب يلمع

وقلت أيضاً :

ألست ترى حسن المنار وضوءه يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه إذا جن الظلام مراقباً له مضرما فى قلب فانوسه نارا
كصب نجود من بنى الزنج سامها وصالا وقد أبدى لترغب دينارا —

وَابْتَدَأَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكِتَابُ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ، وَكِتَابُ التَّشْبِيهَاتِ ، وَكِتَابُ أَسَاسِ السِّيَاسَةِ ، وَكِتَابُ أَخْبَارِ السَّلْجُوقِيَّةِ .

﴿ ٤٠ – عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ النُّوبَخْتِيُّ * ﴾

أَبُو الْحَسَنِ ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْكُتَّابِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ الْمَشَاهِيرِ وَالْمُرُوءَةِ . رَوَى مِنْ أَخْبَارِ الْبُحْتُرِيِّ وَابْنِ الرُّومِيِّ قِطْعَةً علي بن العباس النوبختي

— وقلت فيه :

وليلة صوم قد سهرت بجبها ... على أنها من طيبها تفضل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا ... من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
كما قام رومى بكأس مدامة ... وحيا بها زنجية وشحت درا

وقال على بن ظافر :

وقد بدت النجوم على سماء ... تكامل صحوها فى كل عين
كسقف أزرق من لازورد ... بدت فيه مسامر من لجين

وله أيضاً :

والليل أقرع بالكواكب شائب ... فيه مجرته بمثل المفرق
ولربما يأتى الهلال بيحره ... متصيداً حوت النجوم بزورق
حتى إذا هبت على الماء الصبا ... وألاح نور تمامه بالمشرق
أبدى لنا علما بهيجاً مذهبا ... قد لاح فى تجعيد كم أزرق
وحكى برادة عسجد قد رام صا ... نعها يؤلف بينها بالزئبق

توفى على بن ظافر سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

حَسَنَةً ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلاثِمائَةٍ بَعْدَ سِنٍّ عَالِيَةٍ ، وَهُوَ القَائِلُ لِابْنِ عَمِّهِ أَبِي سَهْلٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ النَّوْبَخْتِيِّ وَشَرِبَ دَوَاءً :

يَا مُحْيِيَ العَارِفَاتِ وَالْكَرَمِ وَقَاتِلَ الْحَادِثَاتِ وَالْعَدَمِ

كَيْفَ رَأَيْتَ الدَّوَاءَ وَأَعْقَبَكَ اللَّـ ـهُ شِفَاءً بِهِ مِنَ السَّقَمِ ؟

لَئِنْ تَخَطَّتْ إِلَيْكَ نَائِبَةٌ حَطَّتْ بِقَلْبِي ثِقْلًا مِنَ الأَلَمِ

شَرِبْتَ فِيهَا الدَّوَاءَ مُرْتَجِيًا دَفْعَ أَذًى مِنْ عِظَامِكَ الْعُظُمِ

وَالدَّهْرُ لَا بُدَّ مُحْدِثٌ طَبَعًا فِي صَفْحَتَيْ كُلِّ صَارِمٍ خَذِمِ

﴿ ٤١ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ الطُّوسِيُّ * ﴾

أَبُو الْحَسَنِ التَّيْمِيُّ أَحَدُ أَعْيَانِ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ ، أَخَذَ عَنِ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ عَدُوًّا لِابْنِ السِّكِّيتِ لِأَنَّهُمَا أَخَذَا علي بن عبد الله الطوسي

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة ص ٣٤٠ بترجمة لم تزد على معجم الأدباء سوى قوله : ذكره الزبيدي في الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين وقال : كان أعلم من أبي عبيد .

عَنْ نَصْرَانَ الْخُرَاسَانِيِّ وَاُخْتَلَفَا فِي كُتُبِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، «أُخْلِيَ فِي الْأَصْلِ» ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فَقَالَ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَي عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُعَلَّى الْبَاهِلِيِّ قَالَ : أَ كْثَرْتُ يَوْماً سُؤَالَ الطُّوسِيِّ فَقَالَ مُتَمَثِّلاً :

يُسَرُّ وَيُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ
وَمَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لَابُدَّ يُحْرَمِ

قَالَ : وَوَجَّهَ بِإِنْسَانٍ فِي حَاجَةٍ فَقَصَّرَ فَقَالَ :

نَحِلْتَ[١] وَكَلَّفْنَاكَ مَا لَمْ تَقُمْ بِهِ
وَهَلْ تَحْمِلُ الْفُصْلَانُ أَحْمَالَ بُزَّلِ؟[٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ الطُّوسِيُّ رَاوِيَةً لِأَخْبَارِ الْقَبَائِلِ وَأَشْعَارِ الْفُحُولِ ، وَلَقِيَ مَشَايِخَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ . قَالَ : وَلَا مُصَنَّفَ لَهُ . وَكَانَ شَاعِراً ذَكَرَ لَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ قَوْلَهُ :

هَجَمَ الْبَرْدُ وَلَا أَمْـ ـلِكُ إِلَّا رِوَايَةَ الْعَرَبِيَّةْ

(١) نحل : سقم ودق من مرض أو تعب (٢) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه والبازل : البعير الذى طلع نابه .

وَقَمِيصاً لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ لَمْ يَبْـ
ـقَ عَلَى عَاتِقِيَّ مِنْهُ بَقِيَّهْ
هَلْ يَفُلُّ الْفَنَاءَ عَنِّي فُنُونُ الْـ
ـعِلْمِ إِنْ أَعْصَفَتْ شَمَالٌ(١) عَرِيَّهْ ؟

قَالَ : وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ يَرْثِي الطُّوسِيَّ الرَّاوِيَةَ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :

مَنْ عَاشَ لَمْ يَخْلُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنٍ
بَيْنَ الْمَصَائِبِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْمِحَنِ
وَالْمَوْتُ قَصْدُ امْرِئٍ مُدَّ الْبَقَاءُ لَهُ
فَكَيْفَ يَسْكُنُ مِنْ عَيْشٍ إِلَى سَكَنِ
وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ
فَرَاحِلٌ خَلَّفَ الْبَاقِي عَلَى الظُّعُنِ
وَلَا أَرَى زَمَناً أَرْدَى أَبَا حَسَنٍ
وَخَانَ فِيهِ عَلَى حُرٍّ بِمُؤْتَمَنِ

(١) يريد أن يقول : هل يدفع الموت عني ما اتصفت به من العلم إذا هبت العواصف التي تعري المرء من كل أسباب البقاء ؟ ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي .

لَقَدْ هَوَى جَبَلٌ لِلْمَجْدِ لَوْ وُزِنَتْ
بِهِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِى الشُّمُّ(١) لَمْ تَزِنِ
وَأَصْبَحَ الْحَبْلُ حَبْلُ الدِّينِ مُنْتَثِراً(٢)
وَأُدْرِجَ الْعِلْمُ وَالطُّوسِىُّ فِى كَفَنِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِى سَالِفِ الزَّمَنِ
وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِى غَابِرِ الزَّمَنِ(٣) ؟

٤٢ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ *

علی بن عبد الله المعروف بالشبیه

ابْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالشَّبِيهِ. سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُظَفَّرِ، وَكَتَبَ عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ وَقَالَ: كَانَ دَيِّناً حَسَنَ الِاعْتِقَادِ يُوَرِّقُ بِأُجْرَةٍ وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَيُوَاسِى الْفُقَرَاءَ مِنْ كَسْبِهِ، سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ: وُلِدْتُ فِى لَيْلَةِ

(١) الشم : العالية (٢) منتثراً : متفككا (٣) الغابر : المستقبل

(*) راجع المنهل الصافى جزء ٣ ص ٤٠٧

عِيدِ الْأَضْحَى سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

قَالَ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ الْعُمَرِيُّ النَّسَّابَةُ فِي كِتَابِ الشَّافِي فِي النَّسَبِ مِنْ تَصْنِيفِهِ : وَمِنْهُمْ « يَعْنِي مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » زَيْدٌ النَّسَّابَةُ الْجَلِيلُ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَبْسُوطِ ، « وَيُلَقَّبُ الشَّبِيهَ » ابْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ الشَّهِيدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمِنْ وَلَدِهِ بِبَغْدَادَ أَبُو الْفَضْلِ الْحَسَنُ صَاحِبُ الْعَوْجَاءِ ، وَأَخُوهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيٌّ الْمُوَضِّحُ النَّاسِخُ ، لَهُ خَطٌّ مَلِيحٌ ابْنَا أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ النَّقِيبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ الشَّبِيهِ ، بِهِ يُعْرَفُونَ ، « وَلَهُ بَقِيَّةٌ » . وَجَدْتُ عَلَى ظَهْرِ دِيوَانِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ بِخَطِّ ابْنِ الشَّبِيهِ وَكَانَ الدِّيوَانُ كُلُّهُ بِخَطِّهِ :

دِيوَانُ عُرْوَةَ الْعَبْسِيِّ أَوْضَحَهُ
خَطُّ امْرِئٍ زَادَهُ حُسْنًا وَتَبْيِينًا

نَجْلُ الأَكَارِمِ مِنْ آلِ الشَّبِيهِ فَتًى
بِجَدِّهِ خَتَمَ اللهُ النَّبِيِّينَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ مَادَجَا غَسَقٌ
وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا

﴿ ٤٣ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ * ﴾

علي بن عبد الله النيسابوري

الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي الطَّيِّبِ، مَوْلِدُهُ بِنَيْسَابُورَ، وَمَوْطِنُهُ قَصَبَةُ سَابْزَوَارَ، وَكَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالقُرْآنِ وَبِتَفْسِيرِهِ، مَاتَ فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ سَابْزَوَارَ، وَقَدْ عَمِلَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَمْرٍو مِنْ دَهَاقِينِ وَمَيْمُولَانَ مَدْرَسَةً بِاسْمِهِ فِي مَحَلَّةِ أُسْفِرِيسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَثَرُهَا إِلَى الْآنِ بَاقٍ، وَكَانَ لَهُ تَلَامِيذُ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو وَغَيْرُهُ، وَلَهُ

(*) ترجم له في كتاب طبقات المفسرين وفي تاريخ بغداد ج ١٢

عِدَّةُ تَصَانِيفَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْهَا : كِتَابُ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ فِي ثَلَاثِينَ مُجَلَّدًا ، وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ الْأَوْسَطِ أَحَدَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ الصَّغِيرِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ .

وَكَانَ يُمْلِي ذَلِكَ مِنْ حِفْظِهِ ، وَلَمَّا مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ لَمْ يُوجَدْ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ إِلَّا أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، أَحَدُهَا فِقْهِيٌّ ، وَآخَرُ أَدَبِيٌّ ، وَمُجَلَّدَانِ فِي التَّارِيخِ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ سَابْزَوَارَ ، وَعِنْدَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مُجَرَّبَةٌ ، وَحُمِلَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ إِلَى السُّلْطَانِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَشَرَعَ فِي رِوَايَةِ خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ أَمْرٍ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ لِغُلَامٍ : يَاغُلَامُ دِهْ رَأْسَهُ ، فَلَكَمَهُ عَلَى رَأْسِهِ لَكْمَةً كَانَتْ سَبَبًا إِلَى قِلَّةِ سَمْعِهِ وَطَرَشِهِ ، ثُمَّ عَرَفَ السُّلْطَانُ مَنْزِلَتَهُ مِنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالنَّزَاهَةِ وَالْوَرَعِ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَقَالَ : لَاحَاجَةَ لِي فِي الْمَالِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنِّي قَبِلْتُهُ وَهُوَ سَمْعِي ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : أَيُّهَا

الرَّجُلُ، إِنَّ لِلْمُلْكِ صَوْلَةً وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى السِّيَاسَةِ، وَرَأَيْتُكَ قَدْ تَعَدَّيْتَ الْوَاجِبَ بَجْرَى مِنِّي مَاجَرَى، وَالْآنَ فَأُحِبُّ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ. فَقَالَ: اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالْمِرْصَادِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّمَا أَحْضَرْتَنِي لِسَمَاعِ الْوَعْظِ وَأَخْبَارِ الرَّسُولِ وَالْخُشُوعِ، لَا لِإِقَامَةِ قَوَانِينِ الْمُلْكِ وَاسْتِعْمَالِ السِّيَاسَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِالْمُلُوكِ وَأَمْثَالِهِمْ لَا بِالْعُلَمَاءِ، نَخَجِلَ السُّلْطَانُ وَجَبَذَ(١) بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ. وَمِنْ كَلَامِهِ فِي خُطْبَةِ التَّفْسِيرِ: الزَّمَانُ زَمَانُ سُفَهَاءِ السُّفْلِ، وَالْقِرَانُ قِرَانُ انْقِلَابِ النِّحَلِ، وَالْفَضْلُ فِي أَبْنَائِهِ فُضُولٌ، وَطُلُوعُ التَّمْيِيزِ فِيهِمْ أُفُولٌ، وَالدِّينُ دَيْنٌ، وَالدُّنْيَا عَيْنٌ، وَإِنْ تَحَلَّى أَحَدُهُمْ بِالْعُلُومِ، وَادَّعَى أَنَّهُ فِي الْخُصُوصِ مِنَ الْعُمُومِ، فَغَايَتُهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ مَعَانِيهِ، وَيَتَحَلَّى بِالْفَضْلِ وَهُوَ لَا يُدَانِيهِ، وَيَجْمَعَ الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ، وَهُوَ فِيهَا مَثَلُ

---

(١) جبذ : جذب

الحِمَارِ يَحْمِلُ الأَسْفَارَ (١) . وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي (٢) دُمْيَةِ القَصْرِ :

فَلَكُ (٣) الأَفَاضِلِ أَرْضُ نَيْسَابُورِ
مُرْسَى الأَنَامِ وَلَيْسَ مُرْسَى بُورِ (٤)

دُعِيَتْ أَبْرَشَهْرَ (٥) البِلَادِ لِأَنَّهَا
قُطْبٌ وَسَائِرُهَا رُسُومُ السُّورِ

هِيَ قُبَّةُ الإِسْلَامِ نَائِرَةُ الصُّوَى (٦)
فَكَأَنَّهَا الأَقْمَارُ فِي الدَّيْجُورِ (٧)

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَلْقَهُ بِمَهَابَةٍ
زُفَّتْ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ المَوْفُورِ

لَهُمُ الأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي كُلُّهَا
وَمَدَى سِوَاهُمْ رُتْبَةُ المَأْمُورِ

نَقَلْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ تَارِيخِ بَيْهَقَ لِأَبِي الحَسَنِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ البَيْهَقِيِّ مُصَنِّفِ كِتَابِ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ .

(١) الأسفار : الكتب يشير إلى قوله تعالى : « كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

(٢) أي المذكور في كتاب دمية القصر (٣) الفلك : من كل شيء : مستداره ومعظمه (٤) البور : الذي لاخير فيه (٥) أبرشهر : مدينة بنيسابور . وهي بفتح الهمزة وسكون الباء وفتح الراء ولضرورة الشعر ضبطت كما ترى .

(٦) الصوى : الدلائل في الطريق (٧) الديجور : الظلام .

﴿ ٤٤ – عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْصَمِ * ﴾

على بن عبد الله الهروى

الْهَرَوِيُّ الْإِمَامُ صَدْرُ الْإِسْلَامِ مَاتَ « انْقَطَعَ فِي الْأَصْلِ » ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ فَقَالَ : قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ أَطْوَرَيْهِ (١) ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ ، وَرَسَتْ بِالْفَصَاحَةِ قَوَاعِدُهُ ، وَاشْتَدَّ بِالزَّهَادَةِ سَاعِدُهُ ، وَقَدِ اخْتَلَفْتُ مُدَّةً مَدِيدَةً إِلَيْهِ ، وَقَرَأْتُ مَا شِئْتُ مِنْ دَقَائِقِ الْعُلُومِ عَلَيْهِ ، وَوَجَدْتُهُ حَالًّا عُقُودَ الْمُشْكِلَاتِ ، فَاتِقَ رُتُوقِ الْمُعْضِلَاتِ ، وَلَعَمْرِى إِنَّهُ – رَحِمَهُ اللهُ – كَشَفَ عَنِ الْعُلُومِ نِقَابَهَا ، وَرَفَعَ عَنِ الْحَقَائِقِ حِجَابَهَا ، فَلَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ فَاضِلٌ إِلَّا وَقَدِ اغْتَرَفَ مِنْ بِحَارِهِ ، وَاقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ ، وَسَعْيُهُ مَشْهُورٌ ، وَسَعْيُ النَّاظِرِ فِيهِ مَشْكُورٌ ، وَمِنْ تَصَانِيفِهِ : كِتَابُ مِفْتَاحِ الْبَلَاغَةِ ، كِتَابُ الْبَسْمَلَةِ ،

---

(١) بلغ من العلم أطوريه : أى أوله وآخره

(*) راجع تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٥

كِتَابُ نَهْجِ الرَّشَادِ ، كِتَابُ عُقُودِ الْجَوَاهِرِ ، كِتَابُ لَطَائِفِ النُّكَتِ ، كِتَابُ تَصْفِيَةِ الْقُلُوبِ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ . وَمِنْ مَنْظُومِهِ :

ضَحِكَ الرَّبِيعُ بِعَبْرَةِ الْأَنْدَاء (١)
وَمِنَ الْعَجَائِبِ ضَاحِكٌ بِبُكَاء
خَرَجَتْ لَهُ نَحْوَ الشِّتَاء كَتِيبَةٌ
ذُعِرَتْ مَوَاكِبُهُ عَنِ الصَّحْرَاء
رَكِبَتْ فَوَارِسُهُ الْهَوَاءَ تَجَرَّدَتْ
سَيْفاً جَلَا جَيْشَ الدُّجَى بِضِيَاء (٢)
رَقَّ الرَّبِيعُ لَهَا فَأَرْسَلَ نَحْوَهَا
بُشْرَى بِغَيْمٍ فِي نَسِيمِ هَوَاء
وَالْغُصْنُ قُرْطُ أُذْنِهِ بِدَرَاهِمٍ
مَضْرُوبَةٍ مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاء
وَالرَّوْضُ أُلْبِسَ حُلَّةً مَوْشِيَّةً
أَحْسِنْ بِهَا مِنْ صَنْعَةِ الْأَنْدَاء

(١) الأنداء جمع ندى : وهو الماء (٢) السيف هنا : البرق

قُضْبَانُ نَخْلٍ أَخْرَجَتْ ذَهَبًا لَنَا
أَعْجِبْ بِهَا مِنْ صَيْرَفٍ مِعْطَاء
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ تُشْبِهُ صَارِخًا
مُتَظَلِّمًا مُتَشَحِّطًا(١) بِدِمَاء
وَالزَّعْفَرَانُ كَأَنَّمَا فُرِشَتْ بِهِ
دِيبَاجَةٌ نُسِجَتْ مِنَ الْقَمْرَاء (٢)

* * *

سَاءَلْتُهَا هَلَّا بَرَزْتِ لِنَاظِرٍ
صَبٍّ كَئِيبٍ هَائِمٍ بَكَّاء ؟
فَأَبَتْ وَآلَتْ لَا يَحُلُّ نِقَابَهَا
إِلَّا مُجِيرُ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاء

وَلَهُ :

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الْمُبَارَكُ يَا صَدْرُ
وَسَاعَدَكَ الْإِقْبَالُ وَالْيُمْنُ وَالنَّصْرُ
إِذَا مَا أَعَادَ الْعِيدُ لِلنَّاسِ نَضْرَةً
فَقَدْ أُلْبِسَ الْأَعْيَادُ مِنْ وَجْهِكَ الْبِشْرُ

(١) تشحط فى دمه : غرق (٢) القمراء : الخضرة

وَإِنْ نُشِرَتْ أَعْلَامُ دِينِ مُحَمَّدٍ
فَذِكْرُكَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ لَهُ نَشْرُ
وَإِنْ أَحْرَمَ الْحُجَّاجُ عَنْ جُلِّ حَالِهِمْ
فَأَحْرَمَ عَمَّنْ دُونَكَ الْفَضْلُ وَالْفَخْرُ
وَإِنْ كَانَ لَبَّى لِلزِّيَارَةِ مُحْرِمٌ
فَلَبَّى إِلَى أَوْصَافِكَ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
وَإِنْ جَمَعُوا فَرْضَيْنِ ثَمَّ وَقَصَّرُوا(١)
فَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِكَ الْجَمْعُ وَالْقَصْرُ
وَإِنْ طَوَّفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعاً وَأَحْرَمُوا
فَمَا طَافَ إِلَّا بَابَكَ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَإِنْ ضَحَّتِ الْأَقْوَامُ بِالْبُدْنِ سُنَّةً
فَضَحَّ بِمَنْ عَادَاكَ مَا انْفَلَقَ الْفَجْرُ

﴿ ٤٥ — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَصِيفٍ النَّاشِئُ * ﴾

علي بن عبد الله الناشيء

الْخَلَّاءُ، وَيُكْنَى أَبَا الْحُسَيْنِ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ :

(١) المراد التقصير للشعر لأجل التحلل من الاحرام

(*) راجع المنهج الصافي ج ٣ ص ٤٠٧

حَدَّثنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الخَالِعُ قَالَ : حَدَّثنِي النَّاشِىءُ قَالَ : كَانَ جَدِّى وَصِيفٌ مَمْلُوكاً ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أَبِي عَطَّاراً فِي الخَضْرَةِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِىِّ ، وَكُنْتُ لَمَّا نَشَأْتُ مَعَهُ فِي دُكَّانِهِ كَانَ ابْنُ الرُّومِىِّ يَجْلِسُ عِنْدَنَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَكَانَ يَلْبَسُ الدُّرَّاعَةَ[١] وَثِيَابُهُ وَسِخَةٌ ، وَانْقَطَعَ عَنَّا مُدَّةً فَسَأَلْتُ عَنْهُ أَبِي وَقُلْتُ : مَافَعَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْوَسِخُ الثِّيَابِ الَّذِى كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ ذَاكَ ابْنُ الرُّومِىِّ وَقَدْ مَاتَ ، فَنَدِمْتُ أَنْ لَمْ أَكُنْ أَخَذْتُ عَنْهُ شَيْئاً وَلَا عَرَفْتُهُ فِي حَالِ حُضُورِهِ وَتَشَاغَلْتُ بِالصَّنْعَةِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ، ثُمَّ لَقِيتُ ثَعْلَباً وَلَمْ آخُذْ عَنْهُ إِلَّا أَبْيَاتاً مِنْهَا[٢] :

إِنَّ أَخَا الإِخْوَانِ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ[٣]

قَالَ الخَالِعُ : وَكَانَ النَّاشِىءُ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ فِي الْأَدَبِ قَئُوماً[٤] بِالْكَلَامِ وَالْجَدَلِ ، يَعْتَقِدُ الإِمَامَةَ وَيُنَاظِرُ عَلَيْهَا

(١) الدراعة : ثوب من الكتان كان يلبسه العظيم من الأخيار

(٢) كانت فى الأصل « وهي » وأرى أن ما ذكر أولى لأنه لم يذكر له إلا بيتا واحدا . (٣) وبعد البيت

ومن إذا ريب الزمان صدعك   شتت فيك شمله ليجمعك

(٤) قئوما : كثير القيام   « عبد الخالق »

بِأَجْوَدِ عِبَارَةٍ ، فَاسْتَنْفَدَ عُمُرَهُ فِي مَدِيحِ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى عُرِفَ بِهِمْ ، وَأَشْعَارُهُ فِيهِمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً ، وَمَدَحَ مَعَ ذَلِكَ الرَّاضِيَ بِاللهِ وَلَهُ مَعَهُ أَخْبَارٌ ، وَقَصَدَ كَافُوراً الْإِخْشِيدِيَّ بِمِصْرَ وَامْتَدَحَهُ ، وَامْتَدَحَ ابْنَ حِنْزَابَةَ وَكَانَ يُنَادِمُهُ ، وَطَرِيَ[1] إِلَى الْبَرِيدِيِّ بِالْبَصْرَةِ ، وَإِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ ، بِأَرَّجَانَ ، وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ عَلَى مَا خَبَّرَنِي بِهِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكُنْتُ حِينَئِذٍ بِالرَّيِّ فَوَرَدَ كِتَابُ ابْنِ بَقِيَّةَ إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ بِخَبَرِهِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ شَيَّعَ جَنَازَتَهُ مَاشِياً وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ كُلُّهُمْ ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ قُرَيْشٍ وَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَعْرُوفٌ .

قَالَ الْخَالِعُ : وَلَمْ يُخَلِّفْ عَقِباً وَلَا عَلِمْتُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ قَطُّ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الْأَحْدَاثِ وَلَا يَشْرَبُ النَّبِيذَ ، وَلَهُ فِي الْمُجُونِ وَالْوَلَعِ طَبَقَةٌ عَالِيَةٌ ، وَعَنْهُ أَخَذَ مُجَّانُ بَابِ الطَّاقِ

---

(١) طرى إليه : أقبل

كُلُّهُمْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، وَكَانَ يَخْلِطُ بِجَدَلِهِ وَمُنَاظَرَاتِهِ هَزْلًا مُسْتَمْلَحًا وَمُجُونًا مُسْتَطَابًا يَعْتَمِدُ بِهِ إِخْجَالَ خَصْمِهِ ، وَكَسْرَ حَدِّهِ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَشْهُورَةٌ ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تَخْدُمُهُ ، فَدَخَلَ يَوْمًا إِلَى دَارِ أُخْتِهِ وَأَنَا مَعَهُ ، فَرَأَى صَبِيًّا صَغِيرًا أَسْوَدَ فَقَالَ لَهَا : مَنْ هَذَا ؟ فَسَكَتَتْ فَأَلَحَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : ابْنُ بِشَارَةَ ، فَقَالَ : مِمَّنْ ؟ فَقَالَتْ مِنْ أَجْلِ هَذَا أَمْسَكْتُ ، فَاسْتَدْعَى الْجَارِيَةَ وَقَالَ لَهَا : هَذَا الصَّبِيُّ مَنْ أَبُوهُ ؟ فَقَالَتْ مَالَهُ أَبٌ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : سَلِّمْ إِذًا عَلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : حَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ : حَدَّثَنِي النَّاشِيءُ قَالَ : أَدْخَلَنِي ابْنُ رَائِقٍ عَلَى الرَّاضِي بِاللهِ ، وَكُنْتُ مَدَّاحًا لِابْنِ رَائِقٍ وَنَافِقًا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الرَّاضِي قَالَ لِي : أَنْتَ النَّاشِيءُ الرَّافِضِيُّ ؟ فَقُلْتُ : خَادِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشِّيعِيُّ . فَقَالَ : مِنْ أَيِّ الشِّيعَةِ ؟ فَقُلْتُ : شِيعَةِ بَنِي هَاشِمٍ : فَقَالَ : هَذَا خُبْثُ حِيلَةٍ . فَقُلْتُ : مَعَ

طَهَارَةِ مَوْلِدٍ . فَقَالَ هَاتِ مَا مَعَكَ . فَأَنْشَدْتُهُ فَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيَّ عَشْرُ قِطَعٍ ثِيَابًا ، وَأُعْطِي أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَأُخْرِجَ إِلَيَّ ذَلِكَ وَتَسَلَّمْتُهُ وَعُدْتُ إِلَى حَضْرَتِهِ فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَشَكَرْتُهُ وَقُلْتُ : أَنَا مِمَّنْ يَلْبَسُ الطَّيْلَسَانَ . فَقَالَ : هَا هُنَا طَيَالِسُ عَدَنِيَّةٌ ، أَعْطُوهُ مِنْهَا طَيْلَسَانًا ، وَأَضِيفُوا إِلَيْهَا عِمَامَةَ خَزٍّ فَفَعَلُوا . فَقَالَ : أَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِكَ فِي بَنِي هَاشِمٍ فَأَنْشَدْتُهُ :

بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ لَكُمْ دِمَاءً
أَرَاقَتْهَا أُمَيَّةُ بِالذُّحُولِ
فَلَيْسَ بِهَاشِمِيٍّ مَنْ يُوَالِي
أُمَيَّةَ وَاللَّعِينَ أَبَا زَبِيلِ

فَقَالَ : مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِي زَبِيلٍ ؟ فَقُلْتُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ . فَابْتَسَمَ وَقَالَ : انْصَرِفْ . قَالَ الْخَالِعُ : وَشَاهَدْتُ الْعِمَامَةَ وَالطَّيْلَسَانَ مَعَهُ وَبَقِيَا عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ شَيْخًا طَوِيلًا جَسِيمًا

عَظِيمَ الخِلْقَةِ ، عَرِيضَ الأَلْوَاحِ ، مُوَفَّرَ القُوَّةِ ، جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ ، عُمِّرَ نَيِّفًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، لَمْ تَضْطَرِمْ (١) أَسْنَانُهُ ، وَلَا قَلَعَ سِنًّا مِنْهَا وَلَا مِنْ أَضْرَاسِهِ . وَكَانَ يَعْمَلُ الصُّفْرَ وَيُخَرِّمُهُ ، وَلَهُ فِيهِ صَنْعَةٌ بَدِيعَةٌ . قَالَ : وَمِنْ عَمَلِهِ قِنْدِيلٌ بِالْمَشْهَدِ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ مُرَبَّعٌ غَايَةٌ فِي حُسْنِهِ .

قَالَ الخَالِعُ : وَمِنْ مُجُونِهِ فِي المُنَاظَرَاتِ وَغَيْرِهَا : أَنَّهُ نَاظَرَ أَبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ فِي مَسْأَلَةٍ فَانْقَطَعَ الرُّمَّانِيُّ وَقَالَ : أُعَاوِدُ النَّظَرَ ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي أَصْحَابِي مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي بِهَذِهِ المَسْأَلَةِ ، فَإِنْ ثَبَتَ الحَقُّ مَعَكَ وَافَقْتُكَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ يَنْدُدُ بِهِ . وَدَخَلَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ أَحَدُ المُعْتَزِلَةِ فَقَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ يَا أَبَا الحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ : فِي ثِيَابِنَا ، فَقَالَ : دَعْنَا مِنْ مُجُونِكَ وَأَعِدِ المَسْأَلَةَ ، فَلَعَلَّنَا أَنْ نَقْدَحَ فِيهَا فَقَالَ : كَيْفَ تَقْدَحُ وَحُرَاقُكَ (٢) رَطْبٌ ؟ وَمِنْهُ حِكَايَتُهُ المَشْهُورَةُ مَعَ الأَشْعَرِيِّ الَّذِي نَاظَرَهُ فَصَفَعَهُ فَقَالَ :

---

(١) فى الأصل : « تضطرب » (٢) الحراق كغراب وكتاب : نار لاتبقى شيئاً فمع أن هذا معنى الحراق فانه رطب عند الخاطب

مَا هَذَا يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ : هَذَا فِعْلُ اللهِ بِكَ ، فَلِمَ تَغْضَبُ مِنِّى ؟ فَقَالَ : مَا فَعَلَهُ غَيْرُكَ ، وَهَذَا سُوءُ أَدَبٍ وَخَارِجٌ عَنِ الْمُنَاظَرَةِ ، فَقَالَ : نَاقَضْتَ . إِنْ أَقَمْتَ عَلَى مَذْهَبِكَ فَهُوَ مِنْ فِعْلِ اللهِ ، وَإِنِ انْتَقَلْتَ تَخُذِ الْعِوَضَ ، فَانْقَطَعَ الْمَجْلِسُ بِالضَّحِكِ وَصَارَتْ نَادِرَةً .

« قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ تَعَالَى مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : لَوْ كَانَ الْأَشْعَرِىُّ مَاهِراً لَقَامَ إِلَيْهِ وَصَفَعَهُ أَشَدَّ مِنْ تِلْكَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، تِلْكَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِى ، وَهَذِهِ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِكَ ، فَتَصِيرُ النَّادِرَةُ عَلَيْهِ لَا لَهُ » .

قَالَ الْخَالِعُ : فَأَنْشَدَنِى يَوْماً لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

تِجَاهُ الشَّطَا جَنْبُ الْحِمَى فَالْمُشَرَّفُ
حِيَالُ الرُّبَى فَالشَّاهِقُ الْمُتَشَرِّفُ

فَقُلْتُ لَهُ بِمَ ارْتَفَعَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَهِىَ ظُرُوفٌ ؟ فَقَالَ بِمَا يَسُوءُكَ ، وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

طُلُولٌ أَطَالَ الْحُزْنَ لِى حَزْنُ نَهْجِهَا (١)
وَأَلْزَمَنِى وَجْداً عَلَيْهَا التَّأَسُّفُ

(١) يريد صعوبة طريقها

فَإذَا حَمَلَ مَا قَالَهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الظُّرُوفَ هِيَ الطُّلُولُ، وَهِيَ: مَاشَخَصَ مِنَ الْأَرْضِ، وَجُعِلَتْ شُخُوصاً جَازَ الرَّفْعُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، وَإِنْ جُعِلَتْ مَحَالَّ (١) لِلطُّلُولِ فَلَيْسَ إِلَّا النَّصْبُ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

وَقَفْتُ عَلَى أَرْجَائِهَا أَسْأَلُ الرُّبَى
عَنِ الْخُرَّدِ (٢) الْأَتْرَابِ وَالدَّارُ صَفْصَفُ
وَكَيْفَ يُجِيبُ السَّائِلِينَ مَرَابِعٌ
عَفَتْهَا (٣) شَآبِيبٌ مِنَ الْمُزْنِ وُكَّفُ؟

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ الْخَمْرِ:

دِنَانٌ (٤) كَرُهْبَانٍ عَلَيْهَا بَرَانِسٌ
مِنَ الْخَزِّ دُكْنٌ (٥) يَوْمَ فِصْحٍ تُصَفَّفُ

(١) كانت فى الأصل بالتنوين والألف (٢) الخرد: جمع خريدة: وهى البكر، والأتراب: المساوون فى السن (٣) عفتها: محتها، شآبيب جمع شؤبوب: وهى الدفعة من المطر، والمزن: السحب التى بها ماء، وكف: سائلة منهمرة.
(٤) الدن. الاناء العظيم ويسمى الراقود، والبرانس: ثياب الرهبان
(٥) جمع أدكن، وهو المائل إلى السواد وكانت فى الأصل «رقش»

يُنظَّمُ منها المَزجُ سِلكاً كأنَّهُ
إذا ما بدا في الكأسِ دُرٌّ مُنصَّفُ

وَمِنْ مُجُونِ النَّاشِىءِ : أنَّهُ نَاظرَ بعضَ الْمُجبِرَةِ فَحرَّكَ الْجَبْرِي يَدَهُ فقَالَ لِلنَّاشِيءِ : هَذِهِ مَنْ حَرَّكَهَا ؟ فقَالَ النَّاشِيءُ : مَنْ أُمُّهُ زَانِيَةٌ . فَغَضِبَ الرَّجُلُ فقَالَ لَهُ : نَاقَضْتَ ، إذَا كَانَ الْمُحرِّكُ غيرَكَ فلِمَ تَغضَبُ ؟.

« قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الفقِيرُ إِليْهِ : وَهذا أيضاً كُفْرٌ وَبُهتٌ ، لِأَنَّ الْمُحرِّكَ لَهَا عَلَى اعْتِقَادِ النَّاشِيءِ مُنَاظِرُهُ ، فَيَكُونُ قَدْ أَسَاءَ الْعِشْرَةَ مَعَ جَلِيسِهِ ، وَعَلَى مَذْهَبِ صَاحِبِهِ الْخَالِقُ ، فَيَكُونُ قَدْ كَفَرَ ، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ مُسِيءٌ . »

وَسَمِعَ يوماً رَجُلاً يُنادِي عَلَى لَحمِ الْبَقَرِ : أَيْنَ مَنْ حَلفَ أَلاَّ يُغبَنَ ؟ فقَالَ لَهُ « إِيشْ » تُرِيدُ مِنْهُ ؟ تُرِيدُ أَنْ تُحَنِّثَهُ ؟

وَلَقَّبَ رَجُلاً مِنْ بَابِ الطَّاقِ بِالْأَبْعَدِ ، وَلَقَّبَ آخرَ بِالْآخِرِ ، وَهَاتَانِ لَفظَتَانِ جَامِعَتَانِ لِكُلِّ سَبٍّ وَقَذْفٍ ، لِأَنَّ النَّاسَ مُغرَوْنَ بِإِلْحَاقِ كُلِّ قَبِيحٍ فَظِيعٍ بِهِمَا ، عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ وَالِاسْتِرَاحَةِ فِي الْكَلَامِ إِلَيْهِمَا .

قَالَ الخَالِعُ : وَحَدَّثنِي النَّاشِئ قَالَ : لَمَّا وَفَدْتُ عَلى سَيفِ الدَّوْلَةِ وَقَعَ فِي أَبُو العَبَّاسِ النَّامِي وَقَالَ : هَذا يكْتُبُ التَّعَاوِيذَ . فقُلْتُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ : يَتَأَمَّلُ الأَمِيرُ فَإِنْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ يُكْتَبَ مِثْلُهُ عَلَى المَسَاجِدِ بِالزَّنْجِ (١) فَالقَوْلُ كَمَا قَالَ . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا :

أَلدَّهْرُ أَيَّامُهُ مَاضٍ وَمُرْتَقَبُ

وَقُلْتُ فِيهَا :

فَارْحَلْ إِلَى حَلَبٍ فَالْخَيْرُ مُنْحَلِبٌ
مِنْ نَيْلِ كَفِّكَ إِنْ لَاحَتْ لَنَا حَلَبُ

فَقَالَ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ : بَيْتٌ جَيِّدٌ لَكِنَّهُ كَثِيرُ اللَّبَنِ . وَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً أُخْرَى أَقُولُ فِيهَا :

كَأَنَّ مَشِيبِي إِذْ يَلُوحُ عَقَارِبٌ
وَأَقْتَلُ مَا أَبْصَرْتَ بِيضُ الْعَقَارِبِ

(١) فى الأصل : الديخ . والزنج والزونج : الدرهم الصغير الخفيف .

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُوذَةٌ فِي تَمِيمَةٍ (١)
وَقَدْ حُلِيَتْ وَاسْتُودِعَتْ حِرْزَ كَاعِبِ (٢)

وَحَدَّثَ الْخَالِعُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ النَّاشِيءُ قَالَ : كُنْتُ بِالْكُوفَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَنَا أُمْلِي شِعْرِي فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِهَا وَالنَّاسُ يَكْتُبُونَهُ عَنِّي ، وَكَانَ الْمُتَنَبِّي إِذْ ذَاكَ يَحْضُرُ مَعَهُمْ وَهُوَ بَعْدُ لَمْ يُعْرَفْ وَلَمْ يُلَقَّبْ بِالْمُتَنَبِّي ، فَأَمْلَيْتُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أَوَّلُهَا :

بِآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَبْيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

وَقُلْتُ فِيهَا :

كَأَنَّ سِنَانَ ذَابِلِهِ ضَمِيرٌ فَلَيْسَ عَنِ الْقُلُوبِ لَهُ ذَهَابُ
وَصَارِمَهُ كَبَيْعَتِهِ بِخُمٍّ (٣) مَقَاصِدُهَا مِنَ الْخَلْقِ الرِّقَابُ

فَلَمَحْتُهُ يَكْتُبُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَمِنْهَا أَخَذَ مَا أَنْشَدْتُمُونِي الْآنَ مِنْ قَوْلِهِ :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ
وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ

(١) العوذة : الرقية ، والتميمة : ما يعلق على الصبي يزعم العوام أنها تمنع عنه النظرة وهي المسماة « حجاب » (٢) الكاعب : الجارية التي نهد ثديها
(٣) تقدم له ذكر في بعض التراجم .

وَقَدْ صُغْتَ الأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ
فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

قَالَ الْخَالِعُ : وَأَصْلُ هٰذَا لِأَبِي تَمَّامٍ :

مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ(١) نَظَّارٍ بِلَا نَظَرٍ
إِلَى الْمَقَاتِلِ مَافِي مَتْنِهِ أَوَدُ(٢)
كَأَنَّهُ كَانَ تِرْبَ الْحُبِّ مُذْ زَمَنٍ
فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلَا كَبِدُ

وَعَلَيْهِ وَقَعَ(٣) الْمُتَنَبِّي وَسَبَقَ إِلَى ذَلِكَ دِيكُ الْجِنِّ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ :

قَناً تَنْصَبُّ فِي ثُغَرِ التَّرَاقِي
كَمَا يَنْصَبُّ فِي الْمُقَلِ الرُّقَادُ(٤)

---

(١) الأزرق : السنان والرمح (٢) الأود : الاعوجاج ، والمقاتل جمع مقتل : المكان الذى يكون منه الموت . (٣) كانت فى الأصل « وضع »

(٤) كانت فى الأصل : « قى ينصب فى ثغر القواق » فأصلحت إلى ما ترى وقد جهدت أن أعثر عليه فى مظانه كشرح العكبرى وكتابى الابانة فى سرقات المتنبي والوساطة وما شاكل ذلك فلم أجدها

والبيت لديك الجن واسمه عبد السلام بن رغبان بفتح الراء — والثغر جمع ثغرة : وهى النقرة فى النحر ، وكل نقرة بين عظمى الترقوتين .

« عبد الخالق »

وَأَبْيَاتُ الْمُتَنَبِّي أَمْثَلُ مِنَ الْجَمِيعِ إِذَا تُرِكَتِ الْعَصَبِيَّةُ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ: حَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ وَالِدِي فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ وَأَنَا صَبِيٌّ فِي مَجْلِسِ الْكَبُوذِيِّ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بَيْنَ الْوَرَّاقِينَ وَالصَّاغَةِ وَهُوَ غَاصٌّ بِالنَّاسِ، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ وَافَى وَعَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ وَفِي يَدِهِ سَطِيحَةٌ وَرَكْوَةٌ (١) وَمَعَهُ عُكَّازٌ وَهُوَ شَعِثٌ فَسَلَّمَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِصَوْتٍ يَرْفَعُهُ ثُمَّ قَالَ: أَنَا رَسُولُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا، فَقَالُوا: مَرْحَباً بِكَ وَأَهْلاً وَرَفَعُوهُ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ لِي أَحْمَدَ الْمُزَوِّقَ النَّائِحَ؟ فَقَالُوا: هَاهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: رَأَيْتُ مَوْلَاتَنَا عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي النَّوْمِ فَقَالَتْ لِي: امْضِ إِلَى بَغْدَادَ وَاطْلُبْهُ وَقُلْ لَهُ نُحْ عَلَى ابْنِي بِشِعْرِ النَّاشِىءِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

بَنِي أَحْمَدٍ قَلْبِي لَكُمْ يَتَقَطَّعُ
بِمِثْلِ مُصَابِي فِيكُمْ لَيْسَ يُسْمَعُ

وَكَانَ النَّاشِىءُ حَاضِراً فَلَطَمَ لَطْماً عَظِيماً عَلَى وَجْهِهِ وَتَبِعَهُ

(١) المرقعة: الثوب المرقع، والسطيحة: المزادة، والركوة: الدلو الصغير

الْمُزَوِّقُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ . وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ فِي ذَلِكَ النَّاشِىءُ ثُمَّ الْمُزَوِّقُ ، ثُمَّ نَاحُوا بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَنْ صَلَّى النَّاسُ الظُّهْرَ وَتَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ ، وَجَهَدُوا بِالرَّجُلِ أَنْ يَقْبَلَ شَيْئًا مِنْهُمْ فَقَالَ : وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الدُّنْيَا مَا أَخَذْتُهَا ، فَإِنَّنِي لَا أَرَى أَنْ أَكُونَ رَسُولَ مَوْلَاتِي عَلَيْهَا السَّلَامُ ثُمَّ آخُذَ عَنْ ذَلِكَ عِوَضًا وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَقْبَلْ شَيْئًا . قَالَ : وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَهِيَ بِضْعَةَ عَشَرَ بَيْتًا :

عَجِبْتُ لَكُمْ تَفْنَوْنَ قَتْلًا بِسَيْفِكُمْ
وَيَسْطُو عَلَيْكُمْ مَنْ لَكُمْ كَانَ يَخْضَعُ
كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ
وَأَجْسَامُكُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُوَزَّعُ

قَالَ : وَحَدَّثَنِي الْخَالِعُ قَالَ : اجْتَزْتُ بِالنَّاشِىءِ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي السَّرَّاجِينَ فَقَالَ لِي : قَدْ عَمِلْتُ قَصِيدَةً وَقَدْ طُلِبَتْ وَأُرِيدُ أَنْ تَكْتُبَهَا بِخَطِّكَ حَتَّى أُخْرِجَهَا فَقُلْتُ : أَمْضِي فِي

حَاجةٍ وَأَعودُ، وَقَصَدْتُ الْمَكَانَ الَّذِى أَرَدْتُهُ وَجلستُ فِيهِ فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي فَرَأَيتُ فِى مَنَامِى أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الْعَزِيزِ الشَّطْرَنْجِىَّ النَّائِحَ فَقَالَ لِى: أُحِبُّ أَنْ تَقُومَ فَتَكْتُبَ قَصِيدَةَ النَّاشِىءِ الْبَائِيَّةَ فَإِنَّا قَدْ نُحْنَا بِهَا الْبَارِحَةَ بِالْمَشْهَدِ، وَكَانَ هَذَ الرَّجلُ قَدْ تُوُفِّىَ وَهُوَ عَائِدٌ مِنَ الزِّيَارَةِ، فَقُمْتُ وَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ: هَاتِ الْبَائِيَةَ حَتَّى أَكْتُبَهَا فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهَا بَائِيَّةٌ؟ وَمَا ذَكَرْتُ بِهَا أَحداً، فَحَدَّثْتُهُ بِالْمَنَامِ فَبَكَى وَقَالَ: لَاشَكَّ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ دَنَا فَكَتَبْتُهَا فَكَانَ أَوَّلُهَا:

رَجَائِي بَعِيدٌ وَالْمَمَاتُ قَرِيبُ
وَيُخْطِىءُ ظَنِّى وَالْمَنُونُ تُصِيبُ

وَمِنْ شِعْرِ النَّاشِىءِ:

وَلَيْلٍ تَوَارَى النَّجْمُ مِنْ طُولِ مُكْثِهِ
كَمَا ازْوَرَّ مَحْبُوبٌ لِخَوْفِ رَقِيبِهِ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا فِيهِ بَاقَةُ نَرْجِسٍ
يُحَيِّى بِهَا ذُو صَبْوَةٍ لِحَبِيبِهِ

وَلَهُ :

وَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَفَتْ
لَمَّا دَنَتْ مِنْ نَارِ وَجْنَتِهِ

قَرَأْتُ بِخَطِّ بَدِيعِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَمَذَانِيِّ فِيمَا قَرَأَهُ عَلَى ابْنِ فَارِسٍ اللُّغَوِيِّ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ النَّاشِئَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَصِيفٍ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُغَلِّسِ الْفَقِيهِ فَانْقَلَبَتْ مَحْبَرَةٌ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَ عَلَى ثِيَابِي ، فَدَخَلَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَحَمَلَ إِلَيَّ قَمِيصاً دَبِيقِيًّا وَرِدَاءً حَسَناً . قَالَ : فَأَخَذْتُهُمَا وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي وَغَسَلْتُ ثِيَابِي وَلَبِسْتُهُمَا وَرَدَدْتُ الْقَمِيصَ وَالرِّدَاءَ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ . فَلَمَّا رَآهُمَا غَضِبَ غَضَباً شَدِيداً وَقَالَ : الْبَسْهُمَا لَوْلَا أَنَّكَ تَتَوَشَّحُ بِالْأَدَبِ لَجَفَوْتُكَ

« وَهَذِهِ حِكَايَةٌ (١) وَجَدْتُهَا بَعْدَ أَخْبَارِ النَّاشِئِ بِخَطِّ الْمُصَنِّفِ »

---

(١) بعد أن تستقصى قراءة الحكاية ترى أن لا مناسبة بينها وبين ترجمة الناشىء « عبد الخالق »

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ فِي عُقَلَاءِ الْمَجَانِينَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى الْكَاتِبُ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا فِي صَحْنِ دَارِي إِذَا حِجَارَةٌ قَدْ سَقَطَتْ عَلَيَّ بِالْقُرْبِ مِنِّي، فَبَادَرْتُ هَارِبًا وَأَمَرْتُ الْغُلَامَ بِالصُّعُودِ إِلَى السُّطُوحِ وَالنَّظَرِ مِنْ أَيْنَ أَتَتْنَا الْحِجَارَةُ؟ فَرَجَعَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا مَوْلَايَ امْرَأَةٌ مِنْ دَارِ ابْنِ الرُّومِيِّ الشَّاعِرِ تَقُولُ: اللهَ اللهَ فِينَا، اسْقُونَا مَاءً وَإِلَّا مِتْنَا عَطَشًا، فَإِنَّ الْبَابَ عَلَيْنَا مُقْفَلٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِسَبَبِ تَطَيُّرِ صَاحِبِنَا، فَإِنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَتَعَوَّذُ وَيَقْرَأُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ، فَيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى خَلَلٍ مِنَ الْبَابِ فَتَقَعُ عَلَى جَارٍ لَهُ نَازِلٍ بِإِزَائِهِ وَكَانَ أَعْوَرَ، فَإِذَا بَصُرَ بِهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَتَرَكَ الْبَابَ عَلَى حَالِهِ سَائِرَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ. فَدَفَعَ إِلَيْهَا مَا طَلَبَتْهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ غَدٍ وَجَّهْتُ بِخَادِمٍ لِي اسْمُهُ طَاهِرٌ، وَكَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَعْرِفُهُ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى بَابِهِ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى بَعْضِ

الْغِلْمَانِ فِي الْمَصِيرِ إِلَى الْأَعْوَرِ بِرِسَالَتِي وَمَسْأَلَتِهِ الْمَصِيرَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا زَالَ الرَّجُلُ عَنْ مَوْضِعِهِ دَقَّ الْخَادِمُ الْبَابَ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ وَخَاطَبَهُ وَسَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَيَّ أَيْضاً . قَالَ الْخَادِمُ : فَخَرَجَ فَوَضَعَ عَيْنَهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى وَلَمْ يَرَ جَارَهُ فَفَتَحَ الْبَابَ وَخَرَجَ لَا تُقْلِعُ عَيْنُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيَّ ، وَلَا يَصْرِفُ كَلَامَهُ إِلَّا إِلَى نَاحِيَتِي .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : فَإِنِّي لَجَالِسٌ أَنْتَظِرُهُ ، وَقَدِ انْصَرَفَ الْأَعْوَرُ إِذْ وَافَانِي أَبُو خَدِيجَةَ الطَّرَسُوسِيُّ ، وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي ، وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ بِرَذَعَةَ(١) لِيُوَصِّلَهُ إِلَى الْحَسَنِ ابْنِهِ لِيَتَوَلَّى تَسْلِيمَهُ إِلَى ابْنِ رَاشِدٍ ، فَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ إِذْ دَخَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ مَعَ الْخَادِمِ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا تَخَطَّى عَتَبَةَ بَابِ الصَّحْنِ عَثَرَ فَانْقَطَعَ شِسْعُ(٢) نَعْلِهِ فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلَ مَذْعُوراً ، فَقُلْتُ لَهُ :

---

(١) برذعة هذا : رجل موسوس (٢) الشسع : زمام النعل « رباطه » وهو بين الأصبع الوسطى والتي تليها .

أَيكُونُ شيءٌ يا أَبا الحسنِ أَحْسَنَ مِنْ خُرُوجِكَ مِنْ مَنْزِلِكَ عَلَى وَجْهِ خادمِي ؟ فقالَ : لَقَدْ لَحِقَنِي ما رأيتَ مِنَ الْعَثْرَةِ لِأَنِّي أَفْكَرْتُ أَنَّ بِهِ عاهةً ، قُلْتُ : وَمَا هِيَ ؟ قالَ : هُوَ مجبُوبٌ ، فقالَ بَرْذَعَةُ الْمُوَسْوِسُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَيَّرُ ؟ قُلْتُ : نعمْ وَيُفْرِطُ ، قالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : هذا عَلِيُّ بْنُ الرُّومِيِّ الْكَاتِبُ ، قالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فقالَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ
بِتَفْرِيقِ ما بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى
رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا
فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ
فَخُذْ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ
وَكُنْ حَذِراً مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ

وَدَعْ عنكَ ذِكْرَ الفَأْلِ وَالزَّجْرِ وَاطَّرِحْ
تَطيُّرَ جارٍ أَوْ تفاؤُلَ صاحِبِ

فَرَأَيْتُ ابْنَ الرُّومِيّ شَبِيهاً بالْبَاهِتِ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ قَدْ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ الأَبْيَاتِ ، ثُمَّ نَهَضَ بَرْذَعَةُ وَأَبُو خَدِيجَةَ مَعَهُ فقَالَ لَهُ ابْنُ الرُّومِيّ : وَاللهِ لَا تَطَيَّرْتُ بَعْدَ هَذَا ، فَأَقَامَ عِنْدِي وَكَتَبْتُ هَذِهِ الأَبْيَاتَ مِنْ حِفْظِهِ وَزَالَتْ عَنْهُ الطِّيَرَةُ .

انتهى الجزء الثالث عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الرابع عشر ﴾

وأوله ترجمة

﴿ على بن عبد الله بن موهب الجذامى ﴾

الدكتور أحمد فريد رفاعى بك

فهرس

الجزء الثالث عشر

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى